

دليل إلى قراءة الكتاب المقدس

بقلم
الأب اسطفان شربتييه
نقله إلى العربية
الأب صبحي حموي اليسوعي

الطبعة الرابعة
دار المشرق بيروت

الجزء الأول
العهد القديم

فهرس المواد

الصفحة	العنوان	
	<u>تقديم</u>	
	جدول أسفار الكتاب المقدس مع حروفها الأولى	
5	<u>استعدانا للرحلة</u>	
6	<u>الكتاب المقدس: كتاب أم مكتبة؟</u>	1
8	<u>شعب يجدد قراءة حياته</u>	2
14	<u>قراءة ودرس نص من النصوص. "علبة أدوات عمل"</u>	3
16	<u>شعب متأثر بجغرافية بلاده، خريطة الشرق الأوسط</u>	4
18	<u>شعب متأثر بعقلية الشرق الأوسط</u>	5
22	<u>ألف سنة من التاريخ أو أعظم ساعات إسرائيل</u>	6
24	<u>الخروج. شعب يعبر عن إيمانه</u>	1
27	<u>تقاليد التوراة</u>	

34 39 42	<u>مملكة أورشليم</u> <u>التاريخ المقدس اليهودي. رواية خلق العالم)</u> <u>تك 2 - 3)</u> <u>الأنبياء ناتان وأشعيا وميخا</u>	2	
44 46 50	<u>مملكة الشمال (721 - 935)</u> <u>الأنبياء إيليا وعموس وهوشع</u> <u>تاريخ مملكة الشمال المقدس: تقليد إيلوهي</u>	3	
54 56 60 61	<u>الحقبة الأخيرة لمملكة يهوذا (721 -</u> <u>587)</u> <u>سفر تثنية الاشتراع</u> <u>التقليد اليهودي</u> <u>الأنبياء نحوم وصفنيا وحبقوق وإرميا</u>	4	
64 66 68 72	<u>الغلاء إلى بابل (587 - 538)</u> <u>النبيان حزقيال وأشعيا الثاني</u> <u>سفر الأخبار</u> <u>التاريخ المقدس الكهنوتي. رواية خلق العالم</u> <u>(تك 1)</u>	5	
76 79 81	<u>إسرائيل تحت حكم الفرس (538 - 333)</u> <u>الأنبياء حجاي وزكريا وملاخي ويونيل</u> <u>وأشعيا الثالث</u> <u>الشريعة أو التوراة. أسفار الأخبار وعزرا</u> <u>ونحميا</u> <u>سفر الحكمة. من بين الكتابات: راعوث</u> <u>ويونان وأيوب والامثال</u>	6	
84 86 87 89 92	<u>إسرائيل تحت حكم اليونانيين (333 - 63)</u> <u>والرومانيين (بعد 63)</u> <u>نبي الحقبة اليونانية: زكريا الثاني</u> <u>مؤلفات حكمية: الجامعة وطوبيا ونشيد</u> <u>الأناشيد وابن سيراخ</u> <u>زمن المكابيين. الروي ودانيال</u> <u>الحكمة في الشتات: باروك وسفر الحكمة</u>	7	
94 96 98 100 102 104 106	<u>المزامير</u> <u>مزامير المراقى: مز 120 - 134</u> <u>صلاة تسييح لئله المخلص والخالق</u> <u>صلاة تسييح لئله القريب جداً</u> <u>صلاة رجاء. الله ملك. الملك الأرضي</u> <u>صلاة طلب وشكر</u> <u>صلاة للعيش. البار. الشريعة - المكافأة</u>	8	
108			<u>في نهاية الرحلة</u>

109	<u>فى نهاية المسيرة</u>	1
112	<u>لماذا نقرأ العهد القديم</u>	2
113	<u>كلمة الله. كلمات البشر</u>	3
114	<u>الحمد والشكر</u>	4
115	<u>الأدب اليهودى خارج الكتاب المقدس</u>	

تقديم

" **فلتواصل كلمة الرب جريها وتكرم** " [2تس 1/3] بقراءة الكتب المقدسة ودرسها، ولتمتلى قلوب البشر يوماً بعد يوم من كنوز الوحي الموكولة إلى الكنيسة.

هذا ما أعلنه المجمع الفاتيكاني الثاني فى خاتمة " الدستور العقائدى فى الوحي "، مستحثاً جميع المؤمنين على قراءة الكتب المقدسة ودرسها. وليس ذلك أمرَ جديداً فى حياة الكنيسة، فكل من عطف تاريخي وكل تجديد لاهوتي وكل تطور اجتماعي ترافقه عودة جذرية إلى التعمق فى الكتب المقدسة لسماع صوت الله فى قلب الأحداث التاريخية. إلا أن العلوم الكتابية قد قطعت شوطاً كبيراً منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر. فإن الدراسات الأدبية والتاريخية، بما فيها عامة من دراسة الفنون الأدبية وفقه اللغة والألسنيات وعلم التاريخ والآثار، قد اكتسبت وسائل نقد وتحليل جديدة ودقيقة. ولا شك أن الدراسات التفسيرية تشكل حالياً جزءاً هاماً مما يُنشر فى حقل العلوم اللاهوتية، وأن عدد الطلاب والبحاث فى هذا المجال فى ازدياد دائم فى مختلف أنحاء العالم، ولا سيما فى الهند وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. هناك تعطش إلى الأصالة أمام تحديات الحداثة، وتعطش إلى إبداع ثقافات خاصة، وأى معين أفضل من الكتاب المقدس؟ إنه يرجع بالإنسان إلى علاقة شخصية مع الله خالقه، ومع المسيح مخلصه، تقوده إلى شق طرق حرية جديدة فى عالم اليوم.

وهذا الكتاب " دليل إلى قراءة الكتاب المقدس " قد صدر منذ سنتين بالفرنسية وترجم إلى لغات أخرى، واشتهر بالجديد الذى أتى به، وهو من وضع الأب اسطفان شربتييه. وقد عربّه لنا الأب صبّحي حموى اليسوعى، الذى ساهم فى ترجمة العهد الجديد إلى العربية. ويأتى هذا الدليل فى رأس هذه السلسلة الجديدة " دراسات فى الكتاب المقدس " نضعها فى متناول القارئ العربى. وغاية هذه السلسلة:

- التعرف إلى تلك الأساليب النقدية التفسيرية فى درس الكتب المقدسة ليتمكن من استعمال أداة للبحث باللغة العربية.
- مساعدة المسيحيين لفهم الكتاب المقدس فى سبيل تعميق حياتهم الروحية والكنيسة، ودعوة الدارسين للوصول إلى مستوى علمي يليق بالكتاب المقدس، فيوضح معانيه ويحولهم للانتاج فى مجال التفسير الكتابي بطريقة رصينة ومبسطة فى آن واحد.

- تغذية إيماننا المسيحيّ في جذوره وتنمية القدرات في التعبير عنه في الثقافة وفي العالم اللذين ننتمي إليهما، وهما ثقافة وعالم غير غربيين عن عالم الكتاب المقدّس.

بيروت في 1 نيسان 1983

أنطوان
أودو
اليسوعيّ
أساتذ
الكتاب المقدّس
في جامعة
القديس يوسف
- بيروت.

جدول أسفار الكتاب المقدّس مع حروفها الأولى

سفر العدد سفر عزرا نبوءة عوبديا رسالة بول إلى غلاطية رسالة بولس إلى فيليمون رسالة بولس إلى فيليبي سفر القضاة رسالتا بولس إلى كورنتس رسالة بولس إلى قولوسى إنجيل لوقا إنجيل متى سفر الأمثال إنجيل مرقس مراثى إرميا سفر المزمير سفرا المكابيين سفر الملوك (أو 3 و 4 ملوك) (نبوءة ملاخي نبوءة ميخا نبوءة نحemia نبوءة نحوم سفر نشيد الأناشيد نبوءة هوشع سفر يشوع بن نون رسالة يعقوب إنجيل يوحنا رسائل يوحنا نبوءة يونس نبوءة يونان سفر يهوديت رسالة يهوذا	عد عز عو غل ف فل قض 1 قور 2 قور قول لو متى مثل مر مرا مز 1 مك 2 مك 1 مل 2 مل ملا مي نح نحو نش هو يش يع يو 1 يو 2 يو 3 يو يوء يون يه يهو	سفر الأحبار سفرا الأخبار نبوءة إرميا سفر استير نبوءة اشعيا رسالة بولس إلى أهل أفسس سفر أيوب نبوءة باروخ رسالتا بطرس سفر تثنية الاشتراع رسالتا بولس إلى أهل تسالونيقى سفر التكوين سفر الجامعة نبوءة حبقوق نبوءة حجاي نبوءة حزقيال سفر الحكمة سفر الخروج نبوءة دانيال سفر راعوث أعمال الرسل رسالة بولس إلى أهل رومة رؤيا يوحنا نبوءة زكريا سفر يشوع بن سيراخ نبوءة صفنيا سفرا صموئيل (أو 1 و 2 ملوك) سفر طوبيا رسالة بولس إلى طيطس رسالتا بولس إلى طيموتاوس نبوءة عاموس الرسالة إلى العبرانيين	أح 1 أخ 2 أخ أر اس اش اف أي با 1 بط 2 بط تث 1 تس 2 تس تك جا حب حج حز حك خر دا را رسل روم رؤ زك سي صف 1 صم 2 صم طو طي 1 طيم 2 طيم عا عب
--	--	--	---

(2)

دليل إلى العهد القديم

إنك ترغب في قراءة العهد القديم، ولكنك لا تعرف السبيل إلى ذلك... الغاية من هذا الكتاب المتواضع والطموح أن يكون بين يديك دليلاً إلى قراءة العهد القديم.

دليل سياحي:

حين تريد أن تسافر، تشتري لك دليلاً يرافقك طوال سفرك، ويقترح عليك عدّة برامج سفر ويدلّك على أشياء تعجبك رؤيتها ويُلخّص لك تاريخ البلد الذي ترغب في زيارته. والغاية من هذا " الدليل " أن يسهّل عليك هو أيضاً اكتشاف العهد القديم.

فهو متواضع، وفيه من البساطة ما يُساعد الذي لم يفتح العهد القديم إلى اليوم، أو الذي حاول وبردت همته، على الاهتداء إلى الطريق دون عناء (لا دون جهد). قبل أن يتدوّن هذا الدليل، فقد إختبرَ زمناً طويلاً في مجموعات كثيرة. وهو قصير، فإن كل فصل ينقسم إلى فقرات من صفحتين أو ثلاث صفحات يمكن مطالعتها مستقلة عن غيرها.

ومع ذلك فهو طموح، بما أنه يضع في متناولك جميع المفاتيح الأساسية التي تمكّنك من مطالعة العهد القديم دون الاعتماد على غيرك. وإليك ما يُعرض عليك: بعد مدخل عام، هناك ثمانية فصول مبنية على طراز واحد، تجد فيها:

- **موجزًا عن تاريخ إسرائيل:** هاتان الصفحتان تفتتحان الفصل، ولكنهما تشكلان كلاً متكاملًا. ولا بأس من مطالعتها على التوالي للاطلاع على تاريخ إسرائيل بوجه عام.
- **عرضًا لمؤلفات العهد القديم:** وضعت في تلك الحقبة الزمنية. وبذلك ترى كيف نشأت شيئاً فشيئاً تلك التقاليد المختلفة التي ستصبح يوماً الشريعة (أو التوراة)، وتسمع الأنبياء يعظون في تلك الحقبة، وتكتشف تفكير الحكماء في الوضع البشري والحياة والحبّ والموت، وذلك التفكير الذي يؤدي يوماً إلى كبار المؤلفات الحكيمية.
- **أدلاء للفراءة** (أشير إليها بالعلامة) تمكّنك، وحدك أو مع فريق من الأشخاص، من درس هذا النصّ الهامّ أو ذلك.
- **وثائق** متنوّعة محاطة بإطار، وهي عبارة عن شرح ألفاظ هامة أو صعبة، ومفاتيح قراءة، ونصوص قديمة يمكن المقارنة بينها وبين العهد القديم، وأفكار لاهوتية أو روحية...

(3)

رحلات اختبارية:

في أثناء سفر إلى الخارج، كثيراً ما يترك لك المسئولون يوم حريّة أو يومين للقيام برحلات اختيارية تتمكّن بها من التدقيق في مشاهدة آثار سبق لك أن شاهدها أو لزيارة مكان آخر.

كيفية استعمال هذا الدليل:

يُمكنك أن تسعمله وحدك، ويُمكن استعماله في عمل جماعي. وهذا هو السبب الذي حملنا على تقسمه إلى ثمانية فصول: ففي إمكان مجموعة أصدقاء، إن اجتمعوا مرة في الشهر، أن يُطالعوا العهد القديم ثم العهد الجديد في بحر سنة واحدة.

إن مطالعة الدليل الخطي الذي يُقدّم لك قبل السفر تساعد على إلقاء نظرة إجمالية وعلى إثارة الشهية، ولكن لا يُخفى عليك أن بعض الشروح لا تكون بليغة إلا حين تزور الأماكن وأنك لا تستطيع زيارة جميع الآثار الوارد ذكرها في الدليل. وذلك شأن هذا الكتاب.

نشير عليك أن تبتدئ بمطالعة إجمالية لكل فصل، فيكون لك نظرة إجمالية وتعرف ما هي النصوص التي يجب "زيارتها" ... علماً بأن الوقت لن يسمح لك برؤيتها جميعاً، لكنك تستطيع على الأقل أن تكتشف النصوص التي تحب أن تدرسها. ويُمكنك بعد ذلك استئناف مطالعة الفصل، والكتاب المقدس في يدك. وإن قمت بهذا العمل مع فريق، تستطيعون أن تتقاسموه، وعندما تلتقون، يكون كل واحد منكم قد تعمق في قسم من أقسام الفصل فيستطيع أن يُساعد الآخرين على فهم هذه النصوص.

لماذا نقرأ العهد القديم....

.... بعد أن أصبح عندنا عهد جديد؟ إن مجرد حصولك على هذا الدليل للعهدين يعني أنك مقتنع بفائدته. ولكن، إن كنت بحاجة إلى الاقتناع، فطالع الصفحات 109 - 111.

اسئ
طفان
شربت
بييه

(4)

(5)

استعداداً لرحلتنا

قررت أن تقضي عطلتك في فرنسا مثلاً، ف لديك إمكانات كثيرة. أن تقضي شهراً في إحدى المدن. فتستطيع في هذه الحال أن تتعرف إلى هذه المدينة معرفة جيدة، ولكنك تجهل بقية ما في البلد. وفي إمكانك أيضاً أن تتكل على نفسك وتسير على

غير هدى. وفي إمكانك أيضاً أن تتصل بمكتب سفريات يعرض عليك جولة سياحية، فتستطيع أن تركب باصاً وتطوف، في شهر واحد، جميع أنحاء فرنسا.

وفي إمكانك هنا أن تتصور نوعين من التنظيم: في الحال الأولى يكون خط السير إجبارياً. فالباص يقف بك أمام أحد الآثار والدليل يُساعدك على زيارته، ثم تعود إلى الباص فينزل بك أمام أحد المتاحف... وأما في الحال الأخرى، فالدورة تكون أبسط. فالباص يتوقف يومين في إحدى المدن، وثلاثة أيام في أخرى. وفي كل مرحلة، يضع مكتب السفريات بين يديك نشرة مطوية تدلك على ما يحسن زيارته، وعليك أنت أن تختار ما تشتهيهِ نفسك. وإن شئت، فبإمكانك أن تستعين بخدمات الدليل الذي يعرضه مكتب السفريات عليك لزيارة هذه الكنيسة أو ذلك المتحف. فخط السير مزروع بالأسهم، أي أن أمامك إمكانيات مختلفة وعليك أنت أن تختار.

وما يُعرض عليك في هذا الكتاب هو هذا النوع الأخير من "العطلة". فكل فصل من الفصول يُشكّل إحدى مراحل الرحلة الثماني في أنحاء العهد القديم. وفي كل مرحلة، يُشار عليك بما يجب زيارته وتُعرض عليك زيارة موجهة لبعض النصوص الهامة. وعليك أنت أن تختار، لأنه لا يُمكنك، على وجه العموم، أن ترى كل شيء.

لا شك أن في ذلك شيئاً من الحرمان، لأنه يُسال لعابنا ونرغب أن نرى كل شيء وأن نبحت في كل شيء، ولكن الوقت محدود. فالباص أو الفصل التالي هو في انتظارنا، فلا بد من الذهاب. ومن الواضح أنه، في ختام مثل هذه المسيرة، لا نستطيع أن ندعي أننا نعرف فرنسا أو الكتاب المقدس. ولكن قد تمّ فينا شيء من الألفة، فهناك أشياء كثيرة قد وُضعت في مكانها، فأصبح من الممكن أن نقرأ كتاباً من الكتب وأن نعود إلى زيارة مدين من المدن أو أن درس نبياً من الأنبياء. ولن نعود بعد ذلك نشعر بالغرابة، لأنه قد أصبح في إمكاننا أن نحدّد لكل شيء مكانه في المجموعة.

قبل الرحيل، نحزم حقائبنا ونستعدّ. ونستعلم بعض الشيء عن جغرافية البلد وتاريخه ولغته، وعمّا لا غنى عن معرفته من المفردات، ونهيئ المعدادات أيضاً، وهي تختلف إن كانت الرحلة إلى الجبل أو إلى البحر.

في هذا الفصل الأول، سنجمع، قبل الرحيل، بعض المبادئ التي لا غنى عنها لكي لا نضلّ تماماً. وإليكم ما تجدونه في هذا الفصل الأول:

- 1. الكتاب المقدس: أهو كتاب أم مكتبة؟** بعض المعلومات العملية للتعرف إلى الكتاب نفسه (الصفحتان 6-7).
- 2. شعب يحدّد قراءة حياته.** تفكير نظري في كنه الكتاب المقدس: لا "تحقيق صحفى مباشر"، بل تفكير مؤمنين (الصفحتان 8-10).
- 3. قراءة ودرس أحد النصوص.** طريقتان لتحليل نصّ و"علبة أدوات عمل" (الصفحتان 11-15).
- 4. شعب متأثر بجغرافية بلاده.** محيط إسرائيل الجغرافى والتاريخى (الصفحتان 16-17).
- 5. شعب متأثر بعقلية الشرق الأوسط.** لمحة عن فكر الشعوب التي كان إسرائيل على صلة بها (الصفحتان 18-21).
- 6. ألف سنة من التاريخ أو ساعات إسرائيل الهامة** (الصفحتان 22-23).

1- الكتاب المقدس: كتاب أم مكتبة؟

لنبدا ونتعرف إلى الكتاب نفسه. إن سبق أن تعرفت إليه، فما لك إلا أن تنتقل إلى الصفحة 8.

الأسماء

الكتاب المقدس هو أكثر من كتاب، إنه مكتبة. فيها يجد الإنسان عدداً من المؤلفات يختلف بعضها عن بعض، وهي مقسومة إلى مجموعتين كبيرتين: العهد القديم والعهد الجديد. فالكتاب المقدس هو إذا مجموعة الكتب التي تُخبرنا عن العهد الذي قطعه الله مع إسرائيل بواسطة موسى (العهد القديم) والذي أتمه في يسوع (العهد الجديد).

ويُطلق على الكتاب المقدس اسم " الكتاب " أو " الكتب " أو الكتب المقدسة". وهذا يعنى أولاً أن المقصود هو كلام الله المدون خطياً، فقد يكون هناك كلام الله لم يدون خطياً. وهذا يعنى ثانياً أن ما هو كلام الله في نظرنا هو ما كُتب، لا ما جرى من الحوادث أو ما قيل من الأقوال قبل أن تُدوّن. سنعود إلى هذا الموضوع.

الكتب

القسم الأول من الكتاب المقدس، أي **العهد القديم**، مشترك بين اليهود والمسيحيين، ولكن مع بعض الفوارق، فاليهود، وبعدهم البروتستانت، لا يعترفون إلا بالكتب الموضوعة بالعبرية، وهي أربعون. وأما سائر المسيحيين فإنهم يضيفون ستة كتب وضعت باليونانية. إن البروتستانت يطلقون على هذه الكتب " المنحولة " ، وأما الباقون فإنهم يلقبونها بـ " القانونية الثانية " ، أي أنها دخلت ثانياً في القانون، وهو قاعدة الإيمان، (راجع النص المحاط بإطار في الصفحة 86).

والقسم الثاني، **العهد الجديد**، وهو واحد عند جميع المسيحيين، يحتوى على 27 كتاباً.

فـ " مكتبة " المسيحيّ - أو الكتاب المقدس- تحتوى إذا على 67 أو 73 كتاباً. يدلّ عليها عادةً بالمختصرات (تجد جدولاً في مطلع الكتاب). فـ " تك " يدل على كتاب التكوين و " رؤ " يدل على كتاب الرؤيا. هناك اتجاه نحو توحيد كتابة المختصرات، ومع ذلك فقد نجد بعض الفوارق الصغيرة بحسب الطبقات.

أنواع الترتيب

إذا أردت أن تُرتب كتبك على رفوف مكتبك، كان لديك عدّة طرق. فإن قصدت الجمال، رتبتها بحسب الحجم. وهكذا فرسائل القديس بولس مرتبة في الكتاب المقدس بحسب طولها. وإن قصدت الوجهة العملية، رتبتها بحسب المواضيع. وهكذا فقد جمعت في الكتاب المقدس أقوال الأنبياء أو رسائل القديس بولس. وإن قصدت تطوّر الفكر، كان في إمكانك أن ترتبها بحسب تاريخ ظهورها. وهذا هو الترتيب الذي سنحاول اتّباعه في هذا الدليل.

ترتيب كتب **العهد الجديد** هو واحد في جميع طبعات الكتاب المقدس المسيحية. أما **العهد القديم**، فهناك طريقتان في الترتيب: الكتاب المقدس عند اليهود يتضمّن ثلاثة أقسام: الشريعة أو التوراة - ثمّ الأنبياء وهي مجموعتان: الأنبياء الأوّلون (وهي الكتب التي نسميها خطأ "التاريخية") والأنبياء الثانون (أشعيا وإرميا وحزقيال والاثنا عشر الآخرون) - وأخيراً المؤلفات أو الكتابات.

معظم طبعات الكتاب المقدس اتّبعت ترتيباً مأخوذاً عن الكتاب المقدس اليوناني، فقسمت الكتب إلى أربعة أقسام: كتب الشريعة - كتب التاريخ - كتب الحكمة - كتب الأنبياء.

اللغات

مُجمل كتب **العهد القديم** وُضع بالعبرية وقليل من مقاطعها بالأرامية. وابتداء من القرن السابع ب. م. قام بعض العلماء اليهود، وقد أطلق عليهم

(7)

اسم " المسوّرين"، بتثبيت معنى النصوص بتشكيل الحروف، وهذا التشكيل عبارة عن نقاط وُضعت فوق الحروف أو تحتها. ولذلك أحياناً ما يسمّى النصّ العبري " النصّ المسوّري".

ثُرجم العهد القديم إلى اليونانية ابتداء من القرن الثالث ق. م. في الإسكندرية. بحسب الأسطورة، قام بالعمل سبعون كاتباً، كل واحد على حدة، فوصلوا إلى ترجمة واحدة تماماً. معنى هذه الأسطورة على جانب من الأهمية: فهي تعني أنّ مثل هذه الترجمة لا يمكن إلا أن تكون من وحي الله. ولذلك سُميت هذه الترجمة السبعينية. وهناك ترجمات يونانية قديمة أخرى، كترجمة أقبلياً وترجمة سيمّاك وترجمة ثاودوتيوف.

أما **العهد الجديد** فقد وُضع كلّه باليونانية، باللغة " الشائعة" التي كانوا يتكلمون بها في ذلك الزمان والتي تختلف عن اليونانية الفصحى.

رجال الاختصاص يعملون ويترجمون انطلاقاً من النصوص الأصلية، أي من النصوص العبرية للعهد القديم والنصوص اليونانية للعهد الجديد.

ومن بين الترجمات القديمة، نذكر الترجمة السريانية والترجمة القبطية والترجمة اللاتينية. وهذه الترجمة اللاتينية، المسماة "الشائعة"، هي من عمل القديس إرونيمس (أواخر القرن الرابع - أوائل القرن الخامس ب. م.).

الفصول والآيات

للاهتداء بسهولة إلى فقرات الكتاب المقدس، خطر في بال اسطفانس لانغتون أن يُقسّم كلّ كتاب إلى فصول مُرقّمة، وكان ذلك في السنة 1226. وقام صاحب المطبعة روبر استيان، أثناء رحلة في عربة بين ليون وباريس في السنة 1551، بترقيم كلّ جملة تقريباً من هذه الفصول، فنشأ التقسيم إلى الآيات.

إنّ هذا التقطيع إلى فصول وآيات لا يطابق دائماً معنى النصّ. فليس علينا أن نراعيه لنفهم معنى النصّ. ولكنّه أمر عمليّ، لأنّ جميع دور النشر قد تبنته. فلكي تدلّ على فقرة من فقرات الكتاب المقدس، يكفي إذاً أن تذكر مرجعها، أي أن تذكر اسم الكتاب والفصل والآية. نجد في النصّ المحاط بإطار نظام الاختصار والرجوع المستعمل عادة في أيّامنا.

كيفية الدلالة على المراجع

يُذكر الكتاب أولاً بالمختصر (راجع قائمة المُختصرات في مطلع الكتاب). يدلّ الرقم الأوّل على الفصل، ويدلّ الرقم الثاني، المنفصل عن الأوّل بخط مائل، على الآية.

فـ " تك 4/2 " يعني: كتاب التكوين، الفصل الثاني، الآية 4. والخط الأفقي يجمع بين عدّة فصول أو عدّة آيات. فـ " تك 2 - 5 " يعني: التكوين، الفصول 2 إلى 5 (بما فيه 5). وـ " تك 4/2 - 8 " يعني: التكوين، الفصل 2، الآيات 4 إلى 8 (بما فيه 8). حرف العطف " و " يفصل بين مرجعين مختلفين في الفصول أو الآيات، وحرف التاء المضاف إلى الرقم يعني: والآيات التابعة. فـ " تك 4/2 ت " يعني أنه لا بدّ من مراجعة الآية 4 والآيات التي تتبعها.

هناك اتجاه نحو تعميم هذه الطريقة، وهي التي استعملناها في هذا الدليل. ولكنّ هناك طرقاً أخرى أقل استعمالاً.

إنّ الكتاب المقدّس، لا سيّما العهد القديم، كتابٌ مُحيرٌ. نعلم، قبل أن نفتحّه، أنّه الكتاب المقدّس عند اليهود والمسيحيين، ونتوقّع أن نجد فيه كلام الله غير ممزوج بأى شيء: أى نوعاً من كتاب للتعليم المسيحيّ أو اللاهوت الأدبيّ.

وعندما نفتحّه... نجد فيه قصصاً من ماضى شعب صغير، قصصاً كثيراً ما تكون لا فائدة منها، وروايات لا نستطيع أن نقرأها بصوت مرتفع دون أن نخجل، وجرّوباً واعتداءات، وقصائد لا تحملنا على الصلاة، وإنّ سمّيناها "مزامير"، وفضائح من أخلاقيّة قديمة تخطّأها الزمن وكثيراً ما هي مبعوضة للنساء.

كتاب مُحيرٌ... ولكن هل هو كتاب؟.

إنّه، قبل كلّ شيء، مكتبة: 73 كتاباً يتدرّج تدوينها على أكثر من ألف سنة. فالكتاب المقدّس هو أكثر من مكتبة جامدة. إنّه عالم لا بدّ من الدخول فيه، ومغامرة نحن مدعوّون إليها، مغامرة شعب استحوّز عليه الولع بالله.

إليكم مثلاً يزيدنا وضوحاً.

مساء يوبيلها الذهبيّ

عند وصولي إلى دارهما، كانا وحدهما، بعد انصراف أولادهما. قضيت الأمسيّة معهما، وكانت رائعة.

كنت أعتقد أنّي اعرف هذين الصديقين حقّ المعرفة: شخصان بسيطان عاشا سويّة نصف قرن، في وسط الأفراح والأحزان. ولكنّي اكتشفهما في تلك الليلة بعينين جديدتين، لأنهما فتحا لي "كنزهما": مُجرّد علبة كرتون فيها كل شيء: صورٌ ولا شك، من الصورة العائليّة التي يرقى عهدا إلى يوم العُرس، إلى الصور الخاطفة لابتسامة طفل أو لمشهد عطلة. وبطاقات بريديّة، مبتذلة وتقليديّة، بعضها مكسّر. كانا يشرحان لي ويعلّقان عليها، وكانت هذه الصور تنقلب إلى شهود حزن أو فرح لكلّ يوم من أيام حياتهما.

وكانت حياتهما أيضاً تنبع من أوراق عائليّة: فشجرة العائلة، وهي عبارة عن قائمة رتيبة من الأسماء القديمة، كانت تصبح هنا فخراً بالانتماء إلى سلالة والتأصل في أرض. وهناك عقد إيجار لم يعد وثيقة تقليديّة ودقيقة، بل أصبح حلم حياة عمل وادّخار قد تحقّق بالحصول على بيت عائليّ. وهناك رسائل تبودلت مدّة الخطبة كانت تجاور صلوات وُضِعَت لأهمّ ساعات حياتهما. وكانت عظة حفلة الإكليل بجانب قصيدة خرقاء قدّمها أحد الأحفاد.

وانقضت الأمسيّة كالحلم. كنت أظنّ أنّي اعرف هذين الصديقين القديمين حقّ المعرفة، وإذا بي اكتشف، معهما وفي وقت واحد، معنى حياتهما. تلك الأوراق وتلك الصور كانت مبتذلة لا قيمة لها. ومع ذلك فقد أصبحت لا تُقدّر. لم تعد أشياء، بل صارت حياة كاملة مستجمعة ومفسّرة. وكان كلّ من هذه الأشياء المتواضعة يتخذ

مكانه فى تاريخ ينسج معناه. فى لحظة واحدة اغتنيا بمنات اللحظات التى عاشاها معاً والتى حفظاها فى ذاكرتهما لأنها جمعتهما.

لنتناول بعض النقاط الهامة فى هذا المثل.

1- حياة أمست " نصاً "

كان هذان الزوجان يُريانى صوراً ووثائق خطية، وكنا نهتمّ بهذه الأشياء فى حدّ ذاتها، ولا سيما لأنها كانت شبه خلاصة لحياة هذين الزوجين. فمن خلالها وبواسطتها، كنت أستطيع أن أدخل فى عالم هذين الصديقين وأن أشاركهما فى مغامرة حبّهما.

وكذلك فإنّ أسفار الكتاب المقدس كثيراً ما تبدو لنا مبتذلة ولا فائدة لها. ولكننا بواسطتها سنكتشف مغامرة شعب من المؤمنين، وسنتمكن من الدخول فى عالمهم.

(9)

2- لا نفهم إلا بعد إنقضاء الأمر

قال لى صديقى القديم مبتسماً مازحاً: " هذه أول رسالة حبّ لنا ". قرأتها متعجباً، لأنها كانت مسألة جبرية! كان هو وهى طالبين. ومرضت هى، فوكل إليه بأن يكتب لها لينقل إليها نصّ وظيفة الرياضيات. رسالة مبتذلة. ولكن هذه الرسالة كانت نقطة انطلاق وكانت هناك رسائل أخرى... لم يكن لهذه الرسالة فى حدّ ذاتها أية فائدة. ولكن قراءتها اليوم توحى بأنّها كانت أول رسالة حبّ.

هناك أحداث لا معنى لها فى حدّ ذاتها، ولكنها إذا دخلت فى قصة حياتنا اكتسبت معنى. إذا صوّرت فور حدوثها، لا يكون لها فائدة، ولكنها تصبح هامة إن نُظِر إليها فى وقت لاحق.

كلّ حدث يحتمل فى ذاته معانى كثيرة لا يُنتبه إليه عند حدوثه. ولكنه، إن كان هاماً فى الواقع، مال الإنسان إلى إعادة التفكير فيه. وإن أعاد التفكير فيه، اكتشف ما فيه من غنى. وكلما طال الزمن ازداد غنى الحدث.

فرواية الأحداث لا تقوم على الاجتهاد فى التحقيق عنها تحقيقاً دقيقاً ولا تصوير ما جرى، بل هى إحياء هذه الأحداث بإظهار المعنى الذى تتخذه اليوم بالنسبة إلينا. وإن رويناها فى وقت لاحق، اكتشفنا أشياء أخرى أيضاً. قد يقول لنا صديق شيئاً فلا ننتبه إليه فى حينه، ثم وبعد وقت قد يطول، نهتف: " نعم، هذا ما أراد أن يقوله لى... ". وكيف نروى الجملة الأولى: أكما قالها لنا أم كما نفهمها؟ وبعبارة أخرى: أنكرّر كلامه بحرفيته أم نضيف إليه المعنى الذى كان يريد أن يفيدنا به فى الحقيقة؟.

3- مطابق للواقع أم صحيح؟

أحياناً ما نسمع هذا السؤال: "أصحيح ما ورد في الكتاب المقدس؟ هل هذه المعجزة صحيحة؟" قبل الإجابة عن هذا السؤال، يجب علينا أن نتساءل ماذا يُراد بكلمة صحيح. فقد يكون لها معانٍ كثيرة. نقول على سبيل المثال: "هذه القصة صحيحة، هذه الرواية صحيحة، هذه القصيدة صحيحة". ولا شك أننا نشعر بأننا لا نتكلم عن أمر واحد. في القصة مثلاً كلُّ شئٍ مختلق، ومع ذلك فقد تكون صحيحة إنْ اطمأننا إليها وإنْ كانت تناسب الواقع البشري. ليس فيها أيّ شئٍ مطابق للواقع أو تاريخي، ومع ذلك فكلُّ شئٍ فيها صحيح.

لنتوسّع قليلاً في هاتين الكلمتين: مطابق للواقع وصحيح.

إن كلمة مطابق للواقع توافق ما حدث من الناحية التاريخية: ما سجّلته آلة التصوير أو المسجّلة. فـ "أول رسالة حب" لصديقنا لا تكون سوى إرسال وظيفة في الرياضيات، والجملة التي قالها ذلك الصديق تُكرّر في حرفيتها.

ولكنه من الصحيح أن تلك الصيغ الجبرية هي "رسالة حب"، والطريقة التي أكرّر بها جملة صديقي تكون أشدّ صِحّةً ممّا لو كانت مطابقة للواقع.

هل الكتاب المقدس صحيح؟ نعم، ولكن بمعنى الصحيح الذي شرحناه. قد نجد في الكتاب المقدس كثيراً من الأمور غير المطابقة للواقع، كما نجد أن الطريقة في رواية الأحداث أو في رواية الأقوال لا تطابق الواقع، ولكنها صحيحة لأنها تتضمّن المعنى الذي اكتشفناه في هذه الأحداث والأقوال.

4 - آمن لتفهم

إن حقيقة الحدث الجوهريّة لا تظهر للعيون، فعلى أن أشعر بها من خلال ما لحدث من وجوه تاريخية، من خلال ما أراه. أرى مثلاً رجلاً وامرأة يتعانقان. هذا أمر مطابق للواقع، هذا أمر تاريخي. ولكني لا أستطيع أن أستخلص منه شيئاً، لأنه قد أعانق أحياناً أحداً لا أحبّه. فإن قيل لي أنهما يحبّ الواحد الآخر، عندئذ يكون للقبلة معنى فتصبح علامة حبّهما. "إن قيل لي....": هذا يعني أن أصدق ما يُقال لي. فإلّا أصدق أفهم هذه القبلة على أنها علامة حبّ. إن أردت أن أفهم، يجب على أن أصدق وكوني قد فهمت يقوى إيماني. نتقدّم هكذا كأننا في لولب: ندور على شكل حلقة، ولكننا نتقدّم في كل دورة.

هذا شأن الكتاب المقدس. وما قلناه يُطبّق على الذين وضعوه: كانوا يروون أحداثاً، ولكن هذه الأحداث كان لها معنى لأنهم كانوا يؤمنون. والأمر يُطبّق علينا عندما نقرأ الكتاب المقدس: في استطاعتنا أن ندرسه، سواء أكنّا مؤمنين أو غير مؤمنين، وفي استطاعتنا أن نفهم ما تقوله النصوص لنا. ولكننا نفهمها فهماً مختلفاً إن شاركنا واضعها في إيمانهم، وإن دخلنا وإياهم في بحث واحد.

قد يبدو كل ذلك مُعقداً إلى حدّ ما، ولكننا سنعود إليه فيتّضح كلّ شئ ونحن في الطريق. أمّا الآن، فعلينا أن نستخلص نتيجة هامّة: ما هو معنى نصّ من النصوص؟ وما معنى القراءة؟.

(10)

5 - معنى النصّ

حين نكون أمام نصّ من النصوص، ولا سيّما من النصوص القديمة، يكون تفكيرنا العفويّ على الوجه التالي: أراد الكاتب أن يقول شيئاً ما وأن ينقل معنى ما. وهذا المعنى قد " لفّه " في ألفاظه وثقافته هو. فعلينا اليوم أن " نُفكّ " هذا المعنى وأن نُعيد " لفّه " في ألفاظنا نحن. يبدو لنا أن في النصّ معنى موضوعياً و" نواة صلبة " لا بدّ من استخراجها.

من الأكيد أننا بدأنا نفهم أن الأمور ليست بهذه البساطة. حين كنت أصغى إلى هذين الصديقين القديمين يرويان حياتهما، كنت أحاول، ولا شكّ، أن أفهم ما كانا يريدان أن يقوله لي، ولكنّي، حين تقبّلت هذا، كنت أحولّه. ابتداءً من تلك الأمسية، كوّنّت لنفسى عنهما صورة تختلف عن الصورة التي يكونانها عن نفسيهما وتختلف أيضاً عن الصورة التي قد يكونها لنفسه شخصٌ آخر عنهما. عندما نقرأ نصّاً من النصوص، نُعيد صيغته انطلاقاً ممّا نحن عليه. وهذا أمر طبيعيّ، فإننا نواصل هكذا حياة الحدث المرويّ مُضيفين إليه المعنى الذي نكتشفه فيه.

القراءة هي أن نتناول نصّاً وأن نجعله يقول لنا اليوم شيئاً ما، شيئاً من شأنه أن يُحيينا.

ولكن هل لنا أن نجعل نصّاً يقول لنا أيّ شئ كان؟ هنا يأتى الكلام على درس النصّ واستخدام مختلف طرق الدرس.

قصة رائعة؟

" بأيّ شئ يمكن للكتاب المقدّس أن يُثير اهتمامي؟ إنّه يروي قصة رائعة لا يزال الله يتكلّم فيها (إلى إبراهيم، إلى موسى، إلى الأنبياء...) ويجري المعجزات لتحرير المظلومين وشفاء المرضى... آية علاقة لهذا بحياتي أنا، بحياتي اليوميّة المبتذلة؟ بحياة العالم؟ بعد أن أكثر الله من الكلام طوال ألفى سنة، ها هوذا صامت؟ في أيّامنا أيضاً مظلومون وبؤساء: فلماذا لم يعد يعمل...؟ "

هذا اعتراض وجيه. ولكنّ ما سبق لنا أن قلناه يجعلك تكتشف أن في هذا الاعتراض مقارنة بين القصص على صعيدين مختلفين.

إنّ المورّخ الذى يدرس قصّة حياة إسرائيل يكتشف قصّة حياة تافهة لشعب وضع من الشرق الأوسط، لا تختلف عن غيره من الشعوب.

والمؤمنون الذين ألفوا الكتاب المقدّس يقرأون فى هذه الأحداث كلمة إلههم وتدخّله، كما يكتشف الزوجان فى إرسال وظيفة فى الرياضيات رسالة حبّ.

وقصّة حياة إسرائيل تساوى قصّة حياتنا نحن اليوم فى التفاهة والألم، ولا يكتشف فيها أيضاً غير المؤمن أثراً لله.

ومن ثمّ فإنّ من شأن قراءة الكتاب المقدّس أن تحمّلنا على تجديد قراءة حياتنا بالعين المؤمنة نفسها. فنكتشف عندئذ أنّ الله لا يزال يكلمنا كما كان يكلم الأنبياء ولا يزال يعمل. فتبدو لنا حياتنا كلّها كقصّة حياة مليئة بالروائع.

(11)

3- قراءة ودرس لنصّ من النصوص

ما سبق لنا أن قلناه يدعونا إلى التمييز بين قراءة نصّ من النصوص ودرسه.

إنّ قراءة نصّ من النصوص تعنى لى أتى أحمله معنى يكون لى أنا القارئ فى هذا اليوم. وهذا ما فعله عفويّاً، فنقول: " هذا ما يوجى به هذا النصّ إلى... إنّ ما يلفت نظرى فى هذا النصّ..."، وإلى مثل هذه القراءة يجب علينا أن نصل آخر الأمر. لكننا نشعر هنا بالخطر: فهل للإنسان أن يستوجى أى شىء كان من النصّ؟ وهنّا يكون دور الدرس.

الغاية من الدرس، أى من النظر فى النصّ بواسطة مختلف طرق التحليل، هى أن نكتشف أنّ بيننا وبين النصّ مسافة، وأننا لا ندخل فيه بسهولة وأنّه من الخطر أن نحمله بسرعة زائدة مشاعرنا ونفساتنا. ومن شأن هذا الدرس أيضاً أن يحمّلنا على الإمعان فى قراءة النصّ. فهناك نصوص نعرفها حقّ المعرفة (أو نظن أننا نعرفها)، نصوص الأناجيل مثلاً، ومن ثمّ فإنّنا لا نعود نقرأها، بل نحلق فوقها ونكرّر ما سمعنا عنها دائماً.

طريقتان للتحليل

فى الواقع، عندما نتناول نصّاً من النصوص، نستخدم عفويّاً نوعين من طريقة الدرس. إليك مثلاً عادياً.

تسلّمت رسالة من عمّتك وردة. حين تقرأ هذه الرسالة ترى عمّتك بعين الفكر وتفسّر النصّ انطلاقاً ممّا تعرفه عنها. لنفترض أنّ عمّتك تتدّمّر في سياق الرسالة. أنّ كنت تعلم بأنّها لا تزال تنوح، لا تهتمّ لأمرها، بل تكتفى بأن تقول " هي هي ". وإن كنت تعلم بالعكس أنّها امرأة تقسو على نفسها، يكون تفكيرك كهذا: " إنّ بلغ الأمر إلى التدمّر، فذلك أنّ حالتها قد ساءت ". أو إنّ وردت في رسالتها جملة تطعن فيها الشبيبة أو إحدى المجموعات الاجتماعية، تقول في نفسك: " هي في الحقيقة ابنة زمانها أو بيئتها... ". إنّك تُخرج هنا من النصّ وتنظر إلى عمّتك بعين المُخيلة، ومن خلال ما تعرفه عنها تحاول أنّ تفهم ما عنّته.

ولنفترض الآن أنّك، وأنت تقرأ، تقع على جملة غامضة. تتوقف عندئذ قليلاً عن البحث عن المعنى وتلجأ إلى قواعد الصرف والنحو، أي أنّك تحاول أنّ تدرس مكان العناصر التي تُعطي الجملة معنى: " أين هو الفاعل؟ والمفعول!... ". وبعد أنّ تكون قد درّست مكان هذه العناصر، تقرأ النصّ لتُعطيه معنى. أو إنّك ترى أنّ الرسالة تبدأ بشكل متشائم وتنتهي بما هو أفضل. فاللهجة قد تحوّلت شيئاً ما. ثمّ تُعيد قراءة النصّ لترى ما الذي ساعد على هذا التحوّل (قد يكون مجرد هذا التحوّل مفاتحة أولاد أخيها بمشاكلها). إنّك لا تخرج هنا عن النصّ، بل تحاول أنّ تفهمه في حدّ ذاته.

1- التحليل التاريخي

حين تقرأ رسالة عمّتك وردة، تساءلت ماذا تريد أنّ تقول لك، ولكيّ يمكنك أنّ تجيب، وضعت هذه الرسالة في داخل حياتها الماضية والحاضرة.

وهذا هو السؤال الذي نطرحه على أنفسنا أمام نصّ من نصوص الكتاب المقدس: " ماذا يريد لوقا أنّ يقول؟ ماذا يريد مؤلف كتاب التكوين أنّ يقول؟ "

لكنّ الأمور تبدو هنا أكثر تعقّداً. أنت تعرف عمّتك وردة. أمّا أنا فلا أعرفها، وإن قرأت رسالتها، أكوّن فكرة عنها انطلاقاً من خطّها ومن التلميحات التاريخية التي تلجأ إليها ومن العقلية التي تُظهرها. سأنسب إليها عمراً وبينية وأفكاراً، وأفسّر الرسالة انطلاقاً من هذه الشخصية المفتعلة. وهذا أمر لا يخلو من الخطر، فلا بدّ من معرفة ذلك: إنّني أخلق شخصية انطلاقاً من النصّ وأفسّر النصّ في ضوء ما أظنّ أنّي أعرفه عن هذه الشخصية.

ونحن كذلك لا نعرف لوقا أو مؤلف كتاب التكوين إلا من خلال نصوصهما. فلا بدّ من التقدّم بحذر والتأكد ممّا نُثبته.

الأمر سهل بالنسبة إلى العمّة وردة، لأنها من زمنى. ولكنّها، إن لمحت إلى الحرب العالمية الأولى، اضطرت إلى الاستناد إلى ما قرأته فى الكتب. والحال أن الكتب المقدّسة حُررت قبل ألفى سنة أو ثلاثة آلاف. فلكى تحدّد وضعها، سنستخدم على الأقلّ معلومات مقتبسة.

- من التاريخ كما نعرفه من الكتاب المقدّس ومن الوثائق الصادرة عن سائر الشعوب.
- من أدب ذلك الزمان: فاليهود المجلوون إلى بابل أرادوا أن يرووا أهمّ أساطير بلاد ما بين النهرين عن الطوفان، والمواعظ اليهودية التى ترقى إلى زمن يسوع تُظهر لنا كيف كانوا فى ذلك الزمان يفهمون نصّاً من نصوص الكتاب المقدّس...
- من علم الآثار: كانت أريحا دماراً حين استولى عليها يشوع. وفى أورشليم عُثِر على البركة ذات الأروقة الخمسة التى يذكرها يوحنا...

إنّ هذا البحث يعود إلى الاختصاصيين ولا شكّ. ولكنهم، من حسن الحظ، يهتمون بتزويدنا بأوجه نتائج أبحاثهم.

* أين تحدّد وضع الرواية؟

نتصوّر بسهولة زائدة أنّ الراوى ليس هو إلاّ مسجّلة تنقل الأحداث والأقوال كما هى، والحال أنّ المؤلف يُكلّمنا عمّا يعيشه وعن زمنه بقدر ما يُكلّمنا عن الحدث الذى يرويه. إليكم هذا المثل:

إنّ الزوجين الطاعنين يرويان زواجهما عشية يوبيلهما الذهبى. ولكى أفهم هذا الزواج، علىّ أن أضعه فى ظروف السنة 1930، وكذلك فى ظروف 1980، لأنهما يرويانه أيضاً فى ضوء نصف القرن هذا الذى قضياه معاً.

هذا شأن المؤلف الكتابى، فهو أيضاً لا يروى على وجه واحد قصة إبراهيم، وإن كان يكتب فى أيام داود السعيدة أو بعد ذلك بـ 500 سنة فى مخيم مجلوين فى بابل. وكذلك فأقوال يسوع لا بدّ أن تُفهم لا فى ضوء الثلاثينات فقط، بل فى ضوء حياة الجماعات التى وضعتها حوالى السنة 80 أو 90.

ذلك هو إذاً بالخطوط العريضة مشروع التحليل التاريخى، والمقصود به أن يوضع كلّ نصّ فى تاريخه، فى مختلف حقبات التاريخ التى نشأ فيها، لى يُعرف ما أراد المؤلف أن يقوله. (وهذا الأسلوب يُسمّى أحياناً الأسلوب " التاريخى النقديّ "، وهذه التسمية تدلّ على أنه يجمع وجهة النقد ووجهة التاريخ).

* التحليل المادى

" هذا ردّ فعل صادر عن بيتها " : ذلك كان تفكيرنا، عندما كنّا نرى العمّة وردة تؤكّد هذا أو ذاك فى رسالتها. وهذا يعنى أننا، حين نتكلّم، نظنّ أنّ المتكلّم هو نحن، بينما المتكلّم من خلالنا كثيراً ما يكون بيتنا وتربيتنا.

إنّ التحليل المادّي، إذ يضع النصوص في تاريخها، ينتبه إلى وجهة النظر هذه، وهي أنّ النصّ هو أيضاً وليد أوضاع الزمن الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة. يُسمّى هذا الأسلوب الأسلوب " المادّي " لأنه يستخدم شبكة التحليل التي اكتشفتها الماركسيّة. (لا بأس أن نستخدم هذه الشبكة دون أن نتنبّى جميع نظريّات الماركسيّة).

2- التحليل البنائيّ

لنعدّ مرّة أخرى إلى رسالة العمّة وردة. أمام جملة غامضة، توقّفنا قليلاً عن البحث عن المعنى، لكي ندرس مكان عناصر الجملة (من فاعل ومفعول...) التي بدونها لا يكون للجملة معنى.

والحال أنّه قد نشأ، منذ مطلع القرن العشرين، علم جديد يدرس الكلام، وهو علم الرموز. إنّه يبحث في عناصر الكلام أو ظروف معنى الكلام، وهي كلّها رموز.

إنّ الاختصاصيين في هذا العلم يفيدوننا بأنّ للنصّ قواعد كما أنّ للجملة قواعد. فكما أنّنا، عندما نكتب جملة، نراعي (دون أن نفكر في الأمر والحمد لله) بعض القواعد، كذلك، عندما نكتب نصّاً (رسالة، رواية..)، نراعي قواعد أخرى. لا مجال لدرسها، بل تجد بعضها في شرح الصفحة 15.

(13)

إليك ميزة من أهم ميزات هذا الأسلوب. في الأسلوب التاريخي، كنّا نخرج من النصّ لنفسره في ضوء ما أراد المؤلف أن يقوله. وأمّا هنا، فإنّنا نحاول ألا نخرج من النصّ، بل أن ندرسه في حدّ ذاته، بغضّ النظر عن نيّات المؤلف (" المؤلف قد مات "). **نجول في النصّ في جميع الأنحاء، فننسى ما نعرفه (أو نظنّ أنّنا نعرفه) عن النصّ، ونهمل ما نرغب في وجوده، لننظر إليه في حدّ ذاته. ذلك هو أهمّ مكاسب هذا الأسلوب.**

أنظر إلى صديقين ينتزهان في حرش. الأوّل يهوى الأزهار، وهو لا يرى إلا الأزهار. فالحرس في نظره هو أزهار. وأمّا صديقه، فهو لا يراها، بل يسحقها تحت قدميه: فالحرس في نظره طيور أو حجارة أو أشجار... وكذلك، نقرأ نصّاً، لنا عنه فكرة ولو عن غير وعى. نبحث فيه عن تعليم، أو نتوقع منه سنداً، ولا نعود نرى إلا هذا. وفي هذا الأمر سبب عدم التفاهم بيننا. والآن نتصوّر أنّ هذين الصديقين يبذلان زيارة إجمالية، على قدر الإمكان، للحرس، شرط أن ينسى كلّ منهما وجهة نظره. عندئذ يحاولان أن يريا كلّ شيء: الطيور والأشجار والأزهار... بعد ذلك يمكنهما، إن شاء، أن يتفقدا الأزهار، فلا يخطر ببالهما عندئذ أن يقولوا إنّ الحرس ليس إلا كذا، بل يعرفان أنّهما اختارا نوعاً من الزيارات وأنّ هناك أنواعاً أخرى.

إنّ فضل التحليل البنائى، وإنّ مارسناه بطريقة جرفيّة، هو أنّه يُرغمنا على أنْ نزور النصّ من أكبر عدد ممكن من الوجوه، فنُهمل وجهة نظرنا لننظر إلى النصّ. بعد ذلك، وفى قراءتنا الشخصيّة، قد لا نحفظ منه إلاّ وجهًا واحدًا، ولكننا نعلم أنّ هناك وجوهًا أخرى. وتغتنى قراءتنا بكلّ ذلك.

3- مَثَل

يمكننا أنْ نلخص ما قلناه بواسطة مثل: أتصوّر نفسي أستمع مع صديق إلى أسطوانة، إلى سمفونية لموزارت مثلاً. كلّ مِنّا يستمع إليها بنوع مختلف. فقد تبدو لى سارة، فى حين أنّ صديقى يجدها حزينة. كلّ مِنّا يستمع إليها على ما هو عليه، مع مشاعره الحاضرة، وهو ينقل هذه المشاعر إلى العمل الفنّى.

تفسيرنا يختلف حتّى إنّنا نقرّر درسها لمحاولة الوصول إلى الاتّفاق. نستعين بمجموعة أصوات وندرس العمل الفنّى فى حدّ ذاته، مكتشفين العبارات الموسيقية ودور مختلف الآلات إلخ. ثمّ نترك العمل الفنّى فنطالع، فى كتاب لحياة موزارت، ما قصد هذا من عمله. وباستخدامنا هذين الأسلوبين، نكتشف أشياء كثيرة، ونعدل عن بعض التفسيرات الشخصيّة. وهذا أمر مفيد جدًّا. لكن السمفونية لم توضع لتُدرس، بل ليُستَمَعَ إليها.

ولذلك فإنّنا نضع الإسطوانة ثانية لنستمع إليها. سيساعدنا درسنا على تحسين استماعنا إليها، ولكننا نُهمل الآن هذا الدرس لكى نطرب بالاستماع إلى السمفونية. نعطيها معنى ونجد فيها تذوقًا جديدًا للحياة. وهذا هو الأمر الجوهرى.

لنستبدل القراءة بالاستماع والكتاب بالإسطوانة، فنُدرك أهمّ ما نريد أن نبيّنه فى هذه الفقرة.

" علبة أدوات عمل "

الاتصال الأول إقرأ النصّ ودون ردود فعلك العفوية: ما يلفت انتباهك، ما يُعجبك ، ما يُثير تساؤلاتك...

درس النصّ

النصّ نفسه عُدّ إلى النصّ وأهمّل الفوائد التي تجدها في الكتاب المقدّس الذي بين يديك. إن لم يكن طويلاً، يمكنك أن تكتبه. اكتشف (مستعملاً أقلاماً ملوّنة، إن أردت):

- الكلمات أو العبارات التي تتكرّر أو تأتلف أو تختلف.
 - الممثلين (أشخاص أو أشياء): دون ما يعملون - ما يقولون - ما يجرى لهم...
 - الأماكن، التنقلات. هل ترتبط بعض الأماكن بشخص أو بفكرة؟.
 - الأزمنة: أزمنة الأفعال، أو غيرها من الملاحظات....
- انطلاقاً من هذه الفوائد، ابحث عمّا يجرى في النصّ: من هو الذي يعمل؟ أو عمّا يبحث؟ من (أو ما) هو الذي يُساعد على هذا البحث؟ أو يعارضه؟ كيف يتمّ الانتقال من فاتحة النصّ إلى خاتمته: أترى تحوُّلاً، لمن أو لماذا؟ كيف تمّ هذا التحوُّل؟ بأية مراحل مرّ؟ بفضل من (أو ماذا) تمّ هذا التحوُّل؟.

النصّ بعد وضعه في سياق الكلام

هذا النصّ جزء من مجموعة (كتاب، فصل). كيف يُربط بهذه المجموعة؟ ما هو محلّه فيها؟ بماذا يأتي؟.

النصّ بعد تحديد وضعه في الزمان

- يمكنك أن تستعين بما في كتابك المقدّس من فوائد ومُقدمات فتتساءل:
- في أي زمن وُضِعَ هذا النصّ؟ ما هو وُضِعَ الشعب أو المؤلف في ذلك الزمان؟.
- هل كان لبعض الكلمات أو العبارات معنى خاصّ في ذلك الزمان؟.
- إلى أي فنّ أدبيّ ينتمي هذا النصّ (راجع الصفحة 25)؟.
- هل هناك نصوص مماثلة في ذلك الزمان، في الكتاب المقدّس أو خارج الكتاب المقدّس؟ هل هذا النصّ من العهد القديم يتناول مواضيع وردت في الكتاب المقدّس؟ ماذا يُضيف إليها؟ هل هو يتناول مواضيع معروفة في الأدب المصري أو في أدب بلاد ما بين النهرين؟ ما هي وجوه الانتلاف ووجوه الاختلاف؟ هل هذا النصّ من العهد الجديد يتناول مواضيع يهودية تعود إلى أيام المسيح؟ أم نصوصاً من العهد القديم؟ وفي هذه الحال، كيف يستضيء بها؟ وكيف يُلقي ضوءاً عليها.
- إن كان في الكتاب المقدّس نصوص مماثلة، ولاسيما للأناجيل (انظر إلى المراجع في هوامش كتابك المقدّس): قارن بينها ودون وجوه الانتلاف والاختلاف. بماذا يساعدك ذلك على زيادتك فهماً لهذا النصّ؟.
- وُضِعَ هذا النصّ من قِبل جماعة ومن أجل جماعة. من يكلم من؟ للإجابة عن أيّ سؤال؟.

تحقيق

راجع الأسئلة المدونة في المطع: هل في إمكانك أن تُجيبَ عنها؟.

قراءة النصّ

تدع جانباً هذا الدرس و" علبة أدوات العمل" هذه، وتقرأ النصّ:
بماذا يوحى إليك؟ بماذا يساعدك على الحياة؟.

(15)

عندما نُخرج علبة أدوات عملنا، لا نريد من ذلك أن نستعمل جميع الأدوات، بل أن نُفكّ محرّكنا. إليك فيما يلي بعض الأدوات التي تساعدك على فكّ نصّ من النصوص: ليست الغاية أن تستعملها كلّها.

الاتصال الأول:

هذه القراءة الأولى كثيراً ما تكون القراءة الوحيدة التي تقوم بها. إنها تُمكننا من أن نكتشف النصّ قليلاً، ولا سيّما من أن نكتشف أنفسنا: ما هي مراكز اهتمامنا ومشاغلتنا...

درس النصّ:

نستخدم هنا الأساليب الكبرى التي تكلمنا عليها. الأسئلة الأولى تُستوحي خاصة من التحليل البنائي، والأسئلة التالية من الأسلوب التاريخي. وليس الهدف من ذلك أن نطبّق أسلوباً تطبيقياً كاملاً، بل أن ندرس نصّاً.

النصّ نفسه:

قد تبدو لك هذه الأسئلة مدرسيّة أو صبيانيّة. فائدتها أن تحمل الإنسان على الإمعان في النصّ وعلى الابتعاد عن الأفكار المبتذلة. لا تتردد في أن تصرف فيها بعض الوقت، ستري أن في ذلك ربّحاً.

كنّ منتهياً، ولا سيّما إلى جميع التناقضات. فلا يفكّر الإنسان إلا بالنسبة إلى الاختلاف. فإذا قلت إن هذا البيت كبير، فلا معنى لقولك إلا لأنك تشبهه، قلّما في داخل فكرك، بمكتب لا ببنية. تبدأ الرواية حال وجود نقص، وتنتهي حين يُسدّ هذا النقص، والغاية من الرواية هي أن تُرى بآية مراحل تمّ المرور للوصول إلى ذلك وما هي العقبات التي وجب تذليلها. إن مختلف الممثلين (أشخاص أو أشياء) في النصّ ينتظمون حول هذا البحث عن الغرض الناقص، ويمكننا أن نجمعهم في ست فئات:

موجّه إليه

الغرض

المحرّج



المعارض

الفاعل

المستجد

إليك مثلاً بسيطاً: أرى أن جاري بولس عطشان، ينقصه الغرض شراب. فأطلب من بطرس

أن يأتيه بما يشرب. أنا - الموجّه - أقيم بطرس فاعلاً ليذهب ويأتي بالعرض الذي ينقص بولس، الموجّه إليه. لكي يستطيع بطرس أن يكون فاعلاً في الحقيقة، لا بد أن تكون له الإرادة (يستطيع الرفض) والمعرفة (أين يجد الشراب) والقدرة (عنده مال). سيساعده مساعدوه بإعطائه المعرفة (أين يوجد البراد) أو القدرة (المال)، ولكن هناك معارضين قد يعرقلوا عمله... ومن الممكن أن يكون هناك أشخاص يعارضون أو يساعدون أو ينقصهم الغرض، ولكنهم يشكّلون فريقاً واحداً.

تذكر أيضاً أننا لا نبحث هنا عن المعنى: نبحث عن مكان العناصر التي تعطي النصّ معنىً. لا تتردد في صرف الوقت لهذا البحث. ستري أن النصّ بعد ذلك يصبح أشدّ إحياءً إليك.

النصّ في ظروف وضعه:

تعودنا كثيراً، ولا سيّما بالقراءة الطقسيّة في القدّاس، أن لا نقرأ إلا مقاطع قصيرة من النصوص. وضعها في الظروف التي وضعت فيها، ترّ عندئذٍ أنها كثيراً ما تكتسب نكهة جديدة.

النصّ في زمنه:

نستعمل هنا الأسلوب التاريخيّ خاصّة. هذا هو الوقت الذي يحسنُ بك أن تقرأ فيه المقدّمات والحواشي التي تجدها في كتابك المقدّس: فإنك تجد فيها على وجه العموم ما تحتاج إليه من المعلومات الأساسيّة. وفي إمكانك، إن شئت، أن ترجع إلى أطلس أو إلى شرح.

ولا تنسَ أن تتساءل لماذا أراد المؤلف أن يروي هذا الحدث أو تلك الأقوال: لم يفعل هذا بدون مبرر، لأنّه كان يُجيب عن سؤال كانوا يطرحونه في ذلك الوقت.

قراءة النصّ:

في آخر الأمر، هذا ما لا بد أن ينتهي إليه ذلك العمل كلّ. كرّس له الوقت اللازم. ويُمكنك أن تحاول أن تكتب النصّ ثانية، كما يوحي به إليك الآن.

(16)

4 - شعب متأثر بجغرافيّة بلاده

أنظر إلى خريطة الشرق الأوسط في الصفحة التالية. انتبه إلى مكان الأبحار والبراري. وهذا الأمر يُفسّر لنا كيف أنّ الحضارات ستنشأ وتنمو في ثلاث مناطق رئيسيّة، في السهول والوديان.

الحضارات الكبرى

في الجنوب، في وادي النيل، ابتداءً من الألف الثالث ق. م، أصبحت مصر شعباً ذا شأن، تحكّمه سلالات ملوك أو فراعنة يُقيمون تارةً في الشمال (ممفيس)، وتارةً في الجنوب)

تبيس) . يُقسّم عادة تاريخ مصر بحسب السلالات الملكية. فالخروج مثلاً قد تمّ على الأرجح في عهد السلالة التاسعة عشر (حوالى 1250 ق.م.).

في الشمال، في إتجاه آسية الصغرى، عاش الحثيون. كان لهم نفوذ واسع مدّة 1500 سنة، ولم يبق لهم أثر في عصر الكتاب المقدس.

في الشرق، تمتدّ بلاد ما بين النهرين، وتسمّى هذه المنطقة الهلال الخصيب. قد تجانبت أو تعاقبت فيها حضارات رائعة، ثمّ زالت وعادت إلى الحكم بعد بضعة قرون. نجد خاصّة في هذه المنطقة، في الجنوب سومر وأكد وبلاد بابل، وفي الشمال بلاد آشور، وهذه أراضى العراق الحالية. وفي الشرق أيضاً، أى في إيران الحالية، ظهر الميديون ثمّ الفرس.

وهناك شعوب أخرى قد أتت من الغرب، من أوروبا حالياً، فاجتاحت الشرق الأوسط: وهم اليونانيون ق. م. بثلاثة قرون، ثمّ الرومانيون ق. م. بقرن واحد.

ماذا جرى حين تتجاوز شعوب كبيرة؟ إنّها تتحارب. يقول الكتاب المقدس: " عند عودة الربيع، حين يخرج الملوك إلى الحرب..."، كما نقول اليوم: " عند عودة الخريف، حين يذهب الناس إلى الصيد...". والقتال يعنى التلاقى أو الزحف على الآخر، ولا بدّ لذلك من المرور بالممرّ الضيق الذى يفصل البحر المتوسط عن صحراء جزيرة العرب.

والسيّنة الوحيدة أنّ الشعب الذى نهتمّ به، إسرائيل، يقيم فى هذا الممرّ! ومن هنا نفهم إلى آية درجة كانت حياته مرتبطة بقوة سائر الأمم. كان دولة حاجزة بين الدول الكبرى، فاستعملته تارةً هذه وتارةً تلك كحصن متقدّم.

ولكى تتمكّن من أن تكون فكرة خاطفة عن تعاقب هذه الدول الكبرى، يمكنك أن تقرأ النصوص المحاطة بإطار والتي تجدها فى الخريطة. والأرقام تدل على ترتيب تدخلها فى تاريخ إسرائيل. وإن أردت أن يكون لك مزيد من التفاصيل، يمكنك أن تأخذ أطلساً أو أن تنظر إلى الجدول الزمنى الذى تجده فى بعض طبعات الكتاب المقدس.

كنعان

إنّ كلمة كنعان تدلّ، فى الكتاب المقدس أو فى غيره من النصوص، إمّا على أرض وإمّا على سكّان.

تمتدّ أرض كنعان تقريباً على أرض فلسطين الحالية. وتجد خريطة مبسّطة لها فى الصفحة 44. انظر إلى هذه الخريطة. فالأرض مقسّمة عمودياً إلى عدّة مناطق.

على طول البحر المتوسط ينتشر سهل ساحلى يقطعه جبل الكرمل.

المنطقة الوسطى مكوّنة من انجاد (الجليل) وتلال (السامرة ويهوذا).

أخيراً، فى الغرب، يمتدّ وادٍ غريب عند سفح جبل حرمون، على مائتى متر فوق مستوى البحر. عند بحيرة الحولة، يبلغ هذا المستوى 68 متراً، ولكنّه، عند بحيرة طبرية،

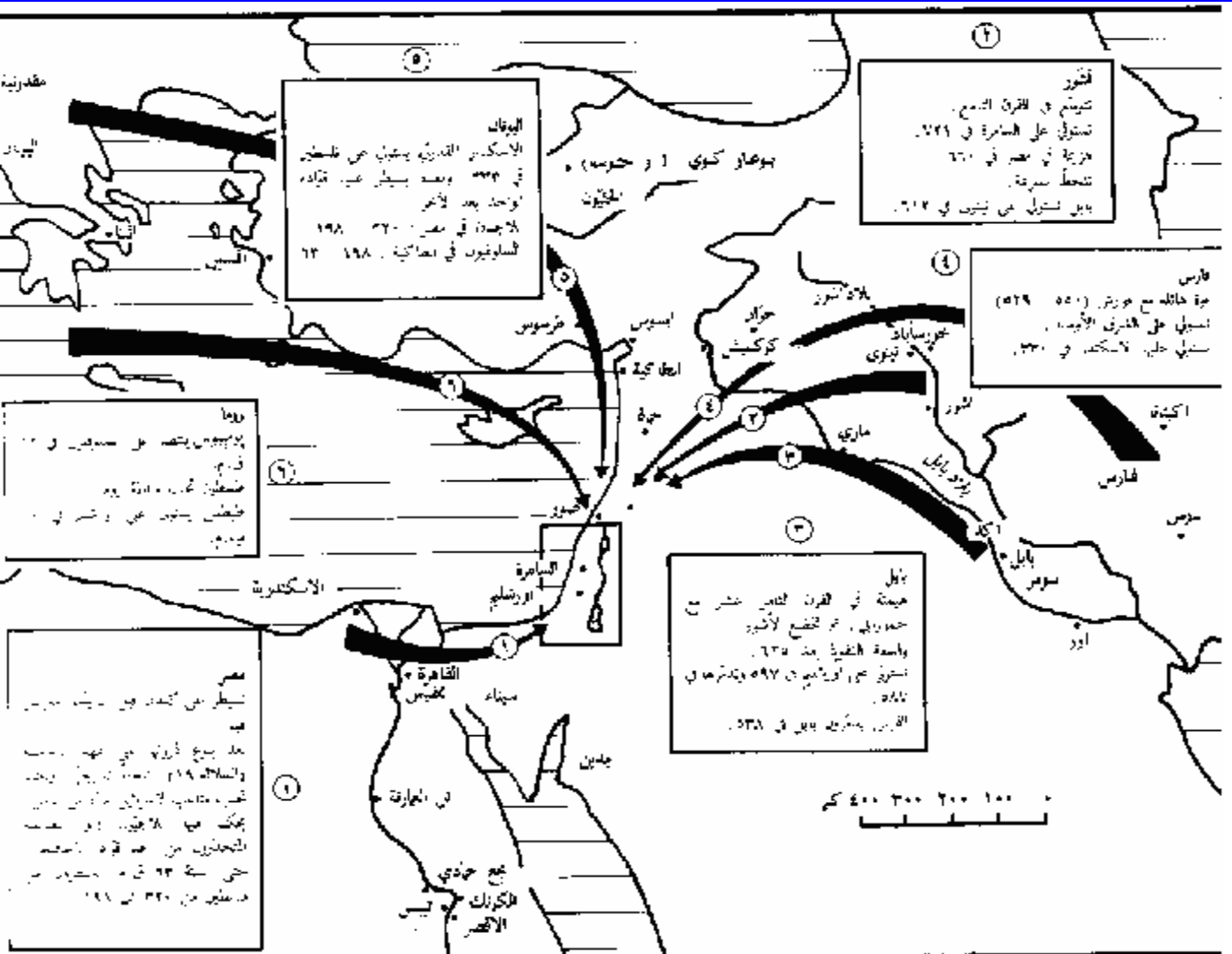
أى على 15 كيلومتراً من هناك، يصبح 212 تحت البحر، ويصبّ الأردن في البحر الميت، أى على ناقص 392 متراً!

فى هذه الأرض وفى القرن الثانى ق.م.، أقامت الأسباط التى أصبحت، حوالى السنة 1000، مملكة داود - سليمان. وعند وفاة سليمان، انقسمت المملكة إلى قسمين: فى الجنوب، مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم، وفى الشمال، مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة.

ونحو القرن الثانى عشر أيضاً، أقام الفلسطينيون على ساحل البحر المتوسط، فى الجنوب. وقبل المسيح ببضعة قرون، أطلق اليونانيون اسمهم على الأرض: فلسطين أو أرض الفلسطينيين.

وهناك مملكة صغيرة أخرى لعبت دوراً هاماً فى تاريخ إسرائيل: مملكة دمشق.

ونرى منذ اللحظة إلى أية درجة سيرتبط إسرائيل بتاريخ سائر الشعوب. وبقي لنا أن نرى إلى أى حدّ سيتأثر تفكيره وعقليته بسائر الحضارات.



- (1) **مصر:** تسيطر على كنعان قبل أن يُقيم إسرائيل فيها. بعد بلوغ ذروتها على عهد الرعامسة (السلالة 19)، تنحط تدريجياً، ولكنها تجلب متاعب إلى إسرائيل مدة من الزمن. يحكم فيها اللاجئون (أو البطالمة الكنحدرين من أحد قواد الإسكندر) حتى السنة 63 ق.م. يسيطرون على فلسطين من 320 إلى 198 ق.م..
- (2) **أشور:** تتوسّع في القرن التاسع. تستولى على السامرة في 721 ق.م.. هزيمة في مصر 660 ق.م.. تنحط بسرعة. بابل تستولى على نينوى في 612 ق.م..
- (3) **بابل:** هيمنة في القرن الثامن عشر مع حمورابي. ثم تخضع لأشور. واسعة النفوذ بعد 625 ق.م.. تستولى على أورشليم في 579 ق.م. وتدمرها في 587 ق.م.. الفرس يدمرون بابل في 538 ق.م..
- (4) **فارس:** قوّة هائلة مع قورش (550 - 529 ق.م.). تستولى على الشرق الأوسط. يستولى عليها الإسكندر 330 ق.م..
- (5) **اليونان:** الإسكندر المقدوني يستولى على فلسطين في 333 ق.م.. وبعده يسيطر عليها قواده الواحد بعد الآخر. اللجئون في مصر 320 - 198 ق.م.. السلوقيون في أنطاكية 198- 63 ق.م..

5 - شعب متأثر بعقلية الشرق الأوسط

كان إسرائيل، طوال تاريخه على اتصال بالشعوب المجاورة، وكان مطلعاً على روائعها الأدبية. سننتهز الفرص انقرأ مقتطفات منها. أما الآن، فإنا نحاول أن نحدد أوضاع هذه الحضارات الكبرى.

إنّ العقلية المصرية تأثرت بالأرض المصرية. يعيش المصريّ في منطقة نيّرة. وإنّ شعر بشئ من القلق عند رؤيته الشمس تغيب في المساء فقد علمه الاختبار أنّها تعود فتطلع كلّ صباح، منتصرة على قوآت الليل. ألّهمت الشمس تحت أسماء مختلفة، فأصبحت الإله الأوّل الذي يلد سائر الألهة والبشر. يُمكنك أن تقرأ في النصّ المحاط بإطار بعض مقاطع من النشيد للإله الشمس، الذي ألفه، نحو السنة 1350ق. م، الفرعون إخناتون. لا شك أنّ صاحب المزمور 104 قد استوحى منه.

نشيد مصري لآتون إله الشمس

إليك بعض مقتطفات من هذا النشيد الذي ألفه الفرعون إخناتون:

تظهر كاملاً في أفق السماء.
أيها القرص الذي صدرت منه الحياة.
حين تطلع في الأفق الشرقيّ،
تملاً أرضنا كلّها بكلماتك.
وحين تغيب في الأفق الغربيّ
تظلم الأرض كالموت.
ترقد الأرض في السكوت
لأنّ خالقها يستريح في أفقها.
ثمّ تشرق الأرض عند طلوعك
وعند سطوعك، أيها القرص الشمسيّ أثناء النهار.
يستيقظ الناس ويقومون على أرجلهم.
أذرعهم تسجد لظهورك
ثمّ تنصرف الأرض كلّها إلى أعمالها.
جميع البهائم مسرورة في مراعيها.
الأشجار والأعشاب تخضوضب
والطيور تطير خارج أعشاشها
وأجنحتها ساجدة لك.
المراكب تنزل أو تصعد مجرى النهر.
والأسماك تقفز أمام وجهك.
تُسمى البذر في النساء
وتخلق الزرع عند الرجال.
ما أكثر إبداعاتك!
إنّها محجوبة عن وجه الناس
أيها الإله الأوحد الذي لا نظير له.

خلقت البشر لأجلك
أنت ربهم جميعاً مهما بلغ عددهم
الذى يتعب من أجلهم
رباً الأرض الذى يسطع من أجلهم.
أنت فى قلبى...

النيل معروف بفيضاناته، لكن هذه الفيضانات تتم فى مواعيد ثابتة وتأتى بالطمنى
المُخَصَّب وبالماء المُحْيى.

ولذلك المصرى متفائل المزاج طبعاً. آلهته كلها حنان ورأفة، وهى تسهر على الناس.
وهناك، بعد الموت، حياة جديدة ساطعة تنتظر المؤمن، وإن كانت هذه الحياة غير
شخصية.

أمّا عقلية بلاد ما بين النهرين، فهى فى أساسها متشائمة إجمالاً. فساكن هذه
المناطق يعيش فى وادٍ فيضاناته غير متوقعة وقد تؤدى أحياناً إلى " طوفانات " عُثر على
كثير مما خُلفته فى الحفريات الأثرية. واجتياحات البدو الآتين من صحراء جزيرة العرب أو
المتدفقين من إتجاه إيران كانت كثيرة.

ولذلك فالهة بلاد ما بين النهرين متقلّبون إجمالاً، فى صراع دائم بينهم. فيبدو الإنسان
بشراً مرعوباً يحاول أن يحتمى من ردود فعل غضبهم. إن الآلهة قد أورثوه الموت وجبلوه
بالكذب. ومملكة ما بعد الموت محزنة، فأشباح الأموات مجتمعة فيها لمصير خال من الفرح.
هذه بعض الأساطير الكبرى وسنستشهد ببعض مقتطفات منها.

* نعرف ملحمة أطراحسيس (الذكى جداً) من نسخة عُثر عليها فى بابل ويرقى عهدها
إلى السنة 1600 ق. م. فى هذ القصيدة المؤلفة من 1645 سطراً، يظهر لنا الآلهة متعبين
من كثرة السخرات التى يقومون بها.

(19)

فيقررون أن يخلقوا الإنسان ليقوم بهذا العمل. فيصنعونه من الطين الممزوج بدم إله
مذبوح. لكن البشرية تتكاثر وتحدث ضجيجاً وثُعب الآلهة. فيرسلون لها بلايا مختلفة وفى
آخر الأمر الطوفان. لكن الإله آيا أعلم رجلاً بالأمر فبنى هذا الرجل سفينة وأركب فيها
عائلته وزوجين من جميع الحيوانات...

* والقصيدة أنوما إليش (عندما فى العلى..) هى أيضاً قديمة جداً. لا شك أنها وُضعت
فى شكلها الحالى حوالى السنة 1100 ق. م. فى أصل كل شئ مصدران ذوان جنس: عبسو (
المياه الحلوة) وتيامات (مياه البحر المالحة). منها خرج جميع الآلهة. أرادت تيامات أن
تقتلهم لأنهم يزعمونها، لكن مردوك انتصر عليها وشطرها كالمحارة وجعل منها قبة
السماء. ثم خلق الإنسان من دم إلهٍ متمرّد....

تنظيم الكون فى بابل

تروى القصيدة أنوما إيش مولد الآلهة انطلاقاً من عبسو، العنصر الذكر، وتيامات، العنصر الأنثى. أرادت تيامات تدمير الآلهة الفتيان الذين يزعمونها. ففوضوا سلطتهم لماردوك (إله بابل). فقتل تيامات والآلهة الذين يساعدونها. ثم أخذ جسمها وكون العالم:

" ثَبَّتَ مردوك قبضته على الآلهة المقيّدة
وعداد إلى تيامات التي هزّمها.
وبكتلته التي لا ترحم شقّ جمجمتها.
سكن السيّد وتأمّل الجثمان
وأراد أن يقسمّ الوحش
ويجعل منه تحفة.
فشأطره كالسمكة المجفّقة
ومن الشطر الأوّل صنع قبة السموات
ورسم الحدود وأقام حرساً
وعهد إليهم يمنع المياه من الخروج"

يمكنك أن تقارن بين هذه الأسطورة من جهة وبين رواية الفصل الأول من التكوين والأسطورة التالية من جهة أخرى، وهي كثيراً ما تُمثّل فى النقش المصرى:

تنظيم الكون فى مصر

قام شو إله الجوى، بفصل ابنته نوت، القبة السماوية، عن ابنه جيب، الأرض (مخطوطة برديّة بين 1100-950 ق. م.).
وهناك نشيد ، وُضع فى حوالى السنة 1400 ق. م.، يشيد بآمون الإله الشمس، الذى يقضى الليل فى السهر على البشرية النائمة.
والآلهة الذين هو أبوهم يمدحونه:

" يقولون لك: " أهلاً بك بسلام!
أنت أبو الآباء والآلهة
الذى يرفع السماء ويدحر الأرض
صانعاً الموجود ومكوّناً الكائنات.
إننا نمجّدك لأنك تتعب من أجلنا".

* ولا شك أن ملحمة جلجامش أشهر تحف بلاد ما بين النهرين القديمة. نشأت فى سومر ونمت، مدة أكثر من ألف سنة، فى بلاد آشور وبابل. عُرُفت ونُسخت فى فلسطين عند الحثيين. وهى مؤلفة، فى شكلها الحالى من إحد عشر نشيداً.

ورد أنّ جلجامش، وهو من أبطال سومر، أزعج الآلهة بسبب كبريائه. فأقاموا له منافساً يُسمى أنكيديو وهو وحش يعيش مع البهائم. وقامت امرأة وجعلت منه إنساناً، فأصبح صديقاً لجلجامش، وأخذ الاثنان يقومان بالمأثر. واتفق ذات يوم أنّ أنكيديو مات. فاكتشف جلجامش فظاعة الموت وشرع يبحث عن الخلود. فأطلعه بطل الطوفان على سرّ شجرة الحياة. ووفقّ جلجامش في الاستيلاء عليها، ولكن حية خطفها منه، فلم يبق له إلا أن يموت.

زادت معرفة **العقلية الكنعانية**، منذ أن عُثر، ابتداء من السنة 1929، على مكتبة مدينة أوغاريت، رأس شمرا الحالية الواقعة في سورية. توافقت ذروة هذه الحضارة السنة 155 ق. م. تقريباً، وهو عصر الآباء.

أكبر الآلهة يُسمى إيل، وكثيراً ما يظهره بشكل ثور. (أحد أسماء الله في الكتاب المقدس هو إيلوهيم، جمع إيل) وهذه الديانة تعبد قوات الطبيعة المؤهبة: البعل، إله العاصفة والمطر، ويُسمى أحياناً " ركب الغمام " (كالله في مز 5) وعُنت شقيقته، وقد سُميت فيما بعد عشتار، وهي إلهة الحرب والحب والخصب.

إنّ إسرائيل ولا سيما مملكة السامرة، سوف تميل إلى هذه الديانة الكنعانية وإلى عبادتها الجنسية المؤداة للإلهة العارية، على المشارف، وإلى شعائرها المقصود منها خصوبة الأرض والمواشي.

(20)

أساطير الطبيعة في كنعان

هناك قصيدة تمدح بعل وموت عُثر عليها في أوغاريت. بعل هو إله العاصفة والمطر، وموت إله الموت. فالمقصود هنا هو مشكلة الخصوبة المقلقة: وضع بعل نفسه في تصرف الناس فأخصب الأرض بمطره. فابتلعه موت، إله العالم الأسفل. فهل يبقى الماء رهينة الأرض، فيسبب الجفاف؟ في المقتطف التالي من القصيدة، نرى إيل، الإله الأعلى، يشعر بأنّ بعل سيولد ثانية وبأنّ المطر سيعود إلى النزول. ويُخبر أحد بالحلم الذي سيحلم به إيل:

" إن كان بعل القدير حياً
إن كان هنا الأمير سيّد الأرض
لرأى في المنام، وهو إيل الرحيم الواسع القلب
وفي الحلم، وهو خالق المخلوقات،
لرأى السنوات تمطر دسماً
والأودية تدرّ عسلاً "

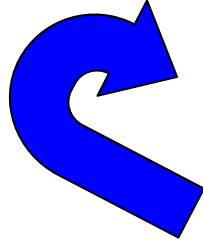
حلم إيل هذا الحلم وسرّ
" في المنام، وهو إيل الرحيم الواسع القلب
وفي الحلم، وهو خالق المخلوقات،
يرى السموات تمطر دَسَمًا
والأودية تدرّ عسلًا.
يصرخ إيل الرحيم مسرورًا:
" أنا قادر على الجلوس والسكون
لأنّ بعل القدير حيّ
لأنه الأمير وسيّد الأرض هنا".

نجد في الكتاب المقدس العبادة " أرض تدرّ لبنًا (أو دَسَمًا) وعسلًا
(انظر خر 8/3 مثلاً). سنبحث في مشكلة الخصوبة هذه (إلى من ننسبها:
إلى البعل؟ إلى الله؟)، حين ندرس مملكة الشمال (الصفحة 47).

نكتشف **العقلية الكتابية** طوال مسيرتنا. ولكن يحسن بنا أن نلاحظ هنا طابعًا أساسيًا
يميّزها عن سائر العقليات التي ذكرناها.

" اسمع يا إسرائيل، الرب أحد!" ذلك هو إيمان الشعب الأساسي كما سيعبر عنه سفر
تثنية الاشتراع (4/6). يعي إسرائيل أنّ إلهه هو الذي يناديه، فيجيب الشعب بالمحبة.
يمكننا أن نمثل الفكر الأسطوري بسهم ينطلق من الإنسان ويعود إليه: فالإنسان يُرسل إلى
الغيب صورة إله، ثمّ أنه، بالرتبة يحاول أن يتسلط عليه ويستخدمه.

الإلهي



الإنسان

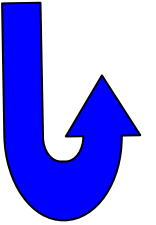
الرتبة

أمّا في الكتاب المقدس، فالسهم ينعكس. فإنّ الله هو الذي ينادى الإنسان والإنسان يجيبه.
فتصبح الرتبة هنا تعبيراً عن الجواب.

الله

الرتبة

الإنسان



قد تكون الرتبة واحدة، ولكن معناها قد تغير. فهناك فرق بين الولد الذي يقدم لأمه باقة زهور لتأذن له في الذهاب إلى السينما، والولد نفسه الذي يقدم الباقة نفسها يوم عيد الأمهات: ففي هذه الحال يصبح الأمر بادرة مجانية تعبر عن الجواب إلى حب الأم ورتبة عرفان جميل. وهذا هو الموقف الأساسي من سرّ الافخارستيا الذي سنعود إليه.

وقد حان الوقت، بعد أن وضعنا هذه الأدوات في حقائبنا، أن ننتقل إلى اكتشاف الكتاب المقدس.

(21)

الأسطورة

صادفنا عدة مرّات كلمة "أسطورة". فما هو المقصود بها؟.

تظهر لنا الأساطير القديمة بمظهر قصص تعرض أمامنا آلهة أو إلهات أو أبطالاً قدماء. قد نرتبك عند القراءة الأولى، ولكننا لا نلبث أن نستسلم للقراءة، لشعورنا بأن المواضيع التي تتناولها هي المسائل الكبرى التي نحملها في أنفسنا: من أين أتى العالم؟ لماذا يوجد الإنسان؟ لماذا الألم والموت؟ لماذا يتجاذب الجنسان؟ ما هي صلة الإنسان بالآله؟.

ولكن، بدلاً من أن تُعالج هذه المسائل في كتب علمية عويصة كما نفعله في أيامنا، كانت الأساطير تؤدي هذه الخدمة "بأشرطة مرسومة".

اليكم مثلاً عصرياً، هو انتخاب ملكة جمال العالم. ففي عصر لم يعد للملكية وجود تقريباً، ننتخب ملكة تحيط بها وصيفاتها. نقضي حياتنا في أكثر الأحيان في التفاهة والمتاعب اليومية: وهذه الملكة تُتوّج وتنال هدايا رائعة... كل ذلك يُسهم في وضع هذا الانتخاب في عالم آخر، عالم الأحلام، عالم غير حقيقي. ولكن ذلك يُعبر عن رغبة كل امرأة في أن تكون جميلة وغنية وفي أن تُوفّق، وعن رغبة كل رجل في أن ينظر بإعجاب إلى جمال المرأة. ولكن هناك خطراً: فقد يفقد الإنسان حريته أمام هذه الأسطورة ولا يعود هو هو. نرى، على سبيل المثال، فتيات يقلدن تسريحة ملكة جمال العالم أو يحاولن أن يكون لهنّ ما لملكة جمال العالم من قياسات، مع أن ذلك لا يناسب نوع جمالهنّ. والروايات المصوّرة لبعض المجلات، حيث الضاربة على الآلة الكاتبة تتزوّج من ابن رئيس ومدير مجلس الإدارة، تلعب الدور نفسه، فإنها تحمل الضاربة على الآلة الكاتبة على الأحلام ولربّما تمكّنها أن تعيش، ولكن في الأحلام، وقد يبلغ بها ذلك إلى إهمال عملها وإلى صرف وقتها في استمالة ابن ربّ العمل.

وإن أردنا أن نيسط الأمور إلى أبعد حدّ، نستطيع أن نقول: الغاية من الأسطورة أن نتناول مسألة كبرى من التي نحملها في أنفسنا وأن نرسل صورتها، في شكل قصة، إلى عالم غير حقيقي، في زمن يسبق الزمن، زمن الآلهة، حيث لم يكن للإنسان من وجود. هذه القصة عن الآلهة هي قصتنا، ولكن بعد نقلها من وضع إلى وضع جديد. فتصبح نموذجاً يجب على

الإنسان أن يقلده.

يتساءل الإنسان، على سبيل المثال، ما يعنى التجاذب بين الجنسين أو كيف يحصل على الخصوبة. فيتصور عالماً، خارجاً عن الزمن، كان الآلهة والإلهات يحبون فيه بعضهم بعضاً ويتزاوجون ويولدون. وإن كانوا خصبين، تكون أرضنا ومواشينا خصبة أيضاً. بما أن هؤلاء الآلهة ليسوا سوى نقل خيالي لوجودنا. فلا بدّ من إكراههم على الإخصاب. فالرتب تهدف إلى إكراههم على التزاوج. والاقتران بالبغايا المقدسة في بابل أو في المشارف الكنعانية لم يكن نوعاً من القسوف، بل كان رتبة دينية تبعث على خصوبة الأرض.

فكلّ هذه القصص الأسطورية هي في غاية الجدّة، إنها تفكير البشرية الأول. فلا عجب أن يكون الكتاب المقدس قد تبني هذا المنهج للتعبير عن تفكيره الخاص، ولكنّه قد حوّلته تحويلاً عميقاً. يمكننا أن نقول بسرعة أنّه اتخذ رواية مصوّرة وجعل منها رواية نفسانية.

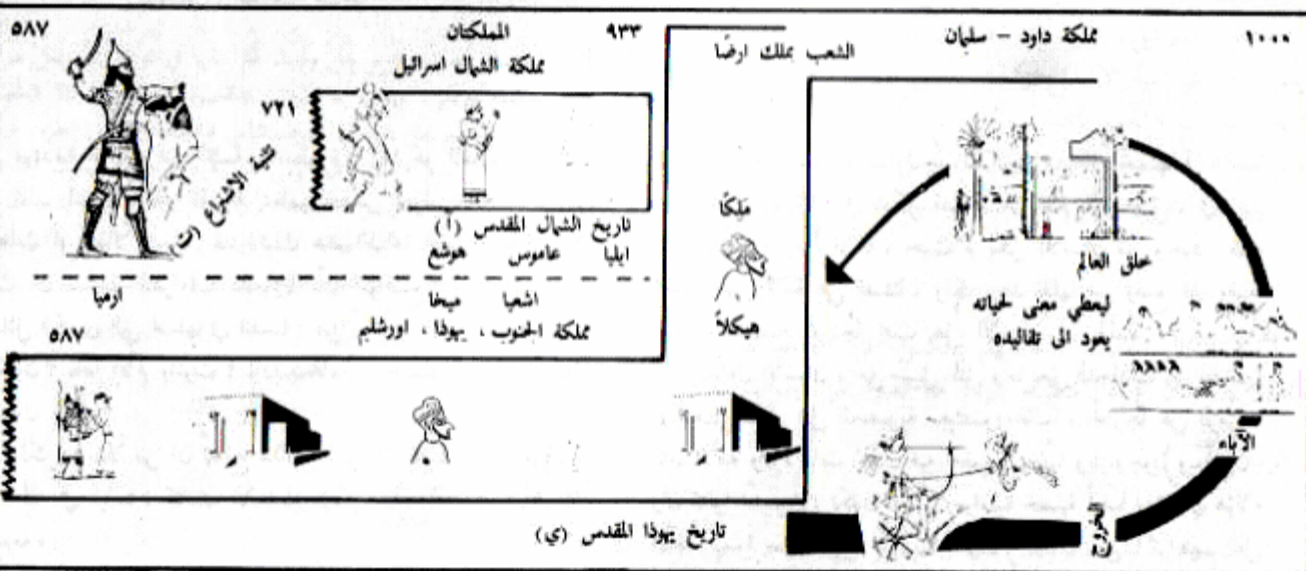
لنأخذ رواية نفسانية تعرض لنا حياة زوجين مع أفراحهما ومتاعبهما... تبدو لأوّل وهلة أنّها تشبه الرواية المصوّرة إلى حدّ ما، ولكنها نقيضها في الواقع. فهي لا تحملنا على الهرب إلى عالم الأحلام، بلّ تعيدنا بالعكس إلى حياتنا اليومية، لأنّها مؤلّفة من ألف ملاحظة استقاها الكاتب من أزواج مختلفين. وهي تحملنا على التفكير في حياتنا وعلى تسلّم زمامها.

فالكتاب المقدس، باستلهامه من هذه الأساطير الكبرى، ولا سيّما في روايات خلق العالم، يعيد التفكير فيها وفقاً لإيمانه به واحد يتدخّل في تاريخنا ويريد أن يكون الإنسان حرّاً.

(22)

6- ألف سنة من التاريخ

أو أعظم ساعات تاريخ إسرائيل



الغاية من هذه اللوحة أن تساعدك على تحديد ظروف أعظم ساعات تاريخ إسرائيل. والرسوم تعرفنا إلى رسوم أو نقوش ترقى إلى عصور مختلفة. وستجدها ثانية، مع عرض سريع، في مطلع كل فصل وفي الصفحتين 4 و 20، ولا سيما 115.

مملكة داود - سليمان

في حوالي السنة 1000 ق.م، استولى داود على أورشليم وجعل منها عاصمة مملكة تضم أسباط الجنوب والشمال. ونظمها بعده سليمان ابنه.

فأصبح لإسرائيل أرض وملك وهيكل يحضر الله فيه من أجل شعبه.

ووافق هذا الزمن نشأة الأدب. فقد ابتدأوا تدوين ذكريات الماضي: فأصبح الخروج، أو التحرير من مصر، الاختبار الأساسي الذي يكتشفون فيه أن الله محرر ومخلص. وأخذوا يكتبون قصة الآباء (إبراهيم وإسحق ...) مظهرين كيف أن وعد الله لإبراهيم تم مع داود. وكانوا يرقون أيضاً إلى بدء العالم: إن الله يريد أن يحرر، لا شعباً فقط، بل البشرية كلها.

الملكتان: يهوذا وإسرائيل

لما مات سليمان في السنة 933 ق.م، انقسمت مملكته إلى قسمين: في الجنوب مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم، وفي الشمال مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة.

بقيت مملكة يهوذا موالية لسلالة داود. الملك يوحنا الأمة ويمثلها أمام الله، ذلك الإله الذي يسكن في وسط شعبه في الهيكل. والتقاليد التي نشأت في أيام داود وسليمان أصبحت "تاريخاً مقدساً يهودياً". وكان النبيان أشعيا وميخا يُبشّران الشعب.

قطعت مملكة إسرائيل علاقاتها مع سلالة داود، فلم يكن للملك ذلك الشأن الديني الرفيع. فالنبيّ هو الذي كان يلعب دور مجّمع الشعب وكان يحافظ على إيمانه الذي كان يهدّده الاحتكاك بالديانة الكنعانية التي تُكْرَم الآلهة بعل (في اللوحة أحد منهم راكب ثوراً). والتقاليد التي نشأت في أيام داود وسليمان أصبحت " تاريخاً مقدساً للشمال ". وكان الأنبياء إيليا وعاموس وهوشع يُبشّرون الشعب.

في الشمال نشأت مجموعات من القوانين، أعيد النظر فيها في يهوذا فأصبحت سفر تثنية الاشتراع.

في السنة 721 ق. م، دَمَّر الآشوريّون مملكة إسرائيل.
في السنة 587 ق. م. جُلّيت مملكة يهوذا إلى بابل.

(23)

<p>٣٣٣ ... اليونانيين والرومانيين</p> <p>الاسكندر يفتح الشرق الأدنى</p>  <p>١٦٦ - ١٦٤ الاضطهاد عصر الشهداء</p>  <p>دانيال الروى</p>	<p>٥٣٨ حكم ... الفرس</p> <p>التفكير والتقليد يصبحان كتاباً</p> <p>عزرا، حوالي ٤٠٠ جمع ي وآ وت وك ليجعل منها الشريعة او التوراة</p>  <p>وُضعت اسفار الانبياء</p>  <p>أدى للتفكير الحكماء الى رواع مختلفة</p> 	<p>٥٨٧ الجلاء الى بابل</p> <p>حزقيال اشعيا الثاني</p> <p>التاريخ الكهنوتي المقاس (ك)</p>  <p>٥٣٨ لى حرر قورش اليهود</p> 
---	--	--

هذه الوحة وجيزة، ولكنها مهمة، لأنها تدلنا على الطريق الذى سنسلكه.

الجلاء إلى بلاد بابل

مدة نصف قرن، عاش الشعب في المنفى. فقد كل شئ: أرضه ومملكه. أفيقد أيضاً إيمانه بالله؟ قام أنبياء، كحزقيال وتلميذ من تلاميذ أشعيا، وأخذوا يعيشون رجاءه. وكان الكهنة يساعدونه على تجديد قراءة تقاليده لى يجد فيها معنى لآلامه. ونشأ عن ذلك " تاريخ مقدس كهنوتي ".

تحت سيطرة الفرس

فى السنة 538 ق.م. قام الملك الفارسى قورش بتحرير اليهود. فعادوا وأقاموا فى فلسطين. وكانت الجماعة، وقد طهرها ألم الجلاء، تعيش فقيرة.

فى القرون السابقة الخمسة، أعاد الشعب النظر فى تاريخه مراراً عديدة، ليجد فيه معنى ورجاء لكلّ من الظروف التى عاشها. وأما " التواريخ المقدسة" الثلاثة التى كانت قد وُضعت وسفر تنثية الاشتراع، فقد جمعها الكاهن الكاتب عزرا وجعل منها كتاباً واحداً: الشريعة.

ومن جهة أخرى، فإن تفكير الحكماء، الذى نشأ فى عهد سليمان وقبله، أدى إلى تأليف تُحف كسفر أيوب وسفر الأمثال وسفر طوبيا...

تحت سيطرة اليونانيين ثم الرومانيين

فى السنة 333 ق.م. استولى الاسكندر على الشرق الأوسط ونشر فيه الثقافة واللغة اليونانية.

وفى السنة 167 ق.م.، حاول الملك أنطيوخس، خليفة الاسكندر، أن يُكره اليهود، تحت طائلة الموت، على الارتداد عن إيمانهم. وهذا عهد شهداء إسرائيل والذين يُسمون المكابيين. واستعاد الشعب حرّيته فى السنة 146 ق.م. سيساعد هذا الأمر على تطوير تفكير أصحاب كتب الرؤيا: فهم كانوا ينتظرون منتهى الأزمنة حيث يتم تدخّل الله.

وفى السنة 63 ق.م. تمركزت روما فى الشرق الأدنى. وحكم هيرودس الملك من السنة 40 إلى السنة 4 ق.م.

(24)

1. الخروج شعبٌ يُعبّر عن إيمانه

نركب باصاً لرحلة فى أنحاء العهد القديم: سنجوب الساعات الحاسمة من تاريخ إسرائيل ونرى كيف أنه، طوال هذا الطريق، عبّر عن إيمانه. ولكن الإنسان، حين يسافر إلى بلد أجنبى، يحسن به، قبل أن يركب الباص، أن يتوقف ساعة ليرى المسيرة المعروضة عليه والأسباب التى دعت إلى اختياره هذه الدورة أو تلك، ليستعلم عن عادات البلد وطرق تعبيره... وكذلك، فقبل أن نقدّم على الرحيل، سنتوقف، فى هذا الفصل، عند فقرة من سفر الخروج. وهذا الأمر يمكننا من اكتشاف أشياء كثيرة.

سنألف أولاً قراءة النصوص ودرسها. قد يبدو الأمر مُعقداً بعض الشئ، ولكن السبب فى ذلك أننا سنحاول أن تكون لنا رؤية إجمالية بتناولنا جميع المواضيع فى آن واحد. لا تخف! سيتوضّح كل شئ فى المراحل التالية.

سنتعرف إلى ما يسمونه الفنون الأدبية أو مختلف الطرق للتعبير عن الأشياء بنفسها: فلا نكتب بطريقة واحدة على صديق أو إلى جانيه.

سنشعر بأن النصوص الحالية، كما نقرأها في كتابنا المقدس، لها قصة طويلة: فقد ألفت انطلاقاً من وثائق أقدم منها. وهذا ما يشرح لنا لماذا سنتبع مسيرة يبدو أنها متعرجة.

لكن هذا الدرس لا يقتصر مع ذلك على الوجه العقلي. سنكتشف أن التحرر من مصر كان لإسرائيل الحدث المؤسس، الحدث الذي خلقه بصفته شعباً. لا يكف إسرائيل عن الرجوع إليه والتأمل فيه ليعطى معنى لحاضره ويجد رجاءً للمستقبل.

قراءة سفر الخروج 1/12 إلى 16/13

القراءة الأولى:

ابدأ بقراءة هذا النصّ دون توقف. لا تهتمّ بعناوين وحواشي كتابك المقدس. وإن كانت هناك كلمات أو عبارات لا تفهمها جيداً، فلا بأس: سنعود إليها في قراءة ثانية. أما الآن فيكفيك أن تقرأ هذا النصّ سائلاً نفسك:

- على أيّ حدث يدور الكلام هنا؟
- بأيّة طريقة يدور الكلام على ذلك؟ هل "يقصّ" ذلك (وفي آية فقرات)؟ هل يُستخلص من ذلك قوانين (وفي آية فقرات)؟ هل يُنظم احتفال طقسى للاحتفال بذلك (وفي آية فقرات)؟

بعد الانتهاء من قراءة هذا النصّ، حاول أن تُطلق عنواناً على مختلف المقاطع التي وجدتها. وهذا يملك خصوصاً على توضيح "الفن الأدبي" المستعمل في هذه المقاطع.

القراءة الثانية:

يُمكنك، بمساعدة حواشي كتابك المقدس، أن تعود الآن إلى بعض النقاط. حرّرت هذه النصوص في عصور مختلفة. لا تتوقف على ذلك، لأنك ستفهمه على وجه أفضل في ختام هذا الفصل.

نحن أمام نصوص طقسية. وهي تعبّر عن كيفية حفظ ذكرى الحدث بالاحتفال به وعن المعنى الذي يُعطيه هذا الحدث لحياة اليوم.

أخذ إسرائيل عيدين كانا قبله، ولكنّه غيّر معناها إذ ربط بهما حدثاً تاريخياً. هناك، فعلاً، نوعان من الأعياد: بعضها يحتفل بالطبيعة ويتجدد كلّ سنة: نعيّد رأس السنة في أول كانون الثاني (يناير)، وبعضها يحتفل بحدث جرى مرة واحدة في التاريخ.

(25)

كان البدو يحتفلون في كلّ ربيع بالفصح، فكانوا يأكلون حملاً ويُعلمون بدمه أوتاد الخيام لطرد الأرواح الشريرة. أخذ إسرائيل هذا العيد (2/12 - 11 و 21 - 22)، ولكنّه جعل منه ذكرى التحرر (25/12 - 27).

وكان القرويون يحتفلون في كل ربيع بعيد الفطير أو بأرغفة الخبز بدون خميرة. فكانوا يفرحون بالمحصول الجديد بإزالة ما كان يُذكر بالمحصول القديم. أخذ إسرائيل هذا العيد (15/12)، ولكنه جعل منه ذكرى التحرر (7/12 و 39 و 3/13 - 10).

سيأخذ المسيحيون هذين العيدين ويمدّون معاناهما، فيحتفلون بالتحرر النهائي الذي أتى به المسيح.

وصنع إسرائيل كذلك في أمر العادة القديمة بأن يُقدّم الإنسان إلى الله أفضل ما عنده، أي أبقار الحيوانات وفي بعض الأحيان أبقار البشر. وهذه أصبحت عنده ذكرى التحرر (2 / 13 و 14 - 15).

الفنون الأدبية

هناك طرق مختلفة لرواية الأشياء نفسها. فلا يروى الإنسان، على سبيل المثال، مرض حبيب له بطريقة واحدة لعائلته وللطبيب ولموظف الضمان الاجتماعي. ويرويّه كذلك بطريقة مختلفة حين كان ذلك الصديق بين الحياة والموت أو بعد شفائه.

وهذه الطرق المختلفة في التعبير عن الأشياء (أو " الفنون الأدبية ") توافق، على وجه أعمق، ما لحياة مجموعة من حاجات مختلفة. كل مجموعة موجودة تُنتج بعض النصوص. لناخذ مثل شركة صغيرة من الصيادين بخيط الصنارة: إنها تميل إلى تأليف كتابات من الطراز الحقوقي (نظام الشركة) وشعارات أو جمل قصيرة للتعريف عن الشركة (" رَوْح عن نفسك واذهب إلى الصيد ... ") وروايات وأحياناً روايات مزخرفة و" ملاحم " حقيقية يوصف فيها صيد شبوط كأنه حوت. ويقومون في هذه الشركة بحفلات: حفلة مقبّلات

وهكذا فكلّ مجتمع يحتاج إلى إنشاء أدب، لكي يثبت وجوده. وكلّ أمة لها قوانينها وخطبها واحتفالاتها ورواياتها للماضي وملاحمها وقصائدها وأغانيها...

وبما أنّ إسرائيل كان موجوداً كشعب، فقد أنشأ أدباً كاملاً بمختلف فنونه. إليك بعض هذه الفنون:

- الروايات: لا بدّ من التذكير بالماضي لإعطاء عقلية مشتركة للجميع، فالإنسان، إذا استمع إلى قصص أجداده، يعي أنّه ينتمي إلى العائلة نفسها.
- الملحمة: وهنا أيضاً يروى الماضي، ولكن المراد بذلك إثارة الحمية والإشادة بالأبطال، وإنّ أدّى ذلك إلى زخرفة التفاصيل.
- والقوانين تنظم الشعب وتساعد على العيش المشترك.
- والليترجية والاحتفالات والرّتب (الذبائح مثلاً) تعبّر عن هذا العيش المشترك، كما أنّ مادية العيد تلحم العائلة. وهي، بصفقتها أفعالاً دينية، تُظهر صلة الإنسان بالله.
- والقصائد والتراتيل والمزامير هي عبارة عن مشاعر الشعب وإيمانه.
- وأقوال الأنبياء - وهي أقوال رسمية اللفظ من قبيل الله - تُلفت الانتباه إلى الإيمان الصحيح.
- وتعليم الأنبياء والكهنة قد يتمّ بشكل الارشاد، ويتمّ أيضاً بشكل روايات وقصص (أمثال).
- والمؤلفات الحكمية هي تفكير في المسائل الإنسانية الكبرى: ما هي الحياة والموت

والحب، لماذا الشرّ والألم...

التمييز بين الفنون الأدبية:

لكل طريقة في التعبير حقيقتها، ولكل فن حقيقته. لا نأخذ على كتاب صور سندباد كونه أقل دقة من كتاب تاريخ... لا يحسن أن نقرأ رواية خلق العالم (تك 1) كأنها تعليم علمي (إنها قصيدة طقسية) أو رواية عبور البحر الأحمر كتحقيق صحفي مباشر (خر 14) (إنها ملحمة).

فلا بد لنا، كلما كان الأمر ممكناً، أن نتساءل إلى أي فن أدبي ينتمي النص الذي نقرأه وبالتالي ما هو نوع حقيقته.

(26)

درس نصّ: خر 17/13 - 31/14

سيمكنا درس رواية عبور البحر من اكتشاف ما يُسمّى " تقاليد التوراة".

القراءة الأولى:

ابدأ بقراءة هذا النصّ في كتابك المقدس. يبدو لأوّل وهلة أنّ الأحداث في هذه الرواية تتلاحق بانتظام. ولكنك، إن أمعنت النظر، وجدت أموراً غريبة. علام تقوم المعجزة؟ في الحالة الأولى، الريح تجفف البحر والمصريّون يغطسون في الرمال المتحرّكة، وفي الحالة الثانية، الله يفلق البحر لكي يعبر فيه اليهود. وتارةً يقاتل الله بنفسه، وتارةً يأمر موسى وموسى يسعى. والانشاء يختلف هو أيضاً: فالوصف يأتي أحياناً واقعيّاً جداً، فيظهر الله بمظهر رجل يقاتل ويضع العصي في دواليب المراكب (وهذا ما يسمّونه " التشبيه ")... وأحياناً ما تصبح الرواية مجردة جداً، فيلقى الله خطاباً وكلامه هو الذي يسعى...

ومثل هذه الملاحظات في مجمل التوراة حملت رجال الاختصاص إلى الافتراض التالي: ألقت التوراة انطلاقاً من أربعة تقاليد أو وثائق، ضمت يوماً ما في مجموعة واحدة.

سنحاول أن نتحقّق من هذا الافتراض في روايتنا.

القراءة الثانية:

أنظر إلى هذه الرواية المطبوعة في الصفحتين 28 - 29 إنها مقسومة إلى ثلاثة أعمدة: لقد فككنا النصّ لنُظهر التقاليد الثلاثة (الرابع غير مستعمل هنا). لا شك أنّ في هذا التقسيم شيئاً من الافتراض، ولا نعرف أحياناً هل يجب علينا أن نضع هذه الآية أو تلك في هذا العمود أو ذلك. وإن وقعت أخطاء في التفصيل، تبقى للمجمل قيمته.

يُمكنك، بعد أن رتّبنا هذا النصّ على هذا الشكل، أن تقرأه بالتتابع، منتقلاً من عمود إلى آخر ومتبعاً ترتيب الآيات، ويُمكنك أيضاً أن تقرأ كل تقليد وحده مكتفياً بعمود واحد.

التقليد " الإيلوهي " أقلّ شأناً في هذه الرواية، ولذلك فقد اقتصرنا، لتبسيط العمل، على التقليدين " اليهودي " و " الكهنوتي " .

التقليد اليهودي:

اقرأ هذا النصّ (عمود اليمين) . من هم الممثلون (يمكنك أن تضع تحت أسمائهم خطوطاً مختلفة الألوان)؟ ماذا يريد المصريون؟ هل يعرفون كيف يحصلون على ذلك؟ هل هم قادرون على ذلك؟ وماذا يريد العبرانيون؟ من يُعلمهم بكيفية الحصول على ذلك؟ من يُمكنهم من ذلك؟.

ضع خطأً تحت الكلمات المتكرّرة. هل لفعل " رأى " معنى واحد دائماً (رأى بعينه ورأى بإيمانه)؟ هل لكلمة " خوف " معنى واحد في الآيتين 10 و 13 وفي الآية 31 (ماهي الكلمة التي توازيها في هذه الآية)؟.

يبدو أن الهدف من هذا النصّ هو أن العبرانيين انتقلوا من نوع الخوف إلى خوف آخر. كيف تمّ التحول؟ ما معنى ذلك بالنسبة إلى إيمان العبرانيين وإلى إيماننا؟.

التقليد الكهنوتي:

اقرأ النصّ (عمود اليسار) . لم يبقَ هنا إلا ممثل واحد: من هو؟ ماذا يريد؟ كيف يسعى؟ انتبه إلى جميع العبارات المتكرّرة. لعلّ بعضها يُثير تساؤلك (الله يقسى القلب) : لا تتوقف عليها الآن، فإنا سنعود إليها (الصفحة 63) .

ما يسعى الله إليه هو أن يمجّده الناس ويعترفوا بأنه الربّ. المقصود من ذلك ليس هو " الزهو " . قال القديس إيريناوس: " مجد الله أن يحيا الإنسان " . إن الله يضع مجده في تخلص شعبه، فيبدو، في نظر سائر الشعوب، إلهاً يُخلص ورباً يحمي. ولكن لا بدّ أن يدعّن الشعب لهذا الخلاص وأن يثق بالله: وبذلك يستطيع الإنسان أن " يُقدّس اسم الله " ، أي يدعه يظهر أنه قدّوس وربّ. سنرى كل ذلك حين ندرس حزقيال النبي (الصفحة 66) .

علامَ يقوم الحدّث؟ انتبه إلى التكرارات: الله يُعطي أمراً، ثم يُروى كيف نُقدّ هذا الأمر. كثيراً ما يُستعمل التقليد الكهنوتيّ هذه الطريقة (راجع الرواية الأولى لخلق العالم: تك 1) . المهمّ هنا هو كلمة الله التي تخلق ما تقول. قارن بين " المعجزة " وتك 1. فالموضوع واحد وهو أن الله يخلق المياه فيظهر " اليبس " (خر 16/14 و 22 و 29 و تك 9/1 و 10) .

ما هو المعنى الذي يفضيه ذلك على رواية عبور البحر؟ على رواية خلق العالم؟.

تقاليد التوراة

لننتقل من مثل بسيط: عندنا أربعة نصوص مختلفة تكلمنا عن يسوع، وهي الأناجيل الأربعة. ولم تنقص الرغبة، منذ البدء، في جمع هذه الأناجيل لتكوّن " حياة يسوع"، بضمّ جميع التفاصيل فيها في رواية واحدة متتابعة.

لنفترض أنّي أطلب من اختصاصيّ في الأدب يجهل وجود الأناجيل أن يدرس " حياة يسوع" هذه. لا شكّ أنّه لن يلبث أن يشعر بأنّ هذا الكتاب لا ينتمي إلى إنشاء واحد. لأنّه سيلاحظ، على سبيل المثال، وجوداً إنشائية مختلفة (أوصاف جسديّة عند مرقس وخطب مُحكّمة البنيّة عند يوحنا) ومفردات مختلفة إلخ. وسيفترض أنّ هذا الكتاب ألف انطلافاً من وثائق مختلفة. وسيحاول أن يهتدى إلى هذه الوثائق، موزّعاً النصّ في عدّة أعمدة توافق الأناجيل الأربعة.

وإنّ قارئنا الآن بين نتيجة عمله والأناجيل الأربعة، رأينا ولا شكّ أمرين:

- **ثغراً:** فعندما يروى مرقس ولوقا الحادثة نفسها، نرى أنّ " حياة يسوع" لم تحفظ إلا واحدة منها: فالأخرى قد فقّدت.
- **أخطاء:** ليس من السهل أن نعرف دائماً هل فقرة من النصّ تعود إلى متى أو إلى لوقا، ومن الممكن أن يكون اختصاصياً قد ارتكب خطأ.

لنعد الآن إلى التوراة. إنّ الأسفار الخمسة تكوّن كتاباً واحداً اسمه التوراة. ولكن طالما شعر الاختصاصيون بأنّه غير متجانس فافترضوا أنّ هذه المجموعة ليست سوى تجميع لأربعة تقاليد رئيسيّة وُضعت في عصور مختلفة.

وبناء على هذا الافتراض، فقد تكون التوراة قد ألفت على عدّة مراحل:

- 1) في الأصل، هناك شخصيّة موسى وأحداث الخروج.
- 2) فيما بعد، ألفوا وتناقلوا، شفهيّاً وحتى خطياً منذ ذلك الحين، قطعاً صغيرة: روايات وقوانين وخطب وتأمّلات في الحدث واحتفالات طقسية...
- 3) في عصور مختلفة، قام بعض الكتبة (أنبياء وكهنة وحكماء) بجمع هذه القطع الصغيرة وألفوا منها روايات متكاملة وهي " الوثائق الأربع".
- 4) وفي الختام، جمعت هذه الوثائق الأربع في كتاب واحد يقع في خمسة أجزاء.

سنعود إلى درس هذه الوثائق بالتفصيل. نقتصر الآن على تحديد وضعها بكلمات وجيزة.

1. **التقليد اليهويّ:** (يُشار إليه بالحرف **ي**) يُطلق عليه هذا الاسم، لأنّه يُسمّى الله " يهوه". نشأ في أيام سليمان، حوالي السنة 950 ق. م. ، في الأوساط الملكيّة في أورشليم. كان للملك منزلة مرموقة، فهو الذي كان يُجسّد وحدة الإيمان.

2. **التقليد الإيلوهيّ:** (يُشار إليه بالحرف **آ**) يطلق على الله اسم " إيلوهيم". نشأ في حوالي السنة 750 ق. م. في مملكة الشمال بعد أن انقسمت مملكة داود - سليمان إلى قسمين. تأثر جداً برسالة بعض الأنبياء كإيليا أو هوشع، وهو يولى الأنبياء شأنًا كبيراً.

اندمج هذا التقليدان في أورشليم في حوالى السنة 700 ق.م، ولم يكن هذا الاندماج مجرد جمع، بل كان مناسبة لاستكمال بعض التقاليد والتوسع فيها.

3. تقليد تثنية الاشتراع: (يُشار إليه بالحرف ت) موجودة خاصة في سفر تثنية الاشتراع، لكنه أثر في أسفار أخرى. بدأ وضعه في مملكة الشمال وانتهى في مملكة أورشليم.

4. التقليد الكهنوتى: (يُشار إليه بالحرف ك) نشأ أثناء الجلاء إلى بابل، فى السنوات 587 - 538 ق.م. وبعدها. كان الكهنة يحدّدون فى المنفى قراءة تقاليدهم للمحافظة على إيمان الشعب ورجائه.

هذه التقاليد الأربعة وتوسيعاتها جُمعت بعدنذ فى كتاب واحد هو التوراة. يبدو أنّ هذا العمل تمّ فى حوالى السنة 400 ق.م. وكثيراً ما ينسبونه إلى عزرا الكاهن.

فى هذا الفصل الأوّل، نريد أن نألف هذه التقاليد. وأمّا فى الفصول التالية، فسنعود إلى كلّ منها واحداً واحداً. وهذا الأمر يحملنا على إعادة قراءة التوراة أربع مرّات، مرّتين فى كلّ مرّة على تقليد واحد.

(28)

الإيلوهى

اليهوى

الكهنوتى

الخروج 13 - 14

17 لَمَّا اَطْلَقَ فِرْعَوْنُ الشَّعْبَ، لَمْ يُسَيِّرْهُمْ اللهُ فِي طَرِيقِ أَرْضِ
الْقَلِيسْطِينِيِّينَ، مَعَ أَنَّهُ قَرِيبٌ، لِأَنَّ اللهَ قَالَ: " لَعَلَّ الشَّعْبَ يَنْدَمُ، إِذَا
رَأَى حَرْبًا، فَيَرْجِعُ إِلَى مِصْرَ".

18 فَحَوَّلَ اللهُ الشَّعْبَ إِلَى طَرِيقِ بَرِّيَّةِ بَحْرِ الْقَصَبِ، وَصَعَدَ بَنُو
إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مُسَلِّحِينَ.

19 وَأَخَذَ مُوسَى عِظَامَ يَوْسُفَ مَعَهُ، لِأَنَّ يَوْسُفَ كَانَ قَدْ اسْتَحْلَفَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: " إِنَّ اللهَ سَيَقْتَدِرُكُمْ، فَتُصْعِدُونَ عِظَامِي مِنْ
هَهُنَا مَعَكُمْ".

20 ثُمَّ رَحَلُوا مِنْ سُكُوتَ وَخَيَّمُوا فِي
إِيْتَامَ فِي طَرْفِ الْبَرِّيَّةِ.

21 وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي
عَمُودٍ مِنْ غَمَامٍ لِيَهْدِيَهُمُ الطَّرِيقَ،
وَلَيْلًا فِي عَمُودٍ مِنْ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ،
وَذَلِكَ لِكَيْ يَسِيرُوا نَهَارًا وَلَيْلًا.

13

22 ولم يبرح عمود الغمام نهاراً
وعمود النار ليلاً من أمام الشعب.

14

1 وكلم الرب موسى قائلاً:
2 " مُرُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْجِعُوا

وَيُخَيِّمُوا

2ب أمام فم الحيروت، بين مجدول والبحر، أمام بعل صفون، تُخَيِّمُونَ تُجَاهَهُ عَلَى الْبَحْرِ.

3 فيقول فرعون عن بني إسرائيل:
إنهم تأنهون في الأرض وإن البرية قد
أطبقت عليهم.

4 وأقسي أنا قلب فرعون، فيجد في
إثرهم، وأمجد على حسابه وعلى
حساب جيشه كله، ويعلم المصريون
أنني أنا الرب ". ففعلوا كذلك.

5 فلما أخبر ملك مصر أن الشعب قد هرب،

5ب تغيّر قلبه وقلوب حاشيته عليه وقالوا: " ماذا صنعنا، فأطلقنا إسرائيل من خدمتنا؟"
6 فشدد مركبته

6ب وأخذ قومه معه.

7 وأخذ ست مئة مركبة ممتازة

7ب وجميع مراكب مصر، وعلى كل منها ضباط.

8 وقسى الرب قلب فرعون، ملك
مصر، فجد في إثر بني إسرائيل،
وبنو إسرائيل خارجون بيدي عالية.

9 وجد المصريون في إثرهم فأدركهم

- خيل فرعون كله ومراكبه وفرسانه وجيشه -،

وهم مخيمون على البحر عند فم الحيروت، أمام بعل صفون.

10 ولما قرب فرعون، رفع بنو إسرائيل عيونهم، فإذا المصريون ساعون وراءهم، فخافوا جداً،
وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب،

11 وقالوا لموسى: " أمين عدم القبور بمصر أتيت بنا لنموت في
البرية؟ ماذا صنعت بنا؟

12 فأخرجتنا من مصر أليس هذا ما كلمناك به في مصر قائلين:
دعنا نخدم المصريين، فإنه خير
لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية؟.

13 فقال موسى للشعب: " لا تخافوا، اصمدوا ثعابينوا الخلاص الذي يجريه الرب اليوم لكم، فإنكم كما ترون المصريين اليوم، لن تعودوا ترونهم للأبد.
14 الرب يحارب عنكم وأنتم هادئون".

15 فقال الرب لموسى: " ما بالك تصرخ إلي؟ مر بني إسرائيل أن يرحلوا.

16 وأنت أرفع عصاك ومد يدك على البحر فشقه، فيدخل بنو إسرائيل في وسطه على اليبس.

17 وهاءنذا مفسى قلوب المصريين، فيدخلون وراءهم، وأمجد على حساب فرعون وكل جيشه ومراكبه وفرساته.

18 فيعلم المصريون أنني أنا الرب، إذا مجدت على حساب فرعون ومراكبه وفرساته".

19 فانتقل ملاك الرب السائر أمام عسكر إسرائيل، فسار وراءهم،

19ب وانتقل عمود الغمام من أمامهم فوقف وراءهم،

20 ودخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل، فكان الغمام مظلماً من هنا وكان من هناك يثير الليل،

20ب فلم يقترب أحد الفريقين من الآخر طوال الليل.

21 ومد موسى يده على البحر،

21ب فدفع الرب البحر بريح شرقية شديدة طوال الليل، حتى جعل البحر جافاً،

21 ت وقد انشقت المياه.

22 ودخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليبس، والمياه لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم.

23 وجد المصريون في إثرهم، ودخل وراءهم جميع خيل فرعون ومراكبه وفرساته إلى وسط البحر.

24 وكان في هجعة الصبح أن الرب تطلع إلى عسكر المصريين من عمود النار والغمام وبلبل عسكر المصريين.

25 وعطل ذوايب المراكب فساقوها بمشقة. فقال المصريون: " لنهرب من وجه إسرائيل، لأن الرب يقاتل عنهم المصريين".

26 فقال الربُّ لموسى: " مُدَّ يَدَكَ عَلَى
الْبَحْرِ، فَتَرْتَدُّ الْمِيَاهُ عَلَى
الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى مَرَائِبِهِمْ وَفُرْسَاتِهِمْ".
27 فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ،

27 فَارْتَدَّتْ الْبَحْرُ عِنْدَ أَنْبِثَاقِ الصُّبْحِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ نَحْوَهُ. فَدَحَرَ الرَّبُّ
الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ.

28 وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ فَغَطَّتْ مَرَائِبَ جَيْشِ
فِرْعَوْنَ كُلَّهُ وَفُرْسَاتِهِ الدَّاخِلِينَ
وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ.
29 وَسَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى الْيَبْسِ فِي
وَسْطِ الْبَحْرِ، وَالْمِيَاهُ لَهُمْ سَوْرٌ
عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ.

30 وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ خَلَّصَ الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَرَأَى إِسْرَائِيلُ الْمِصْرِيِّينَ أَمْوَاتًا
عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ.
31 وَشَاهَدَ إِسْرَائِيلُ الْمُعْجِزَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي صَنَعَهَا الرَّبُّ بِالْمِصْرِيِّينَ. فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ وَآمَنُوا
بِهِ وَبِمُوسَى عَبْدِهِ.

(30)

نشيد ظفر الناجين (خر 15/1-21)

بهذا النصّ أصبح سفر الخروج قصيدة، ونشيداً مُعدّاً للاحتفال بكلّ تحرر، في الأمس
وفى اليوم.

إبدأ بقراءة هذا النشيد (الأفضّل بصوت عالٍ) فسرعان ما تجد أنّ فيه جوقتين
تتجاوبان:

- الأولى تشيد بقدرة الله بوجه عامّ (الآيات 2 - 3 و 6 - 7 و 11 و 18).
- والثانية تشيد بأعمال الله المحسوسة (الآيات 1 و 4 - 5 و 8 - 10 و 14 - 18).

بماذا توحى إليك الصور المستعملة، ولا سيّما للكلام على الله؟ قد تتعجّب من بعضها،
كصورة " الرب رجل الحرب ". نحن هنا في لغة الرموز (راجع الصفحة 109). والكلام
على " الرب رجل الحرب " تعبير يعنى أنّ الله ليس بعيداً، إنه ليس غائباً عن الصراعات
البشريّة في سبيل العدل والحرّيّة.

ما هي أعمال الله المحسوسة التي يُشاد بها.

- في الآيات 4 - 5 و 8 - 10؟
- في الآيات 12 - 17؟ إنّ أسماء الشعوب المذكورة (آدوم وموآب وكنعان
والفلسطينيون) تصف خط سير: ما هو؟ والعبارات " مسكن قدسك " و " في

الجبل" و " المكان الذى يسكن الله فيه" تدلّ صراحة على بناء: ما هو؟ إلى أى زمن يرقى بنا هذا المقطع الشعريّ؟.

فى ذلك الزمن، كانوا يقولون أن الله كان له هدف محدّد، حين حرّر شعبه (الآية 17): ما هو؟.

ماذا تعلمنا الآية 18 عن إيمان إسرائيل وعن نظامه السياسى؟.

الخروج هو اليوم:

يحملنا هذا النصّ على الإدلاء ببعض الملاحظات حول الإيمان. إن الله الذى يشيدون به ليس إلهًا مجردًا وليس هو فكرة، مهما كانت سامية. كانوا يعرفون هذا الإله لأنهم كانوا يرون عمله فى أحداث محسوسة. هذه الأحداث هى أحداث اليوم، ولكننا لا نكتشف وجود الله إلا بالتأمّل بأحداث الماضى. عد إلى الآيات 12 - 17: نحن فى أيام الملكيّة، الشعب مقيم فى كنعان. تمّ بناء الهيكل، والله يملك فى وسط شعبه. قارن بين هذا المقطع الشعريّ فى العبور فى وسط الشعوب (الآيات 12 - 16) والمقطع الشعريّ فى غرق المصريين (الآيات 8 - 10): يصف الكاتب أحداث الخروج فى ضوء ما عاشه، هذه الأحداث تساعده على اكتشاف ما يعيشه.

وهكذا فهذه القصيدة منفتحة على صلاة قرون المستقبل: كلّ جماعة مدعوة إلى إضافة مقطعها الشعريّ! وهذا ما سيفعله يوحنا صراحة فى سفر الرؤيا، حين يرينا المختارين فى السماء ينشدون نشيد موسى (رؤ 3/15).

الشعر العبريّ

لنلق نظرة خاطفة إلى بعض ميزات الشعر العبريّ. **الصّور:** العبريّة لغة واقعيّة. فالأغراض والأشياء تصبح عندها رموزًا توحى بحقيقة غنيّة ولكن غير منظورة. بدلاً من أن يتوسّع الشاعر فى أفكار مجردة، فإنّه يفضّل تكديس الصور المحسوسة والمثقلّة بالخبرة. فبدل أن يقول: "الله قدير"، فهو يرينا إياه يجرى عملاً باهرًا. إنّه محارب، ويمينه القابضة على السيف قويّة. إنّه دليل وبستانيّ ومهندس...

التوازي: كثيراً ما يتناول شطرا البيت الفكرة نفسها، ولكنّ بعبارات تتكامل أو تتناقض. إنّه إلهى فأسبحه وهو إله أبى فأشيد به.

ابحث عن أمثال أخرى فى هذه القصيدة.

" على كل واحد، من جيل إلى جيل، أن يُعدّ نفسه قد خرج من مصر، فإِنَّه مكتوب: في ذلك اليوم (يوم الاحتفال بعيد ذكرى الخروج من مصر)، قل لابنك : " لذلك قام الرب لنصرتي، حين خرجت من مصر..". إنَّ هذا المقتطف من رتبة الفصح اليهودي يدلّ بوضوح على أهميّة الحدث في نظر إسرائيل. فلن يكفّ الشعب طوال تاريخه - والمسيحيون بعده - عن التأمّل في هذا الحدث واكتشاف معانيه.

ولا يسعنا إلا أن نلمح هنا إلى بعض وجوه هذا المعنى، ولكن هذا الكتاب كله يساعدك على اكتشافه.

الحدث المؤسّس

ما زال إسرائيل يُعدّ الخروج من مصر زمناً فريداً من تاريخه، حدثاً يحتلّ مرتبة تختلف عن سائر الأحداث. كان للشعب وجود مع إبراهيم، ولكن بالوعد فقط. والخروج هو الزمن الذي خُلِق فيه بصفته شعباً.

فحين كانوا يرغبون في إدراك معنى سائر الأحداث (عبور الأردن، وحدة الأسباط الاثني عشر...) أو المؤسسات والطقوس، حين كانوا يرغبون في تعليل وجود الشعب نفسه، كانوا يعودون إلى الخروج.

لقاء الله

في هذا الحدث، أخذ إسرائيل يكتشف من هو إلهه وما هو اسمه. لقد اكتشف أن الله محرّر ومخلص، قبل أن يعرف به خالقاً. إنَّ أهميّة هذا الاكتشاف يحملنا على العودة إليه مراراً. فالله هو الذي أخرجنا من دار العبوديّة. هذا هو لقبه الرئيسي، هذا هو شبه اسمه العلم، يكرّره الكتاب المقدّس في جميع صفحاته.

وعند رؤية العليقة المتقدّة، عرف الله موسى باسمه: " يهوه"، وقد أوضحه بالعبارة: " أنا من أكون"، أي أنك ستكتشف من أنا في ما أكون وأفعل معك ومعكم في التاريخ (خر 14/3).

وهكذا، فالله وشعبه مرتبطان برباط دمّ واحد (راجع الرتبة في خر 3/24 - 8) بواسطة العهد.

" من العبوديّة إلى الخدمة". إنَّ هذا العنوان المطلق على شرح للخروج يلخّص بوجه رائع سيره الأساسي. وعى الشعب أن الله حرّره من عبوديّة مصر، فأصبح في إمكانه أن ينصرف بحريّة إلى خدمته، إلى خدمة تقوم قبل كلّ شيء على قضاء الحياة اليوميّة بالعهد مع الله والمعبر عنها في العبادة.

ماض لا يزال حاضراً

بحسب ما ورد في رتبة الفصح اليهودي، ليس الخروج حدثاً من الماضي فقط، بل هو حدث يرافق إسرائيل في كل حياته. وحين يُحتفل به في العبادة، يصبح حاضراً ويمكن الاشتراك فيه. والرجوع إلى الماضي يساعد على إدراك الحاضر: فالحياة كلها تبدو خروجاً وسيراً نحو ملكوت الله. وهذا الرجوع يساعد على المحافظة على الإيمان في أهوال الكوارث أو الجلاء. فإن حررنا الله فيما سبق، فبإمكانه أن يُحررنا اليوم أيضاً. وهذا الأمر يحافظ على الرجاء بالتوجه نحو المستقبل.

سيواصل المسيحيون هذا التأمل ويفسرون حياة المسيح كخروج، وستوضح بعض النصوص، كرسالة بطرس الأولى أو الرسالة إلى العبرانيين أو الرؤيا، أن الحياة المسيحية خروج، في خطى المسيح نحو الملكوت النهائي.

ونحن، بالإشارة إلى كل ذلك، نتجاوز نصوص سفر الخروج، ولكن كل ما أثاره فيما بعد هذا التأمل في ذلك الحدث هو أيضاً، كما سنرى، جزء من الحدث ويساعد على إدراك معناه.

ومع ذلك فهل في إمكاننا، من خلال وفرة هذه المعاني، أن نرقى إلى الحدث نفسه وهل في إمكاننا أن نجيب عن هذا السؤال: " ما الذي جرى؟ " هذا ما سنحاول أن نراه الآن.

(32)

ما هو الحدث التاريخي؟

قبل أن نحاول أن نرى ماذا جرى عند الخروج، لا بد من توضيح معنى الحدث التاريخي.

الجواب عن هذا السؤال يبدو واضحاً: هي الوقائع التي يمكن أو أمكن مشاهدتها. ومع ذلك فلا بد من إضافة بعض اللمسات إلى هذا التحديد.

لا توجد وقائع " خام"، وقائع يمكن إيرادها بشكل موضوعي: ليس هناك إلا وقائع مؤولة. شخصان يرويان حدثاً واحداً، وهما يرويانه بطريقتين مختلفتين، أي أنهما لا يرويان الواقعة في حد ذاتها، بل " الواقعة كما شاهدها ". فالحركة الواحدة تبدو للأول سخرية وللآخر تشجيعاً.

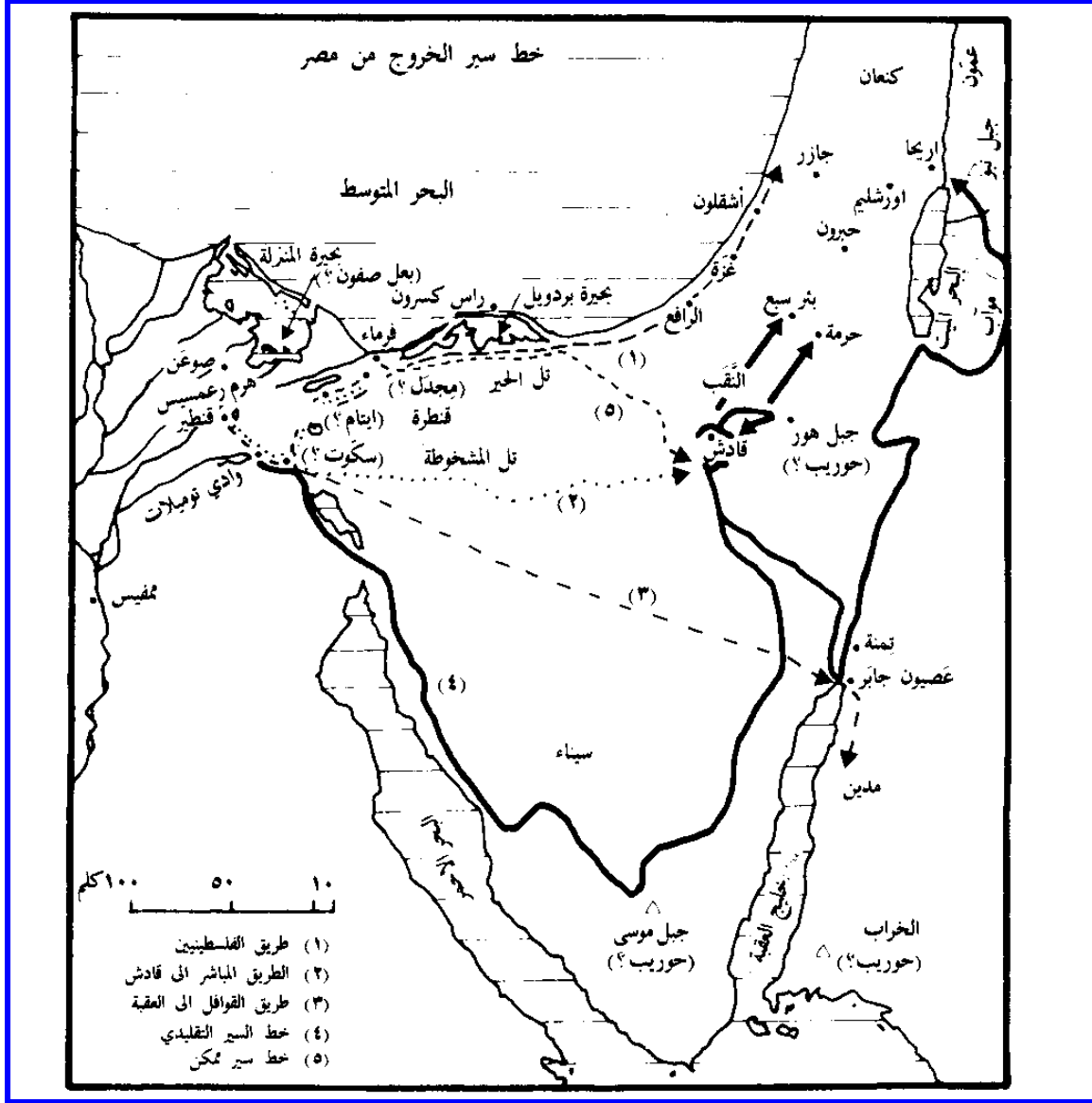
والوقائع تاريخية لأنها تؤول وتُعطي معنى. هناك وقائع جرت، ولكنها تُنسى فوراً لأن ليس لها معنى: فهي " في التاريخ"، ولكنها غير " تاريخية ". أفتح الباب، أتناول قلماً... لهذه الوقائع وجود، لا معنى خاص. أما الحدث التاريخي فهو الحدث الذي يترك أثراً في ذاكرة فرد أو جماعة، الحدث الذي لا يزول في التاريخ، لأنه قد اكتُشف فيه معنى.

ولكن هذا المعنى لا يظهر إلا بعد فوات الآوان، وأحياناً بعده بكثير. حين نرى العصر الجديد الذي انفتح للكنيسة الكاثوليكية، نكتشف أهمية القرار الذي إتخذه يوحنا الثالث والعشرون بدعوة المجمع. كما أننا ندرك أبعاد الثورة الفرنسية من مختلف التصريحات عن " حقوق الإنسان " التي أثارها في العالم. حين نرى كل ما خلقتة واقعة على ممر الأجيال، نبدأ نفهم هذه الواقعة.

يجب أحياناً أن نصعد تيار التاريخ، فهناك أحداث قد تكون ثانوية ولكن من شأنها أن تصبح " رمزاً " لكل واسع. إليك مثلاً معروفاً: إن دخول بعض الثوار في قلعة الباستيل لإطلاق سراح سجينين أو ثلاثة، يحرسهم بعض الجنود، واقعة متواضعة بالنظر إلى غيرها من الأحداث المأسوية أو المجيدة. فمتى صارت هذه الواقعة أمراً " تاريخياً": هل كان ذلك في 14 تموز (يوليو) 1789؟ أم بعد أن نجحت الثورة فأصبحت الواقعة رمزاً لها؟ كلاهما معاً. ولو لم تكن هناك واقعة في ذلك اليوم، لما أصبحت هذه الواقعة رمزاً. ولم تصبح تاريخية إلا لأنها اكتسبت قيمة رمزية.

بفضل هذا المثل الأخير، فقد اقتربنا كثيراً من " الملحمة". في الرواية الملحمية، تختلط الوقائع، وتتقرب الأحداث المختلفة وتتجمل وتوول لتكوّن الرواية. من المستحيل أن نؤكد أن جميع التفاصيل المروية حقيقية. ومع ذلك، فإن هذه التفاصيل، انطلاقاً من وقائع حقيقية وحول شخصية بعض الناس، تُعبّر عن شيء صحيح: ما اكتشفه الشعب بالعمق عن أصله وقيمه وعمّا هو عليه. لولا شخصية أخيل وهيكتور، لما كُتبت للإلياذة أن ترى النور. ولكن حقيقتها هي التعبير عن نفس الشعب عندما حرّر وعن شعوره الغامض بكونه ما هو بفضل هؤلاء الأبطال.





(33)

الخروج من مصر: ماذا جرى؟

موسى:

في أصل هذه الروايات، شخصية موسى. ولد في عهد حورنحيب (1334 - 1306) أو في عهد سبتي الأول (1309 - 1290) ونشأ في مدرسة كتبة مترجمين كانت مصر بحاجة إليهم في علاقاتها مع أهل آسية.

أثرت فيه إقامته في البرية في مدين. فقد كان على صلة بمجموعة (المجموعة التي كان يتروحموه كاهنها) يبدو أنها كانت متدينة جداً وأنها كانت تكرم إلهاً " ياهو".

خروجان؟

بعض النصوص تُظهر لنا الخروج من مصر كطرد، وغيرها كهرب. من الأرجح أنه كان هناك خروجان اتّحدا فيما بعد في ذاكرة الشعب.

- الخروج بالطرد ثمّ في حوالى السنة 1550 ق.م، استولى على الحكم، في حوالى السنة 1720، ساميون هم الهكسوس. وطُردوا في السنة 1552. وطُرد عندئذ أبناء ليعقوب، وهم ساميون أيضاً وكانوا قد استفادوا من وجود الهكسوس للإقامة في مصر. وملكوا طريق الشمال ثمّ انحدروا إلى واحة قادش. وسيدخلون يوماً إلى كنعان من الجنوب.
- الخروج بالهرب يقع في حوالى السنة 1250. بقى مجموع من الساميين في مصر. أثار موسى حميتهم فاغتنموا عيد الربيع (وربما حلت كوارث بمصر فسببت موت الأطفال) وهربوا. سلكوا طريق الشمال. أدركتهم مفرزة مصرية قرب بحيرة البردويل، لكنّ مراكبها غاصت في الرمال المتحركة. نجا الساميون فتركوا هذه الطريق الخطرة وانحدروا نحو قادش.

عبور البحر

في التقليد اليهودي، لا نذكر لـ " عبور في وسط البحر": الريح جفقت المياه فغاصت المراكب المصرية في الوحل، الأمر الذي أشار إعجاب العبرانيين. نعرف، بفضل مؤرخين قدماء، أنّ شواطئ بحيرة الـ " بردويل" كانت خطيرة جداً لأنها كانت عبارة عن قطعة مستطيلة من الأرض الرملية كانت تحبس مياه البحر المتوسط.

في الرواية الكهنوتية وحدها يشقّ الله المياه ويظهر اليبس، كما أنه، في أوّل صباح للعالم، شقّ المياه الأولية ليُخرج اليبس! فالخروج يُصوّر كعمل خُلق ورواية خلق العالم (تك 1) كعمل تحرير.

جبل سيناء

- يُسمّى الجبل سيناء أو حوريب، بحسب التقليد. أين كان موقعه؟
- في جبل موسى، في جنوب سيناء؟ لم يصبح خط السير هذا تقليدياً إلا منذ القرن الرابع ب.م. ولا شك أنّ إقامة نَسَاك عند سفح جبل موسى قد أثّرت في هذا الاختيار.
 - بالقرب من قادش، في جبل هور؟
 - في مدين، شرقيّ خليج العقبة؟

لاهوت من إنشاء ملحمي

قد يخيب أملنا أمام قلّة ما هو أكيد في ما يُروى لنا. يعود السبب في ذلك إلى نوع هذه الروايات - إنها ملحمة - مع العلم بأن أهميتها لاهوتية قبل كلّ شيء.

- ملحمة: كانت هناك عشائر مختلفة تنتمي إلى أصل واحد - الذين بقوا في كنعان والذين طُردوا من مصر والذين هربوا من مصر - واتّحدوا في اجتماع شكيم (يشوع

24). وكلّ عشيرة، فى انضمامها إلى الأخرى، جاءت بتقاليدها وهذه التقاليد قد اختلطت وكونت ملك المجموعة الجديدة المشترك. وانعكست الذكريات المختلفة بعضها على بعض. فذكرى " عبور " الأردن مثلاً ساعدت على تحويل المناوشة عند شاطئ البحيرة إلى " عبور البحر ". إن الإقامة فى كنعان قد رافقتها أحداث كثيرة - عبور الأردن والاستيلاء على الحصن والانتصار فى تَعْنَاك الذى تَغْنَّت به دبورة (قض 5). وقد برز من هذه الأحداث واحد فأصبح رمز سائر الأحداث كلها ورمز التحرر وهو الخروج.

• **لاهوت:** وقد وُضِعَت هذه الذكريات، لا لإلقاء درس فى التاريخ أو الجغرافيا علينا، بل لتحدثنا عن الله. ومن خلال هذه الروايات، يظهر وجه إله محرر، يريد شعب إناس أحرار يخدمونه بحريّة فى عهد معه. ذلك هو جوهر ومُحرِّك حياة إسرائيل كلها وحياة المسيحيين بعدهم.

وسيساعد هذا الاختبار الأساسى يوماً على اكتشاف أمر آخر، وهو أنّ الله يريد أن يحرر، لا شعباً فقط، بل الإنسان أيضاً. ومن ثمّ يصبح من الممكن أن توضع روايات خلق العالم، وهى تعمم على البشريّة كلها عطية الحياة والحرية.

(34)

2- مملكة أورشليم

فى حوالى السنة 1000 ق. م. أصبح داود ملكاً واستولى على أورشليم وجعل منها عاصمته. هذا مُنْطَلَق جديد لإسرائيل. كيف وصلت الأمور إلى هنا؟.

من الخروج إلى داود

فى حوالى السنة 1200 ق. م. كان أن المجموعة التى غادرت مصر بأمر موسى ثمّ أمرة يشوع أقامت فى كنعان - وكان فى البلاد عشائر مختلفة تقيم حول مدن حصينة صغيرة فى رؤوس التلال - وكانت هذه العشائر تعيش من الزراعة والتجارة وكانت تحارب بعضها بعضاً.

لجأت المجموعة العبرية إلى القوة أو إلى الحيلة، وأحياناً بالتحالف، وتمركزت فى وسط البلاد. وسيروى سفر يشوع فيما بعد هذا التمركز كملحمة رائعة، وكان مرامه قبل كل شئ أن يلقى تعاليمًا، وهو أن العبرانيين فتحوا البلاد، ولكن الله هو الذى مكّنهم من ذلك. فكان الفتح عطية.

وفى أثناء اجتماع كبير أقيم فى شكيم، ارتبطت أسباط مختلفة ودخلت فى عهد مع الله (يش 24).

وفى أيام القضاة (بين 1200 و 1000)، انقسمت تلك الأسباط المنضمة إلى الله - وكان عددها اثني عشر - إلى ثلاث مجموعات: فى الجليل وفى السامرة وفى جنوب أورشليم. كان الرابط بينها رخواً جداً وكان دينياً على الأخص. ولكن، حين كانت إحدى الأسباط تتعرض للخطر، كان يقوم مخلص (أو قاض) ويجمع الشعب المحارب، وكان كل واحد يعود إلى بيته بعد الانتصار (سفر القضاة).

وكان بنو عمّون فى وسط البلاد والفلسطينيون، وهم محاربون أقوياء ويدمنون على البيرة، فى الجنوب بالقرب من البحر المتوسط، يضغطون على العبرانيين، فشعرت الأسباط أن لا بد لها من سلطة مركزية قوية. وتمت محاولة فاشلة لإقامة الملكية عن يد أبيمالك عند أسباط الوسط وعن يد شاول عند أسباط الجنوب.

على الصعيد الدينى، كان سكان أرض كنعان يعبدون إلهاً يُسمى إيل، وكانوا على الأخص يمارسون ديانة طبيعية. فكانوا يكرمون البعل، وهم قوات طبيعية مؤلهة (العاصفة، الأرض ...)، وزوجاتهم الإلهات عشتروت، إلهات الحُب والخصوبة. والعبرانيون الذين يعبدون الإله يهوه كثيراً ما استهوتهم عبادات الكنعانيين الشهوانية فى المشارف.

داود

استغلّ داود ضعف دول الشرق الأوسط الكبرى الثلاث فى تلك الأيام (الحثثيين وكادوا يقرضون، المصريين الأشوريين)، واعتمد على بسالته الشخصية، فحمل أسباط الجنوب ثم أسباط الشمال على انتخابه ملكاً. واستولى على مدينة اليبوسيين، الواقعة بين مجموعتى الأسباط، وجعل منها عاصمته: أورشليم. وأدى هذا الأمر عند إسرائيل إلى وضع جديد كلياً.

على الصعيد السياسى، أصبح لإسرائيل ملك كسائر الأمم. ولكن بعض المؤمنين كانوا يتساءلون: أيمكن أن يكون هناك ملك غير الله؟.

وقد لعب ناتان النبىّ دوراً رئيسياً. لما كان الكاهن يريد أن يتوج الملك فى بابل وفى مصر، كان يعلن عليه قولاً من أقوال الإله القومى، من نوع " أنت ابنى وأنا والدك". فتكلم الله على لسان ناتان وقال إنه يتبنى مثل هذه العبارة: فابن داود - أى كل واحد من خلفائه الشرعيين - يصبح، يوم تتويجه، ابن الله.

فإذا كان الملك يحلّ محلّ الله، فلا عجب أن يلعب دوراً أساسياً. فكان المسئول أمام الله عن خلاص الأمة، ومركز الوحدة السياسية والدينية.

على الصعيد الديني، عمل داود عملاً له قيمة سياسية: فقد قرّر أن يضع تابوت العهد في عاصمته. وكان هذا التابوت، منذ الخروج، مكان حضور الله لشعبه. فداود، بوضعه التابوت في أورشليم، قد ربط حضور الله بالملكية. ولا عجب أن يكون بعض المؤمنين قد رفضوا هذه المبادرة، إذ هنا تظهر طريقتان في تصوّر الإنسان لله: فإما أن يكون هناك إله واحد، موجود في مكان معين، وفي متناول الإنسان، وإما أن يبقى الله خُراً، وهو الذى قاد شعبه، والذى لا يُتوقّع حضوره وعمله (وهذا ما يُظهره بلغة حسية سرّ التابوت كما ورد ذكره فى 1 صم 5-6). وقد رفض الله، بلسان ناتان أيضاً، أن يبني دواود له بيتاً (2صم 7).

هاتان طريقتان في تصوّر الإنسان لله سنجدّها فى صفحات الكتاب المقدّس كلّهُ (راجع رسل 48/7) وتبقيان ممكنتين إلى اليوم أيضاً.

على الصعيد الإداري، شرّع داود فى تنظيم مملكته. فظهرت وظائف مختلفة: قوَاد جيش وكهنة وكتابة ووزير إعلام... (2صم 16/8 - 18). وقد أجرى إحصاء (2صم 24).

لسياسة داود الخارجيّة، نتائج دينية أيضاً. بفضل حروب انتصر فيها داود، ضمّ إلى مملكته عدداً من القبائل، وخضعت له ممالك أخرى. وهذه الشعوب، بتحولها إلى أتباع الملك، أصبح فى استطاعتها أن تستفيد أيضاً من العهد مع الله. وسيحاول الكتبة الذين سيدوّنون تاريخ الشعب أن يُظهروا أن هذه الشمولية سبق أن أعلن عنها فى شخص إبراهيم.

سليمان

ورث سليمان مملكة أبيه. وهبه الله الحكمة (1 مل 3)، أى فن الحكم. فاستغلّ الأوضاع السلمية ليُنظّم المملكة. وتطوّرت الإدارة (1 مل 4-5)، فقسّم البلد إلى اثني عشر قضاء عليها أن تقدّم كل شهر السلع واليد العاملة للأشغال الكبرى... وبُنيت اصطبلات واسعة فى مجدو وفى أماكن أخرى. وكان هناك أسطول يشقّ عباب البحر. وكانت الأموال الناتجة عن التجارة مع مصر وسورية تتدفّق إلى أورشليم حيث شاد سليمان هيكلًا رائعًا لله وبلاطًا واسعًا لنفسه.

ومع ذلك فلم يخلُ كل ذلك من الظلال. فقد أفرط سليمان فى التعاطم، متصرفًا كأحد ملوك ذلك الزمان، لا كالكهانم مقام الله. الكتاب المقدّس ينسب إليه 700 امرأة و300 سريّة... لا شك أن فى ذلك مبالغة! لكن سليمان قد اتّخذ عدّة نساء (منهن ابنة فرعون) أتّين من أمم أخرى. وكن يأتين بالهتّن، ولم يكن خطر عبادة الأوثان خطرًا وهميًا. لقد استغلّ سليمان شعبه. أجل إنه نجح فى إيقاف التمرد المدوّى، لكن هذا التمرد انفجر عند موته. ذلك بأن ابنه كان سبب انقسام المملكة إلى قسمين، بانفصال أسباط الشمال. فلم تدم المملكة الموحّدة إلا سبعين سنة.

المملكتان

ابتداء من السنة 933 كان هناك مملكتان:

- مملكة الجنوب أو يهوذا وعاصمتها أورشليم. سيكون جميع ملوكها من سلالة داود ويستفيدون إذا من الوعد الذي تمّ على لسان ناتان سواء أكانوا قديسين أم خاطئين، إنهم أبناء الله.
- مملكة الشمال أو إسرائيل وعاصمتها السامرة. ملوكها لن يكونوا من سلالة داود (8 من أصل 19 سيقتلون!). فلن يظهر الملك في هذه المملكة بمظهر المسنول أمام الله عن خلاص الشعب.

أدب في نشأته

لأنّ السلم كان يسود البلاد، ولأنّ سليمان قد نظّم بلاطه على صورة بلاد الفرعون، بما فيه الكتبة، فقد أخذوا في تحرير التقاليد. فالكتاب المقدس يُشير إلى كتابين قَدَا: " كتاب البار " و " كتاب حروب يهوه ". ولاشكّ أنّهم وضعوا في ذلك الزمان " قصة التابوت " (1صم 2—5) وقصة " خلافة داود " (2صم 9—20). وجمعوا قصائد: " نشيد السهام " و " مرثاة أبنيير " وهما من تأليف داود (2صم 1 و 3)، وربما بعض المزامير وأقوالاً متأثرة جمعت في وقت لاحق في سفر الأمثال.

وأقدموا، بوجه خاص، على تأليف التاريخ المقدس اليهودي الذي نسميه: " التقليد اليهودي"، وهو الذي سنقرأه الآن.

(36)

التاريخ المقدس اليهودي

نظّم سليمان بلاطه على صورة بلاط الفرعون، وكان " للكتبة " فيه منزلة هامة. دُرّبوا على مهنة الكتاب، فكانوا " حكماء " أيضاً، أي أناساً فُطِرُوا على التمييز وتعلّموا فنّ السلوك في الحياة. وكانت حكمتهم تُعدّ عطية من الله.

إنّ تاريخ مملكة يهوذا المقدس هو، ولا شكّ، من أعمال الكتبة. يُسمّى " التقليد (أو الوثيقة) اليهودي "، لأنّ الله يُسمّى يهوه. ويُطلق على صاحب هذا التقليد، على سبيل التبسيط، لقب " اليهودي ". وقد تدلّ الكلمة على أحد الكتبة أو على مجموعة كتبة.

بوشر تأليف هذا التقليد على عهد سليمان وتواصل في أيام خلفائه الأولين في مملكة يهوذا. والملك هو ابن داود ابن الله، وهو محلّ الله ويُجسّد وحدة الأمة السياسيّة والدينيّة. والتقليد اليهوي في خدمة المملكة وهو يُظهر أن يحقق ما وعد الله الآباء به. إذا فالأمر الذي يؤيد المملكة هو كتابة سياسيّة، ولكن اليهوي ينتقد المملكة في الوقت نفسه ويُذرها، فالملك ليس بعاهل مُطلق اليد، بل هو في خدمة الله وشعبه وحتى في خدمة سائر الأمم.

سنقرأ بعض النصوص المأخوذة من هذا التقليد، متتبعين فيها فكرة " البركة". ثم ندرس بالتفصيل رواية خلق العالم.

◀ نصّ أساسي: تك 1/12 - 3

1. وقال الربُّ لأبرام: " انطلقْ مِنْ أَرْضِكَ وَعَشِيرَتِكَ وَبَيْتِ أَبِيكَ، إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ.
2. وَأَنَا أَجْعَلُكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَأَبَارِكُكَ وَأَعْظِمُ اسْمَكَ، وَتَكُونُ بَرَكَةٌ.
3. وَأَبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَالْعَنُ لِعِزِّكَ وَيَتَبَارَكُ بِكَ جَمِيعُ عَشَائِرِ الْأَرْضِ".

من هم الممثلون؟

ماهي الكلمات التي تبدو لك هامة والتي تتكرّر (كم مرّة)؟ لاحظ صيغة الأفعال: الأمر- المستقبل. تدلّ كلمة " أمة " على شعب منظمّ ومقيم في بلد من البلدان.

بماذا يوحي هذا النصّ إليك؟

اقرأ تك 6 /12 - 9. ما هو الوعد الجديد الموعود به إبراهيم (الآية 7)؟.

بعض ملامح اليهوي

أَنَّهُ قِصَاصٌ رَائِعٌ. رواياته شديدة الحيويّة والواقعيّة وكثيرة الصور. كثيراً ما يصوّر الله بصورة إنسان (تشبيهه). فهو، في رواية خلق العالم، بستانيّ، ثمّ فخّار، ثمّ طبيب جراحى، ثمّ خياط... هذه طريقة اليهوي في كلامه إلينا عن الله وعن الإنسان، فيكشف لنا أنّه لاهوتى عميق.

إِلَهُ إِنْسَانِي جَدًّا. يتنزّه بصحبة آدم كأنه بصحبة صديق له (تك 2) ويدعو نفسه إلى الطعام عند إبراهيم ويساوم معه (تك 18...). والإنسان يعيش معه بألفة ويلتقى به في حياته اليوميّة.

إِلَهُ يَخْتَلِفُ عَنِ الْإِنْسَانِ كُلِّ الْاِخْتِلَافِ. ومع ذلك فإنّ هذا الإله هو

السيد: يأمر أو يُنهى (تك 16/3) وينادى فيقول لإبراهيم ولموسى: " اذهب .. انطلق..". له مقصد فى التاريخ: فإن " بركته"، سئسعد شعبه وتمتد، من خلاله، إلى جميع الشعوب. (من العجيب أن نجد مثل هذه الشمولية منذ ذلك الزمن). وعلى الإنسان أن يلبى هذا النداء الإلهي.

فتمسى الخطيئة رغبة الإنسان فى عد نفسه إلهًا. وهذه الخطيئة تجلب عليه " اللعنة": قايين والطوفان وبرج بابل...

إله مُستعدّ دائماً للعفران. ولا سيّما نزولاً عند طلب بعض الوسطاء كإبراهيم (تك 18) أو موسى (حز 11/32-14)، ومستعدّ أيضاً لتجديد " بركته".

(37)

قراءة بعض النصوص

الفصل **ي** ك

مبادئ العالم

31 - 1		1
14 - 1		2
	25 - 4 ب	
	24 - 1	3
	26 - 1	4
28 - 1		5
32 - 30	29	

الطوفان

22 - 9	8 - 1	6
6	5 - 1	7
9 - 8	7	
11	10	
16-13 أ	12	
17 أ	16 ب	
21-18	17 ب	
24	23 - 22	
2 - 1 أ		8
3 - 5 ب	2 - 3 ب أ	
13 أ	12 - 6	
19 - 14	13 ب -	
	22 - 20	
17 - 1		9

من نوح إلى إبراهيم

29 - 8	27 - 8	
1 أ		10

حلقة مبادئ العالم

إن الجدول يبدك على التقسيم المرّجّح لآيات تك 1-11 بين التقليد اليهوى (ي) والتقليد الكهنوتى (ك). نقتصر هنا على قراءة نصوص (ي). وسندرس بالتفصيل رواية خلق العالم (الصفحة 39).

لا تنتمى هذه الفصول إلى التاريخ، بل إلى اللاهوت المُعَبَّر عنه بالصورة. إنها تفكير " الحكماء ". يُحاول الكاتب أن يُجيب عن الأسئلة الكبرى التى يطرحها الإنسان على نفسه فى شأن الحياة والموت والحب ومبادئ العالم. وهو يقوم بذلك انطلاقاً من إيمانه بالله ومُستخدماً أساطير قديمة (راجع الصفحة 21).

تبدأ الرواية فى جو من التفاؤل، ولكن قصة الإنسانية لا تلبث أن تظهر كقصة تكاثر الشرّ. فتحلّ اللعنة خمس مرّات (14/3 و 17 و 11/4 و 29/5 و 25/9). وفى كلّ مرّة نرى الله يغفر أو يعد بالخلّاص، إلا فى المرة الأخيرة. وأما قصة برج بابل، فهى تُعبّر عن الشعور بأننا نعيش فى عالم مُحطّم لم يعد الناس يتفاهمون فيه. فهل قصتنا ملعونة؟

كيف تبدو الرواية فى إبراهيم جواباً؟

لاحظ الانقلاب الوارد فى 4/11 إلى 2/21، والبركات الخمس.

حلقة إبراهيم

لم نصل هنا إلى الفن التاريخى، بل نحن أمام تقاليد أسطورية، مبنية على أساس تاريخى، وموولة دينياً للتعليم.

يبدو إبراهيم الرجل المؤمن على " بركة الله " من أجل الشعوب. ماذا يفعل بها؟

7-2	أب
20	19-8
23-22	21
32-31	30-24
27-10	11 9-1
32-31	27ب-30

- فى تك 20-10/12؟
 - فى تك 16/18 - 33؟ لاحظ الآيتين 17 18.
 - فى تك 15/22 - 18؟
- يُمكنك، إن أردت ذلك، أن ترى كيف أن العهد الجديد هو فى خط إبراهيم: غل 8/3 و عب 8/11 ت.

حلقة يعقوب

نحن أمام الفن الأدبى الذى وجدناه فى حلقة إبراهيم. كانت هناك تقاليد عن عشيرتين مختلفتين، عشيرة يعقوب وعشيرة إسرائيل، فدمجت هذه التقاليد، ونُسب الاسمان إلى شخص واحد أصبح حفيد إبراهيم.

اقرأ تك 13/28 - 16. لماذا يُعَدُّ الله يعقوب بمواعد؟ وما هى هذه المواعد؟
تك 23/22 - 33. فى ما يتعلق بالصراع بين يعقوب والله، راجع الحواشى التى قد تجدها فى كتابك المقدس.

البركة

كلمة "بارك" تعنى: أحسن القول. فحين يقول الله قولاً حسناً لأحد، يتم له ذلك، لأن كلمة الله قديرة وهى تعمل ما تقول.
وكلمة "لعن" تعنى: أساء القول، وبالتالي أنزل البلية.
والخيرات التى يقولها الله أو يعملها تنتمى إما إلى ما يملك الإنسان (الأموال والخصوبة) وإما بنوع خاص إلى ما يكون عليه الإنسان: حياة الله نفسها.

(38)

حلقة موسى

يبقى موسى شخصية العهد القديم الأساسية. لكن وجهه يختلف باختلاف التقاليد.

فى التقليد اليهودى، نراه حاضراً فى كل مكان، من الخروج من مصر حتى الوصول إلى كنعان. ولكن الله هو رئيس الشعب الحقيقى والمحرر الأوحى. إن موسى لا يجرى المعجزات وليس قائداً حربياً ولا مؤسساً دينياً، بل إنه بالأحرى الراعى الذى يُلهمه الله ليُعرّف الناس مشيئته.

◀ الخروج 1/3 - 8. الله يدعو موسى

أنظر رد فعل فرعون فى خر 4/8 و 17/10 و 31 /12 - 32. قارن بين دور الوسيط عند موسى ودور الوسيط عند إبراهيم فى تك 18. على شعب الله أن يأتى بالغرغان والبركة، حتى لأند أعدائه.

حلقة بلعام

كان إسرائيل يواجه شعب موآب. فاستدعى ملك البلاد من المشرق بلعام الإلهي ليعلن إسرائيل. ماذا فعل بلعام (عدد 1/24)؟ من المفيد أن تقرأ عدد 1/24 - 19 ، على الأقل الآيتين 7 و 17.

إليك كيف كانوا يفهمون عدد 17/24 في أيام المسيح، بحسب الترجمة المشروحة (أو ترجوم) التي كانوا يأتون بها هذا المقطع.

النص العبري

ترجوم

يقوم ملك من

يخرج كوكب من يعقوب

آل يعقوب

ومخلص (أو مشيح

ويقوم صولجان من إسرائيل

(من آل إسرائيل

أفي هذا الشرح ما يساعدك على فهم متى 1/2 ت؟ ما هو هذا الكوكب في نظر متى؟.

الأبء

إذا أردنا أن نضع شجرة نسبنا، نطلق من أنفسنا ونرقي إلى أجدادنا. لا دليل لنا سوى رابط الدم. هذا أمر هام، لا شك. ولكن هناك أحياناً روابط صداقة أو رفقة قد تكون أوثق من روابط الدم. فالصديق يُصبح " أخاً". وفي أيامنا أيضاً، حين تتعاهد بعض القبائل، فإنها تتشارك في كل شيء: في التقاليد وفي الأجداد، وبما أن هذه القبائل أصبحت مجموعة واحدة، فإنهم يعبرون عن هذه الوحدة بإقامة روابط قرابة بين الأجداد.

وهذا ما فعله إسرائيل، على ما يبدو، في أمر الأبء. ففي القرن الثامن عشر أو السابع عشر ق. م، أقامت في كنعان عشائر بدوية مختلفة: عشائر يعقوب وإسحق وإسرائيل وإبراهيم... وتبنّت إلهاً محلياً واحداً، وهو إيل. وتعاهدوا وأصبحوا أخوة. وبالتالي، أصبح أجدادهم أيضاً أقرباء. وهكذا أصبح إبراهيم أبا إسحق وجد يعقوب الذي هو إسرائيل

لا شيء مقلق في هذا الافتراض الذي يقترحه رجال الاختصاص. ولكنه يحملنا على مزيد من الفطنة حين ندعى إعادة وضع تاريخ الأبء. ولكن الجوهر ليس هنا.

الجوهر هو المعنى الديني الذي رآه إسرائيل في هذه القصة. ففي " قصيدة الأجداد الملحمية" هذه وجد إسرائيل، في كل عصر، ما يغذي تأمله ويقوى إيمانه. يكتشف " الإلهوى" في ذلك وعداً ببركة يستفيد

منها الملك، ابن داود، وعليه أن ينقله إلى الجميع. و" الإيلوهي" يظهر لمعاصريه المعرضين للارتداد عن الله إلى الأصنام الكنعانية أباءهم إبراهيم ولا سيما يعقوب كمثال أمانة لله. وأما " الكهنوتي" فإنه يُكتَب أثناء الجلاء إلى بابل، إذ كان كل شيء يبدو مكسوراً ولم يبق مجال للأمل. فلكى يثبت رجاءه وإيمانه، يستند إلى وعد الله لإبراهيم. إن الله ألزم أمانته في أحد الأيام، فهو سيخلصنا بالرغم من خطايانا.

يرى القديس بولس في إبراهيم مثال الإيمان. فليس الأمر أن نريد أن نكون أبراراً أمام الله بأعمالنا، بل أن نُسَلِّم أمرنا إليه واثقين. فالرسالة إلى العبرانيين تدعونا إلى الانطلاق في خطى إبراهيم، دون أن نعرف الطريق مسبقاً...

ونحن، ماذا نكتشف في إبراهيم لنحيا اليوم في الأمانة لله..؟.

(39)

◀ رواية خلق العالم (تك 4/2 - 24/3)

ابدأ بقراءة هذا النص. دون ردود فعلك وأسئلتك...

عُد إلى هذا النص طارحاً على نفسك بعض الأسئلة (يُمكنك أن تضع تحت كلمات النص خطوطاً مختلفة الألوان):

- من هم الممثلون؟ ماذا يعملون؟
- حاول أن تُميِّز أقساماً مختلفة: ما هو المقصود في كل منها؟
- اكتشف المواضيع أو العبارات المتكررة، وبنوع خاص: أين يرد الكلام على شجرة الحياة؟ على شجرة معرفة الخير والشر؟ ما هي العبارات التي تُفسر ما يحصل عليه الإنسان إن أكل من ثمرتها؟

تفكير حِكمي

إلى أي فن أدبي ينتمي هذا النص؟ لا شك أنه ليس " تحقيقاً مباشراً" ولا تعليمياً في التاريخ أو الجغرافيا. فالمقصود هو بالأحرى تفكير قام به " حكماء" كانوا يتساءلون عن المسائل البشرية الكبرى: من أين أتينا؟ إلى أين ذاهبون؟ لماذا الحياة والألم والموت؟ لماذا تجاذب الجنسين هذا؟ ما هي صلة الإنسان بالله وبالطبيعة (العمل) وبالأخرين؟...

ولكى يحاول الكاتب أن يجيب عن هذه الأسئلة، يعتمد على " تفكيره الشخصي"، بل وعلى تفكير حكماء ينتمون إلى حضارات أخرى. ولكنه يُفكر بنوع خاص انطلاقاً من إيمانه. إن المؤمنين الذين سبقوه تأملوا

قبله في الخروج وفي الدخول إلى كنعان، واكتشفوا في هذه الأحداث وجهًا معيّنًا لإلههم. فمما يعرفه الكاتب عن إلهه يُحاول أن يُجيب.

سنعود إلى بعض من هذه الأسئلة، واضعين إياها في الإطار الفكريّ الذي يمتاز به ذلك الزمان.

• آدم وحواء. لتتغلب أولاً على صعوبة. يقولون أحياناً: " إن آدم وحواء لم يُوجدا قط ". من يتكلم هكذا يظهر أنه لم يفهم شيئاً من الفن الأدبيّ الذي ينتمي إليه هذا النصّ. لا شك أن البشرية لها بداية. مع مَنْ؟ كيف؟ من شأن العلم أن يُجيب عن هذه الأسئلة، لا من شأن الكتاب المقدس. لكن الزوجين أو الأزواج الأولين الذين يُقدمهم لنا العلم بصفته أول الناس، يُسميها الكتاب المقدس " آدم وحواء". ومعنى هذين الاسمين في العبرية: " السيد الإنسان والسيدة الحياة". فهما إذا اسمان رمزيان يدلان في آن واحد على الإنسانين الأولين وكل إنسان وجميع الناس.

• ولادة الأرض. ما هي الفكرة العلمية (فكرة ذلك العصر) الكامنة في هذه الرواية؟ (سنرى أن علم تك 1 علم آخر). لا شك أن في هذا خبرة البدويّ الذي يعدّ الواحة في الصحراء جنة.

ملحمة أطرا - حاسيس (قبل 1600ق. م. في بابل)

إن الآلهة مرهقون بسبب الأعمال التي يقومون بها:
" حين كان الآلهة، على طريقة الناس،
يحتملون العمل ويتحملون العناء
كان عناء الآلهة كبيراً وعملهم ثقيلاً وشدتهم عظيمة... "

فتمرد الآلهة، وللتخفيف عنهم، استقرّ الرأي على خلق الإنسان.
فأشار الإله إيا:

" ليذبح إله ولتأخذ نثو (الإلاهة الأم) دمه ولحمه
و تجبل طيناً حى يختلط الإله والإنسان في الطين".

• خلق الإنسان. ما هي العناصر التي يتكوّن منها؟ إقرأ المقطع التالي المأخوذ من قصيدة بابلية: ما هي وجوه الشبه والفوارق التي تراها بين النصين؟ كيف يعبر عن تشاؤم بابل وتفاول الكتاب المقدس؟ هذا النصّ لا يناقض أبداً نظرية النشوء والارتقاء التي تقول بأن الإنسان صادر عن الحياة الحيوانية. إنه يُعطى معنى دينياً لظهور الإنسان: ما هو هذا المعنى؟

- الإنسان والطبيعة. ما هو دور الإنسان بالنسبة إلى الطبيعة (15/2)؟ بالنسبة إلى الحيوانات (19/2: من سمى اعطى كائنًا جديدًا)؟ ألا يعنى هذا المناداة بأن العلم شرعى؟.
- خلق المرأة . لماذا خُلقت المرأة؟ كيف يُعبّر عن الفكرة بأن الرجل والمرأة هما من طبيعة واحدة وأنهما يختلفان عن الحيوانات؟.

(40)

" السبات " أو " النوم ". هذه كلمة نادرة تعبر عن اختبار فائق الطبيعة، عن نوع من الانجذاب، بحسب الترجمة اليونانية للكتاب المقدس.

لعلنا نجد هنا الأسطورة القديمة التى تقول بأن الرجل لا يصبح رجلاً إلا فى صلة حب بالمرأة. انظر إلى النص التالى:

ملحمة جلجامش

جلجامش بطل مدينة أوروك. أراد الآلهة أن يقاوموا قدرته، فخلقوا المسخ أنكيديو الذى يعيش مع الوحوش، وفقاً لمشورة بعض الصيادين.

استسلمت له بغى مقدسة. فجامعها ستة أيام وسبع ليالٍ. ولمّا أروى غليله أراد أن يعود إلى الوحوش، لكنّها أخذت تهرب منه. حاول أنكيديو أن يتبعها، فلم ينجح. ذلك بأنه فقد قوته، ولكنه أصبح إنساناً.

" ها إن أنكيديو لا قوّة له

ركبته تبقى جامدتين حين يريد أن يتبع القطيع.

ضعف فلم يعد يقوى على الركض، لكن قلبه وروحه منشرحان.

فعاد إلى الجلوس عند قدمي خليلته وأخذ يتأمل فى وجهها

وها إنه أصبح يفهم ما تقوله خليلته".

- الحيّة. كان لهذا الحيوان دور هامّ فى علم الأساطير. ففي مصر كانت الحيّة تُقاوم الإله الشمس فى الليل لتمنعه من الطلوع. وفى كنعان، كانت رمزاً جنسياً فى بعض العبادات. جاء فى ملحمة جلجامش أنّها هى التى سرقت شجرة الحياة (انظر فى الأسفل). من الممكن أن كلّ ذلك قد أثر فى اختيار الحيّة. ولكن الأمر المهمّ فى هذا النصّ هو الدلالة على أن الخطيئة لا تصدر عن باطن الإنسان وأنّها ليست جزءاً من طبيعته. إنّها تصوّر عن خارج

الإنسان. فالإنسان مسئول عن أعماله (قارن ذلك بالنص البابلي أدناه).

علم الإلهيات البابليّ (بابل، الألف الثاني)

" إنّ ملك الآلهة، خالق البشر،
والإله إيا الذي جبل طينهم والآلهة التي صنعتهم
قد وهبوا للإنسان روحاً فاسداً
وأعطوه للأبد لا الصدق، بل الكذب".

ملحمة جلجامش

تسلّطت على جلجامش فكرة الموت، فذهب يبحث عن الخلود فكشف له بطل الطوفان وجود شجرة الحياة. فاستطاع جلجامش أن يستخرجها من الهاوية وأراد أن يعود بها إلى مدينته. فسار يومين ثم توقّف:

" رأى جلجامش جرناً مياهه عذبة، فنزل إليه ليغتسل.
وشعرت حياة برائحة الشجرة فخرجت من الأرض بصمت
وذهبت بالشجرة ونبتت على الفور جلدها القديم.
في ذلك اليوم بقي جلجامش هناك وبكى وسال دموعه على أنفه"

• شجرة معرفة الخير والشرّ. من الواضح أنّ هذه الشجرة وثمرها هما رمزان (لا ذكر لـ " التفاحة ")، كما أننا نقول " إننا نذوق ثمار الراحة أو ثمار عملنا". ماذا تمثل هذه الشجرة؟.

لنبدأ بإبعاد تفسير خاطئ: ليس المقصود شجرة المعرفة أو العلم، كما لو كانت هذه محرمة على الإنسان. فإنّ النصّ يثبت عكس ذلك: ذلك بأنّ الله يهب العالم للإنسان ليحرثه، والحيوانات ليسميها، أي العلم ليخلقه.

في أثناء قراءتك لهذا النصّ، لاحظت أنّ هذه الشجرة كثيراً ما هي متصلة بعبارات مثل: " تصيران كآلهة تعرفان الخير والشرّ " (5/3). هذه الشجرة " مُنية للتعقل " (6/3). انظر أيضاً إلى (22/3).

إنّ كان لديك مُتسع من الوقت، يُمكنك أن تقرأ حزقيال 28: يستعمل النبيّ الصور نفسها (عَدَن أو الجِنَّة، صار كاللّه،

الكرويين إلخ). خطيئة ملك صور هي في قوله: "أنا إله"، لأنه اقتنى الحكمة.

فما هو محرّم على الإنسان هو رفضه لأن يكون إنساناً ورغبته في أن يجعل نفسه إلهًا، إن الله وحده "حكيم"، يعرف أصل الخير والشر. لا يستطيع أحد أن يسرق هذه الحكمة، ولكن الله يهبها لمن يُحبّه باحترام، أو، كما يقول الكتاب المقدس، لمن "يهابه" (راجع مثل 18/3).

والحكمة التي ظنّ أنه سرقتها تركته آخر الأمر "عرياناً"، فكتشف أنه مجرد إنسان فشارك الحية حالتها: "عريان" و "محتال" كلمة واحدة في اللغة العبرية.

(41)

- العذاب والموت. هل كان الإنسان يتعذّب، هل كان يموت قبل الخطيئة؟ السؤال مطروح طرحاً سيئاً. فإن الكاتب ينظر ببصيرة إلى أوضاع زمنه البشرية: يعلم أنّ العذاب والموت موجودان ويبحث عن المعنى. ويصطدم بحكمة الله التي لا يستطيع الإنسان أن يعرفها. فإن أراد الإنسان أن يسرق هذه الحكمة، وجد نفسه عرياناً وحاتراً في هذه الأوضاع البشرية المؤلمة. فيكتشف إذا صلة بين العذاب والخطيئة. قبل الخطيئة، كان آدم يتعذّب وكان قابلاً للموت، لكنّه لكان عاش هذه الأوضاع في الثقة بالله وبلا قلق. (سنعود إلى الكلام على كلمة "قبل" هذه).

الخطيئة الأصلية

إنّ ما يُسمّيه المسيحيون "الخطيئة الأصلية" لا وجود له في نصّ التكوين، بل في رسالة القديس بولس إلى أهل رومة (روم 5).

- خطيئة التكوين: إذا كان آدم هو الإنسان وكل إنسان، فخطيئته أيضاً هي خطيئة كل إنسان، هي خطيئة العالم. في هذا المعنى، كلّ خطيئة من خطايانا تدخل في خطيئة آدم هذه وتضخمها وتزيدها كثافة.
- في نظر القديس بولس: ليس التأكيد على الخطيئة الأصلية إلا نتيجة لحقيقة أكثر أهميّة بكثير، هي "أنا جميعاً مخلصون بيسوع المسيح". ويواصل قوله فيضيف: "إننا جميعاً مخلصون،" لأننا جميعاً كنا في حاجة أن نكون مخلصين". فيحاول أن يُثبت ذلك: أولاً بطريقة إحصائية، مبيّناً أن اليهود والوثنيين هم خاطئون (روم 1-3)، ثم يستأنف إقامته الدليل بطريقة رمزية: بما أن آدم يمثّلنا جميعاً وأنه خاطئ، فنحن جميعاً به خاطئون. ولكن ذلك مجرد استنتاج. لأنّ الجوهر هو أننا مخلصون بيسوع المسيح.

حيث كثرت الخطيئة، فاضت النعمة. إنه يُصرِّح لنا، بعبارة أخرى، بأننا خاطئون معفو عنهم. وهذا أمر رائع. حين ننجو من حادثة قاتلة، يكون أثر الجرح الباقي رائعاً. كلما رأينا، يذكّرنا بأن الله يُخلصنا بيسوع المسيح، وبأننا " فزنا فوزاً مبيئاً بذلك الذي أحبنا" (روم 37/8).

• شجرة الحياة. تظهر أولاً في 9/2. وبحسب 16/2 يستطيع الإنسان أن يأكل منها. ثم تظهر ثانية في 22/3-23، حيث نكتشف رافة الله. فليس هو حسوداً، كما تزعم الحية. في يده وحده الحياة، وهو مستعد لأن يهبها للإنسان، شرط أن يرغب الإنسان في ذلك: " بين يديك الحياة والموت: فاختر الحياة... (تث 19/30-20).

الفردوس: عمل يجب القيام به

يريد الكاتب أن يُعبّر عن أمرين يصعب التعبير عنهما والتمسك بهما في آن واحد.
الأول أخذه عن إيمانه: خلق الله الإنسان ليكون سعيداً حراً، ولم يخلق الخطيئة والشر.
والثاني يعرفه من خبرته: كل إنسان خاطئ، كل إنسان يريد أن يجعل من نفسه إلهاً، وذلك منذ البدء.

لنأخذ قطعة نقد: من المستحيل أن نرى وجهيها في آن واحد، ما لم ننشر القطعة في سُمكها، ولكنّها لا تعود قطعة حقيقية. هذا ما يفعله اليهوى هنا. إثباتان هما وجهان للحقيقة البشرية. فهو يفصلهما ليضعهما جنباً إلى جنب، " قبلاً " و " بعداً ". هذا أمر واضح، ولكن الإنسان لم يعد إنساناً! " القبل " هنا ليس بزمن تاريخي، بل هو صورة لاهوتية: يريد أن يُعبّر فقط عن رغبة الله، عن رغبة لم تُحقّق في الواقع كما هي.

بعد اليهوى بقليل، تناول أشعياء النبيّ الصور نفسها، ولكنّه جعلها في إطار نهاية الأزمنة: ذاك ما سيحقّقه الله يوماً (أش 1/11-9). لعلّ اليهوى وأشعياء يقولان لنا الشئ نفسه: ليس الفردوس وراءنا كحلم جميلٍ مفقود، بل هو في الأمام وهو عمل يجب القيام به.

أىّ إله؟ أىّ إنسان؟

افتتحنا هذا الدرس بقولنا: يحاول اليهوى أن يجيب عن الأسئلة الكبرى التي نحملها في أنفسنا. وفي الختام: أىّ ضوءٍ جاءكم من ذلك؟
أىّ وجه الله يظهر لكم هنا؟
ما هو الإنسان؟

(42)

أنبياء مملكة يهوذا

سنتعرف إلى الأنبياء الأولين الذين وعظوا في مملكة يهوذا.

ناتان

هذا النبي لم يترك كتابات. ولكنه لعب دوراً هاماً لدى داود.
2 صم 17/1-17. إقرأ هذا النصّ واضعاً إياه في إطار مملكة داود
ووضعها الديني والسياسي (انظر الصفحة 34).
لاحظ النقائض: سَكَن / سار في خيمة - بيت سكن / بيت سلالة - اسمي
/ اسمك. هل تجد هنا النظرتين عن الله اللتين تكلمنا عنهما في الصفحة
35؟ هل في إمكانك أن توضّحهما؟
ما هو دور الملك في إسرائيل؟ انظر إلى الألقاب المطلقة على داود:
عبد وراع وملك...
إن كان لديك مُتسع من الوقت، يُمكنك أن تقرأ 1 أخ 17/1-15. وُضع
سفر الأخبار بعد الجلاء، أي بعد نصّ صموئيل بخمسة قرون.
قارن بين 2 صم/ 14/7 و 1 أخ 13/17 (لم يعودوا يتصورون أن " ابن
داود" هذا مُعرض للخطيئة)، كل هذا يُرينا أنّ وجه " ابن داود" هنا
أصبح، خلال خمسة قرون، على جاتب من الأهميّة. إقرأ المزمور 2 :
في هذا المزمور تُنسب إليه ملكيّة العالم كله! وهذا الأمر يساعدنا على
أن نفهم في أي معنى سيطلق لقب " ابن داود" على يسوع.
أمّا سائر تدخلات ناتان، فتجدها في 2 صم 12 (خطيئة داود) و1مل
1.

أشعيا

وعظ أشعيا في أورشليم بين السنة 740 والسنة 700. كان شاعراً
كبيراً وسياسياً يقطّأ، وقبل كلّ شيء نبياً، فكان له تأثير عظيم في زمنه.
اعتزّ به تلاميذ جاؤوا بعد قرنين وقد أضيفت أعمالهم إلى أعماله.
فلا بدّ من التمييز بين سفر أشعيا (66 فصلاً) و " الأنبياء " :
الفصول 1-39 هي جزئياً من تأليفه، والفصول 40-55 هي من تأليف
تلميذ عاش في أيام الجلاء، والفصول 56 - 66 هي من تأليف تلميذ عاش
بعد الجلاء.

كانت الأوضاع السياسيّة في أيام أشعيا معقّدة. وكانت مملكتنا
أورشليم والسامرة على جانب كبير من الأزهار (على الأقلّ للأغنياء
الذين كانوا يحطّمون الفقراء!)، ولكن بلاد آشور كانت تهدّدها. ففي
السنة 734 ضغط ملوك دمشق والسامرة على أورشليم لإرغامها على
التحالف ضد آشور وستكون هذه " الحرب السوريّة الأفرانيميّة " السبب
الذي حمل أشعيا تأليف أهمّ نبوآته.

قد يكفيك، لجولة أولى من الاكتشافات، أن تقرأ الفصول الاثني عشر الأولى، لا بل أش 6- 12 أيضاً، وكذلك 17-16/28 و 17-29/24.

في " دعوة " أشعيا (أش 6) مُبرّر لرسالته. جاء إلى الهيكل فاختر وجود الله ووعى أن ليس هو سوى إنسان خاطئ، فشعر بأنه هالك. لكنّ الله أنهضه وطهره. وشعر أشعيا بأنّ الخطيئة العظيمة هي الكبرياء (يظن الإنسان أنه قائم بذاته فيجعل نفسه إلهًا)، وبأنّ الخلاص هو الإيمان (يُسلم الإنسان أمره إلى الله ويضع فيه كلّ ثقته).

" لا يرى الإنسان الله ويعيش... "

كثيراً ما وردت هذه الجملة في الكتاب المقدّس، وهذا ما اختبره أشعيا. ولا يعنى ذلك بأنّ الله شرير، بل أنّه يختلف عنّا كل الاختلاف! التيار الكهربائيّ شئ حسن، ولكنّ إن وضع الإنسان يده على خط من خطوط التوتّر العالي، يتفكّ لأنه غير منسجم مع هذه القدرة. كذلك فنحن غير منسجمين مع الله الذي " هو " الحياة، بينما نحن " لنا " حياة فقط. ولذلك، فعندما يتجلّى الله، يحجب مجده: راجع على سبيل المثل " رؤية القفا"، التي منحها الله لموسى (خر 12/33 ت).

لا بل نحن خاطئون ولا نستطيع أن نقوم أمام الله القدّوس، أي " المختلف عنّا والكامل".

فلا بدّ أن يُطهرنا الله ويُقيمنا. وفي آخر الأمر فبابنه يسوع " نجرو" على تسميته أباً.

(43)

سيحاول أشعيا أن يحمل شعبه على القيام بالاختبار نفسه: إنّ الله " كحجر " ضخّم على الطريق، فعلى الشعب أن يختار: إمّا الكبرياء، وهذا يعنى الاصطدام بالحجر (14/8) والموت (5)، وإمّا الإيمان، وهذا يعنى الاعتماد عليه (20/10 - 21) أو على تلك الصخرة التي هي المسيح (16/28). لكنّ هذا الوعظ لن يؤدّي، مع الأسف، إلا إلى تحجّر قلوب الأكثرية، وإلى قيام " بقية " من المؤمنين (11-9 /6).

أشعيا من مملكة يهوذا. فالملك في نظره " ابن داود / ابن الله " وكفيل إيمان الشعب وممثله لدى الله. ولذلك تألم من قلة إيمان أحاز الملك. فإنّ الملك خاف من تحالف دمشق والسامرة فقدّم ابنه ذبيحة للآلهة الكاذبة (2 مل 3/16) مُعرّضاً هكذا للخطر وعد الله لداود. فجاء أشعيا وبشره بأنّ الله، بالرغم من كلّ شئ، يبقي أميناً لوعده، وبأنّ ابناً آخر أت وانّ المرأة (زوجة أحاز) حامل. ووضع أشعيا كلّ رجائه في هذا الولد، حزقيا الصغير، عمّاتونيل، " الله معنا " (أش 7). ولمّا ملك حزقيا

فأصبح " ابن الله"، أخذ أشعيا يتغنّى بعصر السلام الذى لمَحَه (أش 9) ويُشيد بمجئ ابن داود الحقيقى الذى سيأتى يوماً ليُحلّ السلام الشامل (أش 11). هذه الأقوال النبوية هامة، ولكنها عسيرة الفهم أحياناً.

ميخا

كان أشعيا أرسقراطياً، أما ميخا فهو فلاح. وقد تألم فى جسمه من سياسة الكبار التى جلبت الحرب ومن لا عدالة الأغنياء. فصعد فى أحد الأيام إلى أورشليم يجهر بسخط الله.

إنّ وجب علينا أن نحفظ آية ممّا قال، نختر مى 8/6 حيث وفق توفيقاً رائعاً بين رسالة الأنبياء الثلاثة الذين عاشوا فى ذلك العصر: عاموس الذى تكلم عن العدل، وهوشع الذى تكلم عن حنان الله فى مملكة الشمال، وأشعيا، نبي الإيمان الوضيع فى أورشليم.

" قد بُين لك أيها الإنسان ما هو صالحٌ

وما طلب منك الربّ:

إنّما هو أن تجرى العدل

وتحبّ الرّحمة

وتسير بتواضع مع إلهك".

وبإمكانك أن تقرّ أيضاً صراخه على اللا عدالة الاجتماعية (1/2 - 5 و 12 - 1/3 و 7 - 1/7) أو تبشيره بمشيع لن يكون ابناً لداود ملك أورشليم، بل ابناً لداود راعى بيت لحم الصغير (1/5 - 5 ويستشهد به متى 6/2) أو رسالته فى الرجاء (1/7 - 15 ويستشهد به لوقا 73/1).

النبى

ليس هو أحدًا " ينبئ بالمستقبل"، بل بالأحرى أحدًا يتحدّث باسم الله، أحدًا أطلعه الله على تدبيره (عا 7/3) فصار يرى كلّ شى بعينه.

هل هناك وحى خارق للعادة؟ لا يُستعبد هذا الافتراض، ولكن يبدو بالأحرى أنّ الأنبياء يكتشفون كلمة الله هذه فى وقتين أو مكانين، هما دعوتهم والحياة. دعوتهم جازمة، وفى هذا الوقت يقومون باختيار الله، فى زيارة للهيكل عند أشعيا، أو صلاة متواصلة عند إرميا، أو من خلال حبّ فاشل عند هوشع... وفى هذا الضوء، فعن طريق " الحياة" وبواسطة الأحداث السياسية الكبرى كالوجود اليومى، يكتشفون هذه الكلمة ويقرأون علامات الأزمنة.

ومن ثمّ فكلّ شى أصبح يُحدّثهم عن الله، سواء أكان غصن شجرة اللوز المزهر أو القدر غير المثبّته (إر 11/1 ت) أو الحياة الزوجية (هو 1-3 و حز 5/24 ت) أو اجتياح الأعداء. وبذلك يعلموننا أنّ نقرأ فى حياتنا تلك الكلمة التى لا تزال تنادينا.

يُعبّر الأنبياء عن أفكارهم بالكلام: أقوال نبوية (أو تصريحات يُدلى بها باسم الله) وإرشادات وروايات وصلوات... وبالأعمال أيضاً. فالحركات التى يقوم بها الأنبياء

إن كنت تدرس مع فريق...

من الواضح أنك لا تستطيع، فى خلال شهر واحد، أن تدرس كل ما هو معروض هنا. فلماذا لا تتقاسمون العمل: كل منكم يقرأ مجمل هذا الفصل ويكتفى بدرس جزء منه. وحين تجتمعون، يستطيع كل واحد أن يأتى الآخرين ببعض الشئ ويكتشف بعض الأفكار المتقاربة.

فإنه من المهم أن يكون لكل واحد رؤية إجمالية لهذه الفترة الزمنية. لم يقتصروا فى هذا الوقت على تأليف رواية خلق العالم أو تاريخ مملكة يهوذا. هناك أنبياء وعظما وحماء تكلموا (لاسيما فى تك 2-3) وشعب يُصلى (وإن كنا نجهل ما هى المزامير التى يرقى عهدا إلى ذلك العصر). ففى هذا الحبل العظيم، نُشاهد أوائل مولد الكتاب المقدس.

(44)

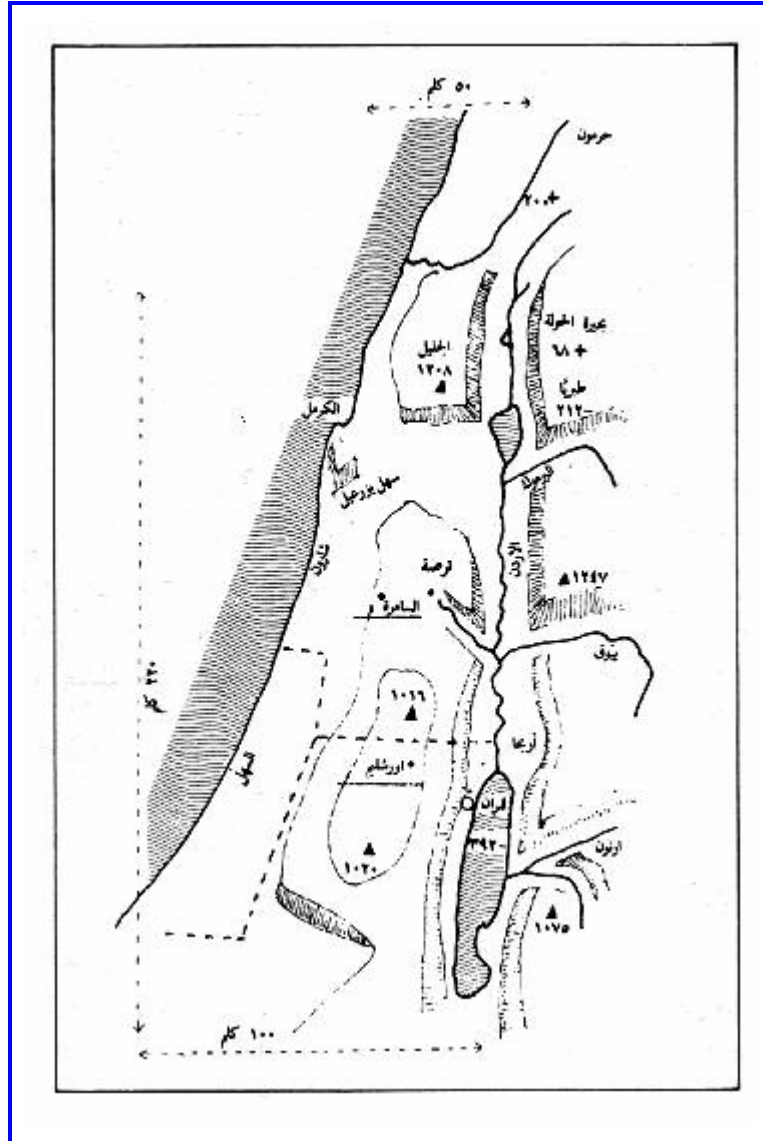
3- مملكة الشمال

(935 - 721 ق. م.)

نحو خمسين كيلومتراً فقط تفصل العاصمتين الواحدة عن الأخرى: أورشليم والسامرة. ومع ذلك، فمملكة إسرائيل تختلف من أكثر من وجه عن مملكة يهوذا الشقيقة المعادية.

- **الوضع الجغرافى.** نظرة إلى الخريطة المبسطة أكثر فائدة من أقوال كثيرة. أورشليم هى فى وسط التلال، بالقرب من برية يهوذا. أرضها المليئة بالحصى تخرج بعض الحبوب وتمكّن من زراعة الكرم والزيتون وتربية الخراف. ليس للملكة من منفذ على البحر - يُقيم الفلسطينيون فى السهل الخصب - وهى موجهة نحو وادى الأردن والبحر الميت. أما مملكة الشمال، فهى تشغل بالعكس تلال السامرة المخضوضرة الوديان وسهول شارون ويزرعيل. هذا وإن تنقل العاصمة يدل بوضوح على تطورها: كان ملكها الأول ياربعام قد أقام فى ترصة الموجهة نحو الأردن. فاشترى عمري، أحد خلفائه، رابية السامرة وبنى فيها عاصمته، فأصبحوا موجهين نحو البحر. وسهّلت العلاقات والتجارة مع رؤساء الشمال الكنعانيين (لبنان وسورية الحاليين). وهذا ما أدى جزئياً إلى الوضع الاقتصادى والدينى.

- **الوضع الاقتصادي.** يحسن بنا أن نقرأ، في أقوال عاموس النبي، وصفه لمساكن السامرة وجدرانها الملبسة أبنوساً وعاجاً (عا 12/3 و 11/5 و 4/6). لنشعر بازدهار البلاد، ولكن في الوقت نفسه، بما ولده هذا الازدهار من لا عدالة إجتماعية. فالحفريات التي جرت في ترصة، العاصمة الأولى، أظهرت عدداً من المساكن المتقنة البناء يفصلها جدار عن مجموعة من الأكواخ.



• **الوضع الديني.** مملكة إسرائيل أكثر اتصالاً من مملكة يهوذا بالكنعانيين الذين يُقيمون في أرضها ويؤسّعون صور وصيدا ودمشق. وسنوضح بعض ملامح هذه الديانة التي كانت تجتذب ذلك الشعب المزارع، لأنها كانت مركزة على عبادة القوّات الطبيعية المؤهّلة - البعل والعشترت - والتي كان مفروضاً فيها أن تُخصّب الأرض والمواشي والبشر. وكان إسرائيل يتميّز أن يضمن لنفسه الجاتيين، أن " يعرج على الرجلين " بحسب ما ورد على لسان إيليا: أن يُعيّد للربّ ويعمل للبعّل في آن واحد. كان ياربعم يحاول أن يمنع شعبه من الذهاب إلى أورشليم، فنصب ثورين (وكان الأنبياء يُسمّونها بتهكم " العجلين ") في حدود مملكته، في دان وبيت إيل (1مل 26/12 ت). ومن الأرجح أن هذين الثورين كانا بمثابة قاعدة للإله الحقّ وكمكان لحضوره، على مثال تابوت العهد في أورشليم. ولكن الثور كان رمز بعّل، فكان يُشكّل خطراً كبيراً للوقوع في عبادة الأوثان.

• **الوضع السياسي.** لقد استمرّ في إسرائيل نظام الملكية الذي أنشأه داود وسليمان. ولكن الملوك هنا لم يعودوا من سلالة داود الشرعية. فثمانية على تسعة عشر منهم سيموتون مقتولين، والسلالات تتعاقب. ليس الملك " ابن داود " ولا يمكنه أن يكون " ابن الله ". قال الله شاكياً: " **نصبوا ملوكاً ولكن ليس من قبلي** " (هو 4/8). فلن يكون الملك، كما هي الحال في يهوذا، كفيل وحدة الشعب وممثله أمام الله. هذا الدور سيمثله النبي في إسرائيل، فيقف وقفة تُعارض وقفة الملوك، مع العلم بأن هؤلاء الملوك لن يكونوا خيراً أو شراً من ملوك يهوذا، وسيقوم من بينهم ملوك عظام.

• **السياسة الدولية.** لقد وجد إسرائيل نفسه مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بسياسة زمنه. كانت مصر في عصر انحطاط، ولكن آشور كانت قوية وقامت بعدة غارات على كنعان. في شمال إسرائيل، كانت مملكة دمشق الآرامية الصغيرة مزدهرة. نظراً إلى أصلها السامي وقوتها، كانت قريبة من إسرائيل ومن يهوذا، وستكون تارة حليفة وتارة عدوة. تُخبرنا وثيقة آشورية، على سبيل المثال، أن آشور واجهت في السنة 853 تكتل ممالك آرامية منها أحاب إسرائيل ومعه ألف مركبة وعشرة آلاف جندي. ولم تصل مملكتا إسرائيل ويهوذا إلى ذروة قوتها إلا في حوالي السنة 750. أرادت آشور أن توسّع إمبراطوريتها نحو البحر المتوسط. وأول عقبة اعترضتها هي دمشق، وذلك لحسن حظ إسرائيل ويهوذا. فدمشق كانت مهمّة على هذه الجبهة الثانية فكّقت عن مهاجمتها. ومن جهة أخرى، فما دامت تقاوم، فهي بمثابة ترس ضد آشور! ولكن لا يخفى على أحد أن هذه الحال لا تدوم. ومع ذلك فقد كانت المملكتان تحت حكم ملوك يُصرأ ملك كلّ منهم أربعين سنة، فاستفادت من وضعهما السياسي وعاشت

سنوات ازدهار. وفي ذلك الزمن وعظ النبيان عاموس وهوشع في إسرائيل.

وفي السنة 732 استولت آشور على دمشق وفي السنة 721 على السامرة وجلى قسم من السكان إلى آشور حيث اندمجوا وفقد أترهم، فكانت خاتمة مملكة الشمال.

- السامريون بعد 721. لم يُجلَّ جميع السكان بل بقى بعضهم في السامرة. وأتى الأشوريون إلى السامرة بنازحين جُلوا من أقاليم أخرى من الامبراطورية فوصلوا مع تقاليدهم وآلهتهم. ونشأ عن ذلك سُكَّان جدد مختلطو الدم يعبدون إله إسرائيل كما يعبدون آلهة أخرى (راجع الرواية الممتعة في 2مل 17 / 24- 41). سنشير إلى الخلافات التي قامت بين هؤلاء السامريين واليهود العاندين من الجلاء في بابل (الصفحتان 74 و 75). ومن هنا نرى لماذا كان اليهود والسامريون، في أيام المسيح، يقاتعون بعضهم بعضاً.

النشاط الأدبي

منذ القرن التاسع، أخذوا يحررون " تقاليد إيليا " (1مل 17- 19 و 21 و 2مل 1- 2). وفي حوالي السنة 750 قصص إيشاع (2مل 3- 9) أو صفحات رائعة من التاريخ كرواية ثورة ياهو (2مل 9 - 10).

ودُوِّنت أقوال عاموس وهوشع النبوية.

وفي حوالي السنة 750 وُضِع تاريخ مملكة الشمال المقدس الذي نسميه " التقليد الإيلوي ".

وأخيراً، فقد أخذوا في تأليف مجموعات قوانين لتكليف الشرع القديم على الوضع الاجتماعي الجديد. وقد أُنشِر الأنبياء، ولا سيما هوشع، في هذه المجموعات التي ستكون يوماً نواة سفر تثنية الاشتراع.

(46)

أنبياء مملكة الشمال

كفيل الإيمان في هذه المملكة هو النبي لا الملك. سنبدأ بالاستماع إلى ثلاثة أنبياء كبار.

إيليا

على غرار ناتان فى أورشلیم، لم یتترك إلییا کتابات، مع أنه هو وموسى أكبر شخصیات الإیمان اليهودی، ولا یخفى علينا أن العهد الجدید، ولا سیمًا لوقا، یُشير إلى يسوع على أنه إلییا الجدید.

اسمه برنامج، فإن كلمة " إلییا " مختصر للعبارة "إلیی یهوہ"، أى "الهی هو یهوہ". ظهر فى القرن الرابع، على عهد أحاب الذى تزوج من إیزابل، ابنة ملك صور. وهذه المصاهرة ساهمت فى ازدهار إسرانیل. لكن إیزابل أتت بديانتها والبعل وأنبيائها. وكان الشعب یعبد الله ویُكرم بعل. أما إلییا فقد اختار.

إقرأ الصفحات القليلة التى یظهر فیها: 1مل 17 - 19 والفصل 21 و2مل 1- 2. حاول أن تستخلص أهم ملامحه. إليك بعضًا منها:

- **الإنسان أمام الله.** كثيرًا ما ترد عبارة " إلهى الذى اعمل له أو الذى أقف أمامه ". لقد اختار إلییا اختيارًا لا یقبل التجزئة وهو یرید أن یقتدى الشعب به.
- **تغلب عليه الروح.** طالع جواب عوبديا الممتع فى 1مل 12/18. هذا مصدر عزم إلییا وحریته الباطنية.
- **إيمانه الذى لا یقبل التجزئة.** عند تقرب الذبيحة فى جبل الكرمل (1مل 18)، أراد إلییا أن یحمل الشعب على الاختيار بين الإله الحى الذى یتدخل فى التاريخ، وقوات الطبيعة المؤهبة، أى البعل (أنظر إلى النص المحاط بإطار فى الصفحة التالية). كان إلییا یؤمن، كما نفعل نحن. فهو یبشر بنزول المطر، لأن الله طلب منه ذلك، ولم یر شيئًا منه (1مل 41/18 ت).
- **ألفته الله.** لا تزال رؤياه لله (1مل 19)، مع رؤیا موسى (خر 18/33 ت). مثال الحياة الصوفية: لقد رأى إلییا أكثر ما یمكن للإنسان أن یراه. ومع ذلك فهو إنسان مثلنا، فترت همته واستولى عليه الخوف (1/19 ت). يجب ترجمة الآية (12/19) على الوجه التالى: " كان صوت سکوت ". ليس الله فى قوت الطبيعة المؤهبة. إنه الإله الخفى الذى نشعر بحضوره فى السکوت والفراغ، إنه إله محتجب. فى صلاته - كما فى صلاة موسى - لا یفیض إلییا تدفقات صوفية، بل یحدث الله عن رسالته.
- **نصير الفقراء.** دافع عن الفقير أمام الملك والمقتدرين (1مل 21).
- **شموليته.** لأنه یؤمن بالله إيمانًا لا یقبل التجزئة ولأنه ینقاد بالروح، فهو یخالط الوثنيين بحرية باطنية شديدة (1مل 17). ولكنه طلب من تلك الوثنية إيمانًا غير مشروط (13/17).
- **قصص إلییا (2مل 1).** إن هذه الرواية الشعبية، على صورة الروایات التى نعرفنا إلى الإشاع، ستساهم مع الأسف فى تصوير إلییا كقاضى یرتنزل نار السماء على الخاطئين.

- **صعود إيليا (2مل 2)**. لا شك أنهم كانوا يجهلون أين هو قبر إيليا، فانتبهوا إلى الاعتقاد بأنه رُفِعَ إلى عند الله. وسيستوحى لوقا بهذا النص ليكتب رواية صعود يسوع (رسل 6/1 - 11). ومن المعلوم أن إيشاع، لأنه رأى إيليا أثناء صعوده، نال روحه لمواصلة رسالته، كما أن التلاميذ سينالون روح يسوع لأنهم رأوه يرتفع.

يسوع إيليا الجديد في إنجيل لوقا

اقرأ النصوص التي يستند فيها لوقا صراحة إلى قصة إيليا: 26/4 (خطاب في مجمع الناصرة) و 12/7 - 15 (قيامة فتى في نائين) و 42/9 (شفاء طفل) و 51/9 و 54 و 57 و 61 و 62 (يسوع يصعد إلى أورشليم) و 43/22 و 45 (النزاع في بستان الزيتون: ملاك يُشدّد يسوع). يجدر بالذكر أن لوقا أهمل كلام يسوع مطابقاً بين يوحنا المعمدان وإيليا (متى 14/11 و 11/17 - 13).

يُمكنك، في هذا الضوء، أن ترى كيف أن الملامح التي لاحظناها عند إيليا تُمكننا أن نكتشف صورة يسوع بحسب لوقا: صلته بالآب المعبر عنها مراراً عديدة في الصلاة، وحرّيته الباطنية بفضل الروح، وشموليته وحنانه على الفقراء والخاطئين والمحتقرين والنساء، وصرامته التي تحمله على مطالبة تلاميذه بإيمان غير مشروط. ويسوع هو أيضاً، شأن إيليا، رجل الهدف الواحد: إنه " يصعد " إلى " رُفِعَ " (51/9) وهو في آن واحد ارتفاعه على الصليب وارتفاعه في مجد الآب.

(47)

عاموس. إتمام البرّ

كان عاموس راعياً من التّقون، بالقرب من بيت لحم. أرسله الله إلى الشمال، في أيام عز السامرة، على عهد ياربعم الثاني. كان واعظاً شعبياً شديد اللهجة وقد لفت نظره ترف البيوت ولا سيما لا عدالة الأغنياء. راجع على سبيل المثال 13/1 - 3/4 (الترف) و 6/2 - 16 و 84/8 (اللا عدالة الاجتماعية).

وكان عاموس نبياً، وهو يُخبرنا مرّتين عن دعوته: يرويهما في 10/7 - 17، ويحاول أن يُعطيها معنى في 3/3 - 8. النبيّ هو الذي يدخل في مسعى الله فيرى بعد ذلك كلّ شيء في هذا الضوء ويحاول أن يفهم هذا المسعى في الحياة والأحداث.

لذلك فتعلميه الاجتماعى مبنى على " العهد". وليس العهد ضمناً
يُمْكِنُنا أَنْ نَعِيشَ كَيْفَمَا كَانَ، بَلْ هُوَ مَسْئُولِيَّةٌ. يَقُولُ اللهُ: "إِيَّاكُمْ وَخُدَّكُمْ
عَرَفْتُمْ... فَلِذَلِكَ سَأَفْتَقِدُ عَلَيْكُمْ جَمِيعَ أَثَامِكُمْ" (2-1/3).

إذا عاقب الله فلكى يحمل على التوبة. يتنبأ عاموس بأنه ستبقى "
بقيّة" وبأن بعض الناس سينجون (12/3)، وهذا ما يساعد على
حفظ الرجاء (12-11/8 و 11-11/19 - 15).

إن إله عاموس ليس هو إلهاً قومياً فقط، فهو يسهر على الأخلاق
حتى عند سائر الأمم (3/1 - 3/2). وهو قادر على ذلك لأنه " خالق":
يستشهد عاموس بقصيدة (لعلها مستوحاة من نشيد كنعانى) : 13/4
+ 8/5 - 9 + 5/9 - 6.

هوشع. الحبّ بحنان

كان هوشع من مملكة الشمال، وقد وعظ في أيام عاموس. اكتشف
حنان الله من خلال حدث شخصي. كان هوشع يحبّ امرأته، وكانت هي
تسير سيرة سيئة. وقد توصل، بفضل حبه لها، أن يُعيد إليها قلب
شبابها. هكذا يحبنا الله، لأننا صالحون، بل لنصير صالحين (هو 3/1).
إن الله يحبنا حب الرجل لإمرأته. وسيعالج هذا الموضوع مراراً كثيرة
في الكتاب المقدس فيُضفي على الإيمان معنىً جديداً. وتظهر شريعة
سنياء بمظهر عقْد حبّ وتحالف بين زوجين، فتظهر الخطيئة بمظهر
زنى وبغاء وخطيئة إلى الحبّ.

يُثبت هوشع خطيئة شعبه، فليس هناك من أمانة، ولا من حنان أخ
لأخيه، ولا من اطلاع على محبة الله. سندرس نصاً درساً دقيقاً ولكننا
نقرأ مُجمل الفصل ونتوقف على الفقرات التي تُبرز لنا محبة الله (1-
3 حبّ الزوج، 11 حبّ الأب) أو تُطالب بجواب حبّ من قبل الشعب (1-
1/4 و 3 و 4/6 - 6 وهي جملة يوردها متى مرتين، و 12/10 و 3/12 - 7).
ويمكننا أيضاً، بالعكس، أن نرى ما هي الخطيئة (4/4 - 10 و 1-1/5 و 7
- 1/7).

وإن كان لنا رغبة في معرفة ما كان يكون حياة الشعب، يمكننا أن
نلاحظ كل ما يُقال في المؤسسات، من شريعة وعبادة وأرض ونبى، مع
العلم بأن أهمية هذه الأمور تغطى على أهمية الملك والقضاة... وكان
المثال الأعلى في ذلك الزمان تلك العيشة التي كانوا يعيشونها في البرية
في أيام الخروج بقيادة موسى النبيّ.

إله التاريخ أمّ آلهة الطبيعة؟

يؤمن إسرائيل بآله تدخل في تاريخه: إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، "
الإله الذى أخرجنا من العبودية". هداه هذا الإله حين كان بدوياً في البرية

وأدخله إلى أرض كنعان.

وأما الآن فقد أصبح إسرائيل حَضْرِيًّا، وصارت له حقول ومدن. وما يهّمه هو: كيف الحصول على خصوبة الأرض والمواشي؟ إلى من يتوجّه لكي ينزل المطر في أوانه؟ وقد وجد، في أرض كنعان، ديانة معدّة لتلبية هذه الحاجات: البَعْل (العاصفة والمطر المُؤَلَّهَيْن) والالِهات عشتروت (الجنسيّة والخصوبة المُؤَلَّهَتَيْن). راجع ما ذكرناه في العقليّة الكنعانيّة (الصفحة 19).

إله تدخّل في التاريخ، هذا شيء حسن. ولكن لا بدّ من العيش...
فالأفضل أن يؤمن الإنسان لدى البعل.

لا نعتقد بأننا اليوم تخطينا هذه المشكلة: فالبعل لا يزال وقد تبدّلت أسماؤه فقط. والمسيحيّ قد يرى نفسه أمام الصراع نفسه: إنّه يؤمن بالله تدخّل في التاريخ عن يد ابنه يسوع، ولكن ما علاقة هذا الإيمان بالضروريات الاقتصادية؟ أليس من الآمن أن يؤمن المسيحيّ نفسه لدى " قوّة " الطبيعة (مصرفه والسلطة ...)؟

(48)

+ درس نصّ: هوشع 4/2 - 25

ابدأ بقراءة هذا النصّ، دون الاهتمام بالتعليق في الهامش. على من يدور الكلام؟ بأيّة صور؟ بماذا يوحى إليك هذا النصّ؟ دون ما يُعجبك، وما يُدهشك، وما يُثير أسئلتك...

4 حاكموا أمّكم، حاكموها

الله زوج

فما هي امرأتي، ولا أنا رجلها،

متّهم

لنُزّح زناها عن وجهها، وفسقها من بين تدييها

قاضي...

5 لنألفضح عريها

الآلهة بعلّ محبّون

وأردّها إلى أصلها كما كانت يوم ميلادها، وأجعلها كقفر

متهمون...

وأقطع عنها المطر كأرض قاحلة، وأميتها بالعطش.

الشعب زوجة

6 ولا أرحم بنبيها، فهم بنو زنى

أم

7 لأن أمهم زنت.

أرض

تلك التي حبلت بهم عملت أعمالاً مشينة. قالت:

" التهمة الأولى "

" أتبع عشاقى الذين يعطوننى

خبزى ومانى وصوفى وكتانى وزيتى وشرابى".

8 ذلك سأسيج طريقها بالشوك،

" العقاب "

وأحوطه بحائط فلا تجذ سبيلها.

9 فلتبع عشاقها ولا تلحق بهم،

وتطلبهم فلا تجذهم، فتقول:

" أذهب وأرجع إلى رجلى الأول

لأن حالى معه كانت خيراً مما هي عليه الآن".

10 هي لا تعرف أنى أنا أعطيها القمح والخمر والزيت،

" التهمة الثانية "

وأكثرت لها الفضة والذهب فصنعت منهما تمثالاً ليعل.

11 فلذلك أستعيد منها

" العقاب "

قمحى فى وقته وخمرى فى موعده،

وأنزع عنها صوفى وكتانى اللذين تكسو بهما عورتها.

12 فأكشف جسدها كله أمام عيون عشاقها،

" التهمة الثالثة "

وما من أحد يقذها من يدي،

13 وأبطل كل سرورها وأعيادها ورؤوس شهورها وسبوتها

وكل احتفالاتها،

14 وأدمر كرمها وتينها مما قالت:

هو أجرى التى نلتها من عشاقى،

وأصيرهما وعراً فيأكلهما وحش البرية.

15 وأعاقبها على الأيام التى كانت تُبخر فيها للبعل

وتتزيين بأساورها وحليها وتتبع عشاقها وتتسانى. هكذا قال الرب.

16 لذلك ساقبها

" العقاب "

وأجيء بها إلى البرية وأخاطب قلبها.

(49)

17 وهنالك أعيد إليها كرومها، من وادي عكور إلى مدخل تقوة،
فتخضع لي هنالك كما في صيها
وفي يوم صعودها من أرض مصر.
الخروج

18 في ذلك اليوم أقول أنا الرب،
تدعوني زوجي، ولا تدعوني بعلي من بعد،
تك 23/2

19 لأنني سأزيل اسم البعل من قمها،
فلا تذكره من بعد باسمه.

20 وأقطع لها عهدًا في ذلك اليوم
سلام الفردوس
مع وحش البرية وطيور السماء وزحافات الأرض،
تك 18/2 - 23
وأكسر القوس والسيف وأدوات الحرب من الأرض
وأجعلها تنام في أمان.

21 وأتزوجك إلى الأبد. أتزوجك بالصدق والعدل
والرأفة والرحمة،

22 أتزوجك بكل أمانة، فتعرفين أنني أنا الرب.

23 وفي ذلك اليوم أستجيب، يقول الرب،
للسماوات، والسماوات تستجيب للأرض،

24 والأرض تستجيب للقمح والخمر والزيت،
وهذه كلها تستجيب لي زرعيل.

25 وأزرع شعبي في الأرض وأرحم " لا رحمة "
راجع هوشع 8/1
وأقول له " لا شعبي ": " أنت شعبي "
وهو نفي
وهو يقول لي: " أنت إلهي ".
خر 14/3

من هم الممثلون؟ ما هي الصور التي تمثلهم؟.
ماذا يعملون؟ عما يبحثون؟.
انتبه إلى العبارات المتكررة وإلى الأسماء التي تراها هامة وإلى دور الضمانر المتصلة (مثلاً القمح ، قمحى ...).

في هذه " الدعوى للطلاق " التي تظهر بمظهر الانذار، انتبه إلى تهم الله الثلاث (ما هي)؟ والعقوبات التي يُشير إليها (ما هي العقوبة الثالثة)؟.

انتبه إلى النقائض: " مرحومة / غير مرحومة " و " أعطى / أخذ " و " البريئة فى الآية 5 / البريئة فى الآية 16 " (هل المعنى واحد؟ لماذا؟).

ضع هذا النص فى إطار تفكير ذلك العصر (أنظر إلى النص المحاط بإطار فى الصفحة 47): البرهان هو أن تعرف من الذى يعطى الخصوبة: هل هي القوات المؤهّلة (البلعيم) أم هو إله التاريخ؟ كيف يستند هوشع إلى التاريخ (انظر إلى المراجع الموضوعية فى الهامش)؟.

ما هو وجه الله الذى يبرز هنا؟ هل هو جزء من الطبيعة؟ إنه الوجه الذى يعطى معنى لكل شئ، لكن للطبيعة قوانين تنتمى إلى العلم.

ماذا ينتظر من الإنسان؟ انتبه إلى الكلمات التي تعرض جواب الإنسان.

مفردات الحبّ

الرأفة. (" حسد " فى العبرية) هي إحدى الكلمات الأساسية عند هوشع، وتدلّ على الرابط العاطفى القائم بين شريكين.

المراحم. (" رَحْمين " فى العبرية) هي كلمة مخصوصة بحبّة الله لنا وهي صيغة الجمع (أى أفعال التفضيل فى العبرية) لكلمة " حشا ". فالحبّ هنا هو حبّ أمومى يأخذ بالأحشاء.

الأمانة. أصل هذه الكلمة فى العبرية يدلّ على الثبات والاستمرار فى التحالف بين كائنين، فهما يستطيعان أن يثق كلّ منهما الآخر.

المعرفة. تكون المعرفة بكلّ كيان الإنسان، بعقله وقلبه وجسده (فالكلمة تُعبّر أيضاً عن العلاقات الجنسية بين الزوج والزوجة).

الحنوّ (الحنان). نرى ذلك عندما تحنو أم على طفلها (يوحنا = الله يَحْنو).

هذه هي الأسماء التي يطبعها الله على "بطاقته": "إله المراحم والحنو، غنى بالرافة والأمانة" (خر 6/34).

(50)

تاريخ مملكة الشمال المقدس

التقليد الإيلوهي

انفصلت أسباط الشمال عن أورشليم وملكها وهو خليفة داود. ولكن ماضيها واحد وتقاليدنا واحدة. ودوتت هذه التقاليد في وقت مبكر في مملكة يهوذا، فنشأ عنها "تاريخ مملكة يهوذا المقدس" (أو التقليد اليهوي). وبعد ذلك بقرنين، في نحو السنة 750، جمعت هذه التقاليد نفسها في مملكة إسرائيل فنشأ عنها "تاريخ مملكة الشمال المقدس". يسمونه التقليد "الإيلوهي"، لأن الله يُطلق عليه فيه اسم "إيلوهيم"، ويُدلّ عليه بالحرف آ.

فالتاريخ في الجنوب وفي الشمال هو هو، ولكنّه يختلف باختلاف الأوضاع الراهنة في كلتي المملكتين. في إسرائيل - كما رأينا الأمر في درسنا للأنبياء - ميل إلى الارتداد عن الإله الحقيقي لعبادة البعل، أو، على الأقل، إلى التأمين على النفس من الجانبين. ولا يمكن الاعتماد على الملك، إذ ليس هو من سلالة داود، للمحافظة على الإيمان الصحيح. فأصبح من شأن الأنبياء أن يُذكروا بقوة أن ليس هناك إلا عهد واحد ممكن، وهو العهد الذي قطعه الله مع شعبه، والكتبة الذين ألفوا هذا التاريخ مُشبعون بتفكير الأنبياء والحكماء. فتذكير الشعب بتقاليدنا هو طريقة عندهم للعودة بع إلى العهد.

وربما لهذه الأسباب لا يُفتح هذا التاريخ بروايات مبادئ العالم، كما الأمر هو في تاريخ مملكة الجنوب، بل بقطع العهد مع إبراهيم.

وأما الشعور الديني الذي من شأنه أن يحفظ الشعب في أمانة لهذا العهد، فهو تقوى الله، وهي غير الخوف، بل الاحترام المبني على الثقة.

سنبدأ بقراءة دقيقة لنصين يُعبّر فيهما الإيلوهي عن أهم معتقداته: قطع العهد في جبل سيناء (تجد هذا النص في الصفحة التالية) ورواية ذبيحة إبراهيم لإسحق التي تجدها في كتابك المقدس.

ونستطيع عندئذ أن نتصفح بسرعة تاريخ مملكة الشمال هذا، مركزين على هذين العنصرين المرتبطين الواحد بالآخر: العهد - تقوى الله.

بعض ملامح الإيلوهى

تزداد هذه الملامح وضوحاً بالمقارنة بين اليهوى والإيلوهى (أنظر إلى الصفحة 36).

فنه أقل حيوية وواقعية.

يختلف الله كل الاختلاف عن الإنسان. يتجنب الإيلوهى وجوه التشبيه أى الكلام على الله على نحو الكلام على الإنسان. وهذا الإله الذى لا يُدرك يتجلى بواسطة الأحلام. وحين يتكلم بنفسه، يكون ذلك أثناء تجليات أو ترائيات ساطعة. لا يمكن تصوير الإله.

الإيلوهى كثير الاهتمام بالمسائل الأخلاقية، وشعوره بالخطيئة فى تقدم. فهو يشرح على سبيل المثل، أن إبراهيم لم يكذب (قارن بين تث 10/12 ت اليهوى - وتك 20 الإيلوهى). والشريعة التى أعطها موسى أقل اهتماماً بطريقة تأدية العبادة منها بالأخلاق والواجبات نحو الله والقريب.

العبادة الصحيحة هى الطاعة لله واحترام العهد، بالإعراض عن كل تعاهد مع الآلهة الكاذبة.

ورجال الله الحقيقيون ليسوا الملك أو الكهنة، بل الأنبياء: إبراهيم وموسى (وهو الأعظم)، ثم إيليا وأليشاع...

يتأصل تفكير الإيلوهى فى تيار الأنبياء وتفكير الحكماء.

من وجوه استعمال هذا الدليل

نتبع تسلسل أهمّ ساعات تاريخ الشعب ونحاول أن نحدّد وضع مجمل النصوص المؤلفة فى كل من العصور. من شأن هذه الخلفية التى لا غنى عنها أن تُمكنك من الاختيار بين عدّة مداخل ممكنة.

تستطيع أن تتبع السير المقترح. تستطيع أيضاً أن تتقفى أثر بعض الشخصيات الكبرى: إبراهيم، موسى... فى كل فصل، نجتهد أن نُشير إلى أهمّ النصوص.

إليك الآيات المنسوبة إلى الإيلوهي:

2/19 هُنَاكَ حَيْمَ إِسْرَائِيلَ تُجَاهَ الْجَبَلِ.

9 : وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: " هَا أَنَا آتٍ إِلَيْكَ فِي كَثَافَةِ الْعَمَامِ "

12 : وَضَعَ حَدًّا لِلشَّعْبِ مِنْ حِوَالِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: " إِحْذَرُوا أَنْ تَصْعَدُوا الْجَبَلَ أَوْ تَمْسُوا طَرَفَهُ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ مَسَّ الْجَبَلَ يُقْتَلُ قِتْلًا.

13 : لَا تَمْسُهُ يَدٌ، وَإِلَّا يُرْجَمَ رَجْمًا أَوْ يُرْمَى رَمِيًّا بِالسَّهَامِ، بِهِيْمَةٌ كَانَتْ أَوْ إِنْسَانًا،

16 : فَارْتَعَدَ الشَّعْبُ كُلَّهُ الَّذِي فِي المُحْيِمِ.

17 : فَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ المُحْيِمِ لِمَلَايَكَةِ اللَّهِ، فَوَقَفُوا أَسْفَلَ الْجَبَلِ.

19 : وَكَانَ وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللَّهُ يُجِيبُهُ فِي الرَّعْدِ.

17 - 1/20 : الْكَلِمَاتُ الْعَشْرُ الْإِلَوهِيَّةُ.

18/20 : وَكَانَ الشَّعْبُ كُلُّهُ يَرَى الرَّعْدَ وَالْبُرُوقَ وَصَوْتَ البُوقِ وَالْجَبَلَ يَدْخَنُ. فَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ ذَلِكَ أَرْتَاعَ وَوَقَفَ عَلَى بُعْدٍ،

19 : وَقَالَ لِمُوسَى: " كَلَّمْنَا أَنْتَ فَتَسْمَعُ وَلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ لِنَلَأَ نَمُوتَ "

20 : فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: " لَا تَخَافُوا، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا جَاءَ لِيَمْتَحِنَكُمْ وَلِتَكُونَ خَافَتُهُ أَمَامَ وُجُوهِكُمْ، لِنَلَأَ تَخْطُوا "

21 : فَوَقَفَ الشَّعْبُ عَلَى بُعْدٍ وَتَقَدَّمَ مُوسَى إِلَى الْعَمَامِ الْمُظْلِمِ الَّذِي فِيهِ اللَّهُ.

22/20 - 33/23 : كِتَابُ الْعَهْدِ الْإِلَوهِيِّ.

3/24 : فَجَاءَ مُوسَى وَقَصَّ عَلَى الشَّعْبِ جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ وَجَمِيعَ الْأَحْكَامِ. فَأَجَابَهُ الشَّعْبُ كُلُّهُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ وَقَالَ: " كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَعْمَلُ بِهِ "

4 : فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ كَلَامِ الرَّبِّ، وَبَكَرَ فِي الصَّبَاحِ وَبَنَى مَذْبَحًا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَأَثْنِي عَشَرَ نُصْبًا لِأَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ الْإِثْنِي عَشَرَ.

5 : وَأَرْسَلَ شُبَّانَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلَامِيَّةً مِنَ الْعُجُولِ لِلرَّبِّ.

6 : فَأَخَذَ مُوسَى نِصْفَ الدَّمِ وَجَعَلَهُ فِي طُسُوتٍ وَرَشَّ النِّصْفَ الْآخَرَ عَلَى المَذْبَحِ.

7 : وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ فَتَلَا عَلَى مَسَامِعِ الشَّعْبِ فَقَالَ: " كُلُّ مَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ بِهِ تَفَعَّلَهُ وَتَسْمَعُهُ "

8 : فَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّهَ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: " هُوَذَا نَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ "

إِقْرَأْ بِإِتْبَاهِ هَذَا النِّصِّ.

ابحث عن الملامح التي يمتاز بها الإيلوهي (راجع النصّ المحاط بإطار في الصفحة السابقة).

ما هو الدور المنسوب إلى موسى؟ انتبه إلى مختلف وجوهه: النبي والوسيط والكاهن...

الخوف: ما هو الشعور المقصود هنا؟ ما هي غايته؟ الامتحان هو في نظر الله طريقة لاختبار أمانة الشعب.

العهد: انتبه إلى الرتبة. المقصود هنا هو عقد ثنائي: الله يُعطي شريعته، والشعب يلتزم بطاعته (فعل " سمع " في العبرية يدلّ على الطاعة أيضاً: راجع تث 4/6). يُراق الدم على المتعاقدين: على المذبح الذي يرمز إلى الله، وعلى الشعب. وهذه الرتبة تُشير إلى وجهين: إنها تعني أنه أن فسخ أحدهما العهد، يُراق دمه. وهي تعني بنوع خاصّ أنّهما أصبحا " من دم واحد".

+ ذبيحة إبراهيم - إسحق (تك 1-1/22 - 13 و 19).

اقرأ هذه الرواية في كتابك المقدس، مهملاً الآيات 14 - 18 وهي يهودية.

لا شك أنّ في الأساس رواية قيمة تبين أنّ الله لا يريد ذبائح أولاد (كما كانت تُمارس أحياناً في ذلك الزمان).

تناول الإيلوهي هذه الرواية القديمة فرسم إبراهيماً مثيراً للإعجاب.

ابحث عن الملامح التي يمتاز بها الإيلوهي. وانتبه إلى الملامح التي تجدها في هذا النصّ وفي نصّ قطع العهد.

ضع نفسك محلّ الإسرائيلي الذي يسمع هذه الرواية: كيف يظهر له إبراهيم كالمثال لما يجب عليه أن يكون ويعمل؟ كيف هو مثالنا؟.

الذبائح البشرية

البواكير مرغوب فيها، فالذي نحصل عليه أولاً يبدو لنا الأفضل. ما زالوا منذ القدم يقرّبون للآلهة بواكير الغلال.

وأحياناً ما كانوا، على الأقلّ عند الساميين المقيمين في كنعان، يقرّبون البكر، مثلاً في حالات مأساوية (اجتياح ...). كانت هذه الحالات نادرة، وكان الساميون القادمون من المشرق (ما بين النهرين)، أمثال

إبراهيم، يجهلون هذه الرتبة.

رفض إسرائيل هذا النوع من الذبيحة، فكانوا يفتدون البكر، أي أنهم كانوا يُقربون حيواناً مكانه (تك 2/22 و خر 11/13 وأح 21/18 وتك 1/22 وخر 11/13 وأح 21/18).

(52)

نظرة خاطفة إلى تاريخ مملكة الشمال المقدس

يصعب علينا أن نقرأ هذا التاريخ المقدس قراءة متواصلة. عند العودة من الجلاء إلى بابل، حين دمجوا هذين التقاليد المتوازيين، تاريخ الجنوب المقدس وتاريخ الشمال المقدس، ضحوا إجمالاً بتاريخ الشمال، فلم يبق منه إلا أجزاء متفرقة. سنتوقف على أثبت النصوص.

حلقة إبراهيم

لا شك أن هذه القصة كانت تبتدى، لا بروايات خلق العالم كما الأمر هو في اليهودى، بل بإبراهيم. والنص الأول هو عهد الله مع إبراهيم (تك 15). وبما أنه مُتلتظ جداً بالرواية اليهودية، فسنقرأ في وقت لاحق (الصفحة 60).

إبراهيم وأبمالك (تك 20). نجد هنا أهم ملامح الإيلوهى : إهتمامه بالأخلاق، فإن إبراهيم لم يقف موقفاً مُشرقاً ولكنه لم يكذب! بل هو وحده، بصفته نبياً (الآية 7)، يستطيع أن يشفع للملك (الآية 17). ويكشف أن مخافة الله (الآية 11) قد تُوجد أيضاً عند الوثنى، مع العلم بأن الملك لم يُخطأ، فإن الله ظهر له في الحلم ومنعه عن ذلك (الآية 4).

هاجر وإسماعيل (تك 9/21 - 21). يتدخل الله من أجل المظلوم.

إبراهيم وإسحق (تك 1/22 - 14). سبق أن قرأنا هذا النص الهام. لربط إسحق على المذبح فوق الحطب أهمية كبرى: أنظر إلى النص المحاط بإطار في ترجوم تك 10/22.

حلقة يعقوب

حلم يعقوب (تك 10/28 ت). ينتمى جزئياً إلى الإيلوهى، بذكر الحلم (الأيتان 11-12) والخوف أمام الله السامى (الأيتان 17 - 18) وحماية الله للضعيف (الآيات 20 - 22).

تنقّلات يعقوب (تك 29-35). فى هذه الفصول، نرى يعقوب يمرّ بأهمّ معابد مملكة الشمال، وبذلك تتأصّل نشأة هذه المعابد فى قصة الأباء.

حلقة يوسف

من الصعب هنا أيضاً أن نميّز بين الرواية الإيلوهية والرواية اليهوية. كان يوسف أباً لسبطى الشمال (أفرائيم ومنسى) وكان قبره فى شكيم (يش 32/24). وفى ذلك سبب اهتمامهم بهذا الأب.

يمكننا أن نجد فى هذه القصة بعض ملامح الإيلوهي، مثلاً: الامتحان (تك 16/42) ومخافة الله (18 /42) وحماية الله للضعيف (5/45 و 20/50). لا يزال الله يسعى فى خلاص البشر، حتّى من خلال العذاب والخطيئة.

ترجوم لـ (تك 10/22)

فى مطلع عصرنا المسيحى، كان اليهود فى المجمع يقرأون الكتب المقدسة فى العبرية وهى اللغة المقدسة. ولكن الشعب الذى كان يتكلم الأرامية لم يعد يفهم العبرية. ومن ثمّ الحاجة إلى الترجمة، ولكن، بدلاً من أن يقوموا بترجمة حرفية، كانوا يترجمون بتصرف، وهذا ما يسمونه " ترجوم " (أنظر الصفحة 81). فى هذه الترجمات فائدة كبرى، لأنها ترينا كيف كانوا يفهمون الكتب المقدسة فى أيام المسيح. فكانوا تارة يُجرون فيها بعض التغييرات البسيطة، وتارة يُضيفون إليها بعض الشروح. هذا ما جرى لرواية تقريب إبراهيم ابنه ذبيحة. فبعد الآية 10 يُضيف الترجوم:

" تكلم إسحق وقال لإبراهيم: أربطنى جيداً، يا أبت، لنلا أرفسك فتمسى تقدمتك باطلة... كانت عينا إبراهيم تحدّقان فى عينيّ إسحق وكانت عينا إسحق تتجه نحو ملائكة العلى. كان إسحق يراهم، وأمّا إبراهيم فلم يكن يراهم. وفى ذلك الوقت نزل من السموات صوت يقول: " تعالوا فانظروا شخصين فريدين فى عالمى. الواحد يذبح والآخر يذبح: الذابح لا يتردد والمذبوح يبسط عنقه".

فالربّط الذى يلتمسه إسحق يُعبّر عن تقدمته الباطنية: فهو لا يريد أن يُقاوم مخافة أن يُجرّح فلا يعود صالحاً ليكون ضحية تُقدّم.

يطلب اليهود إلى الله، فى ساعات الشدة، أن يذكر هذا " الربط " وأن يغفر لهم خطاياهم، بسبب هذا الربط، ويُخلصهم.

لموسى فى تأسيس الشعب دورٌ أهمّ هنا من دوره فى التاريخ اليهودى (أنظر إلى الصفحة 38). فله قدرة على إجراء المعجزات، وهو يمثّل دور الوسيط بين الله والشعب وهذا دور نبى، وصلاته فعّالة، لا بل يظهر بمظهر الكاهن.

القابلات ومولد موسى (خر 15/1 - 10/2). إن القابلات يتقنين الله ويفضّلن الخضوع له ولا الخضوع لفرعون. والله يخلص الضعيف، أى موسى الطفل. لا شك أن الكاتب قد استوحى من قصة معروفة فى مصر عن مولد سرجون الأكدي الذى عاش فى بلاد ما بين النهرين قبل يسوع المسيح بأكثر من 2300 سنة.

مولد سرجون الأكدي

" سرجون، الملك القوى، ملك أكد، هو أنا. كانت إمى فقيرة، وأما أبى فلم أعرفه.. حبلى بى إمى المسكينة وولدتنى فى الخفية، ووضعتنى فى سلة قصب وأغلقت بابى بالزفت. وتركتنى فى النهر فلم يغمرنى. وذهب بى النهر إلى أكى حامل الماء. فنظر إلى أكى بعطف وأخرجنى. واتخذنى أكى ولدًا وربّانى. ووضعنى أكى لفلاحة البساتين. وفى أثناء الفلاحة، أحببتى الإلهة عشتروت. ومدة 55 سنة ملكت "

العليقة المتقدة (خر 3 - 4). ظهر الله ظهورًا ساطعًا وكشف اسمه لموسى فى جملة تصعب ترجمتها. فالبعض ترجمها بـ " أنا من أكون "، أى " بمشاهدتكم ما سأكون وما سأفعل معكم، وفى تاريخكم، تكتشفون من أنا ". فلا يُعرف هذا الإله إلا من خلال الذين يخدمونه: إنه إله إبراهيم وموسى وفلان وفلانة. فالغاية من التحرر من عبودية مصر هى فى الواقع أن يضع الشعب نفسه فى خدمة الله (23/4: جملة كثيرًا ما تتكرّر). فى هذا التقليد " بكر الله " هو إسرائيل، لا الملك كما الأمر هو فى التاريخ اليهودى.

موسى وبيرو (خر 18). إن حما موسى ساعده على تنظيم الشعب ونظر إليه نظره إلى " ممثل الشعب تجاه الله " (الآية 19). وستكون مخافة الله أحد المقاييس فى اختيار مساعديه.

فى جبل حوريب، سبق أن قرأنا خر 19 - 20 وسنقرأ فى وقت لاحق كتابى العهد (خر 20 - 23، راجع الصفحة 60). فى مملكة الشمال، يُسمى جبل الله حوريب، لا سيناء.

عجل الذهب والرؤية من القفا (خر 32 - 34). فى هذه الفصول أيضاً يخطأ التقليد اليهوى والتقليد الإيلوهى. نرى أن خطيئة الشعب وهارون ليست خطيئة عبادة الأوثان، كما لو أنهم عبدوا وثناً. فالعجل هو، على الأرجح، قاعدة الإله الحقيقي (5/32). فقد أراد الشعب أن يحمل الله على الحضور فقدموا له عرشاً، ليكون فى متناولهم (راجع النظرتين فى الله، فى الصفحة 35).

يظهر موسى بمظهر الشفيع (30/33 ت).

عهد إليه بقيادة الشعب إلى ملاقاته إلهه: إقرأ الرواية التى تحرك المشاعر فى خر 7/33 - 11. يُعدّ موسى، مع إيليا، أشدّ الناس ألفة لله. ومع ذلك فهو أيضاً لا يستطيع أن يراه إلا " من القفا " (خر 18/33 - 23).

موهبة الروح لشيوخ إسرائيل (عدد 16/11 - 17 و 24 - 30). سبق أن رأينا فى مملكة الشمال أن النبى هو الذى يحافظ على الإيمان الصحيح، وأن موسى هو أول الأنبياء وأعظمهم. ولكن المثال الأعلى فى نظر الكاتب هو أن يكون الشعب كله نبياً وينقاد للروح الذى يُنعش موسى.

لتسهيل عملك...

تذكّر ما سبق أن قلناه: حين تقرأ دليلاً خطياً أو غيره. تكون نظرة إجمالية عمّا يجب مشاهدته، ولكنك تعرف أنك لا تستطيع أن ترى كل شئ... هذا شأنك هنا. فالمهم فكرة عن الوضع وعن التفكير فى مملكة الشمال، اختر النصوص التى تريد درسها. ولا تحزن أن لا يكن فى إمكانك أن تدرسها كلها!.

(54)

4 - الحقبة الأخيرة لمملكة يهوذا

(721 - 587 ق. م.)

فى مستهل مسيرتنا، توقفنا خاصّة على مملكة داود - سليمان الموحدة (الصفحتان 31 - 32). ثمّ اجتزنا إلى مملكة الشمال (الصفحتان 41 - 42). وهانحن نعود الآن إلى مملكة يهوذا أو الجنوب. إننا فى الحقبة الأخيرة من حياتها، التى تمتد من سقوط مملكة الشمال (721) إلى الاستيلاء على أورشليم (فى السنة 587).

مملكة يهوذا من 933 إلى 721

كانت مملكة يهوذا مملكة صغيرة محصورة بين مملكة إسرائيل والفلسطينيين (راجع الخريطة فى الصفحة 41). وكانت تمتد إلى التلال المحيطة بأورشليم وإلى برية النقب. وكان معاشها من الزراعة وتربية الدواجن ولا سيما الخروف، لا بل من التجارة أيضاً مع جزيرة العرب ومصر.

على الصعيد السياسى، كانت تتأثر برود فعل الوضع الدولى. طوال مدة من هذه الحقبة، كانت الدولتان الكبيرتان مصر وأشور فى حالة ضعف. فكان النشاط السياسى والعسكرى متركزاً على أرض كنعان. فهناك الصراعات والتحالفات والانتصارات والانكسارات بين ممالك يهوذا وإسرائيل ودمشق الصغيرة.

لكنه، ابتداء من السنة 745، تغير الوضع مع عودة آشور إلى المسرح السياسى. أرادت دمشق وإسرائيل الوقوف فى وجهها، فتكنا لتنا وحاولتا إرغام يهوذا على الانضمام إليهما. فكانت الحرب السورية الإفرائيمية، وفى أثنائها تنبأ أشعيا النبى (انظر إلى الصفحة 39). فقد فضّل آحاز، ملك يهوذا الصغير، أن يستغيث بملك آشور. فوصل آشور واستولى على دمشق فى 732، ثم سقطت السامرة فى 722 - 721.

انعكاسات سقوط السامرة مهمّة لمملكة يهوذا، على الصعيدين السياسى والنفساتى.

مملكة يهوذا بين 721 و 587

أصبحت كل الأرض الواقعة شمالاً أورشليم (مملكة الشمال السابقة) إقليمياً آشورياً. أما الملك آحاز، وهو المسنول عن خراب المملكة الموحدة بسبب استغاثته بأشور، فقد بقى أميناً لأشور حتى وفاته.

ملك ابنه حزقيا ثلاثين سنة، لا بل ما يقارب الأربعين، إذ أنّ أباه أشركه فى الحكم مدة 12 سنة. وبالرغم مما كان يُشير عليه أشعيا، فقد مارس سياسة تحالفات معقدة مع مصر ومع أحد ملوك بابل كان قد تمرّد حيناً على ملك آشور.

فى السنة 701، قام سنحاريب، ملك آشور الجديد، بحملة على مملكة يهوذا. فحصّن حزقيا عاصمته وحفر فى الصخر " قناة حزقيا"، وهى عبارة عن نفق ينقل مياه ينبوع جيهون إلى بركة سلوام فى داخل الأسوار. لكن سنحاريب أغلق عليه فى أورشليم " كعصفور فى القفص". وفى آخر الأمر فكّ الحصار (لعلّ ذلك جرى على إثر وقوع وباء دمر جيشه)، مكتفياً بجزية باهظة فرضت على حزقيا.

وملك منسى، وهو ملك عنيف كافر، 45 سنة، خاضعاً لملك أشور. وكان هذا الملك أسنفر. وقد ترك لنا هذا الملك الفنّان المُثَقَّف دار كتب مؤلفة من أكثر من 20000 لوحة من فخار حُفرت عليها حوليات المملكة وأهم أعمال الشرق الأوسط الأدبية. لكن الخريطة السياسية أخذت تتغيّر في أواخر ملكه، فقد ظهرت سلالة جديدة في بابل، وأصبح الميديون أقوىاء شرقاً في إيران الحالية، واستيقظت مصر غرباً.

في هذه الظروف مآك يوشيا في أورشليم ما يُقارب الثلاثين سنة. فبعُد ملكين كافرين هما منسى وأمون، رُحِب بهذا الملك التقى ترحيباً حاراً، ولا سيما يوشيا توصّل إلى إستعادة جزء من أراضي مملكة الشمال. فهل يُصبح يوشيا داوذاً جديداً؟ وفي أيامه، عُثر في الهيكل على سِقَر فيه شرائع صادرة عن مملكة الشمال السابقة. أكملت هذه المجموعة من الشرائع وأصبحت سفر تثنية الاشتراع. وهذا الاكتشاف جرى في الوقت المناسب، فقد كان الأساس للإصلاح العظيم الذي أقدم عليه يوشيا لغايات سياسية ودينية (2 مل 22-23).

(55)

وفي هذه الحقبة، قام جيل جديد من الأنبياء: صفنيا ونحوم وحبوق ولا سيما إرميا.

وفي السنة 612 حدث تطوّر فجائي، وهو الاستيلاء على نينوى، عاصمة أشور. فرحّب جميع شعوب الشرق الأوسط بتدمير العدو. ولكنهم لم يفهموا عندئذ أن في ذلك مجرد تغيير في هوية السيد. فالقائد البابلي الظافر يُسمّى نبوكد نصر، أول مهمّاته حملة على مصر.

أراد يوشيا الملك أن يسدّ الطريق على الفرعون نكو، فقتل في مجذو. كان لوفاة الملك القديس المأسوية وقع بعيد على قلوب المؤمنين: فلماذا يموت هذا الموت المؤسف ذلك الذي أكل على الله؟ ووافق هذا الموت نهاية الإصلاح الذي أقدم عليه يوشيا والذي لم يكن قد أدى إلى التّأصل في القلوب.

وفي السنة 605، انتصر نبوكدن نصر في كركميش فانفتح أمامه طريق فلسطين. فاستولى على أورشليم في السنة 597 وجلا الملك جزءاً من السكّان، بينهم حزقيال النّبى. كان نبوكد نصر قد أقام في أورشليم ملكاً مأجوراً له. وما إن انصرف نبوكد نصر حتى تحالف مع مصر. فغضب نبوكد نصر وعاد. وفي 9 تموز (يوليو) من السنة 587 (أو 586) استولى على المدينة ودمرها وأحرق الهيكل وتابوت العهد وجلا السكّان إلى بابل. وهذه نهاية مملكة يهوذا.

كان الاستيلاء على أورشليم صدمة نفسانية بالغة للمؤمنين، سنرى ذلك في مرحلتنا القادمة. أمّا الآن، فلا بدّ من العودة إلى الصدمة الأولى،

ألا وهى الاستيلاء على السامرة، فهى التى كانت إلى حدّ ما نقطة انطلاق التفكير الذى قاموا به فى يهوذا ابتداء من 721.

الصدمة التى عكسها سقوط مملكة إسرائيل فى 721

يعرف الألمان جيّدًا تلك الصدمة التى سبّبت تقسيم شعبهم إلى قسمين، ولقد عرف سُكّان مملكة يهوذا تلك الصدمة نفسها، حين رأوا أشور تُدمّر السامرة وتضمّ أرضها. وكانت تلك الصدمة قوّة بقدر ما كانت تضرب، لا على الوتر الوطنى، بل على الإيمان الدينى أيضًا أولاً. أجل، كانت المملكتان منفصلتين الواحدة عن الأخرى وكانتا متحاربان. لكن كان لهما إله واحد وتقاليد واحدة واعتقاد واحد بأنهما " شعب الله " الذى أعطاه الله أرضًا. فجاء ضمّ السامرة شكًّا فى هذين القطبين اللذين سيقوم عليهما الإيمان: الشعب والأرض. فهل كان على الشعب أن يقتصر على مملكة يهوذا وحدها؟ بفضل الأنبياء والحكماء، سيبقى الرجاء حيًّا بأن يُعيد الله يومًا توحيد الشعب. فالشعب الحقيقى هو يهوذا وإسرائيل.

فهذا الإطار السياسى والدينى هو الذى سبّب إلى حدّ بعيد ذلك النشاط الأدبى المُكثّف الذى عرفته مملكة يهوذا على عهد حزقيا ويوشيا.

النشاط الأدبى

لجأ لاويون من الشمال إلى أورشليم فأثروا بالأدب المؤلف فى مملكتهم: أى تاريخ مملكة الشمال المقدّس (التقليد الإيلووى) ومجموعات من الشرائع وأقوالاً من أنبيائهم.

فالشرائع تبدو متأثّرة كثيراً بروح الشمال. وسترقد هذه الشرائع فى دار كتب الهيكل قبل أن يتخذها يوشيا أساساً لإصلاحه. وتجاه هذه الشرائع، أقدم بعض الكتّابة على دمج التاريخين: التاريخ اليهودى (اليهوى) وتاريخ الشمال (الإيلووى). ويبدو هذا الدمج ملجأً مُشترَكًا بين أسباط الشمال والجنوب.

هذا وإن إصلاح يوشيا سيُسلط الأضواء على الشرائع الآتية من الشمال. وهذه الشرائع ستُكَمَّل وتُصبح " سفر تثنية الشرائع".

وفى ضوء التعليم الذى أكتُشِفَ فى تثنية الاشتراع، أخذوا يُنظّمون التقاليد فى يشوع والقضاة وصموئيل والملوك. وهذه الكتب، بعد أن كُتبت كتاباً جديدة، ستصبح توضيحاً بالصور لما يُحاول سفر تثنية الاشتراع أن يُعبّر عنه بالكلام.

وأخيراً دُوِّنت أقوال الأنبياء - صفنيا ونحوم وحبقوق وإرميا (راجع إر 36). وقد أُلّف فى ذلك الزمان كثير من المزامير، واستمرّ تفكير الحكماء، ولا سيّما فى موت يوشيا الملك القدّيس.

سِفر تثنية الاشتراع

نحن في أورشليم في السنة 622، أمر يوشيا الملك ببعض الأشغال في الهيكل. فعثر عظيم الكهنة على " كتاب الشريعة " (2مل 22) فجعل يوشيا من " كتاب العهد " (2مل 2/23) أساساً للإصلاح العظيم الذي أقدم عليه. هكذا تم اكتشاف النواة المركزية لما سيُصبح " سفر تثنية الاشتراع ".

لهذا الكتاب قصة مُعقّدة وتأليفه قد استغرق بضعة قرون. فهو يُمثل إذا تياراً فكرياً علينا أن نهتدى إليه، لأننا نجد تلك الطريقة في التفكير في تاريخ إسرائيل في عدّة أسفار من الكتاب المقدس.

سِفر تثنية الاشتراع الحالى وقصّته

يظهر هذا الكتاب بمظهر سلسلة خطب لموسى، يُسنّ فيها، قبل وفاته، بعض القوانين للشعب، ويُذلى بوصاياها الأخيرة في طريقة العيش في الأرض التي سيستولون عليها.

هذا الكتاب هو ما أدى إليه تاريخ طويل يمكننا أن نلخص مراحلته الرئيسية بشئ من الترجيح.

قبل سقوط السامرة في 721، وعى الناس، في مملكة الشمال أن الشريعة التي أعطيت عن يد موسى لم تعد تطابق الواقع. كانت تلك الشريعة صالحة لشعب بدو، وهذا أن الشعب أصبح أمة عظيمة، ظهرت فيها مشاكل جديدة، خطيرة أو ثانوية، مثلاً: تجنيد المتأهل حديثاً ومخاطر العبادات الوثنية التي يمارسونها في كنعان ولا عدالة الأغنياء الذين يحطمون المساكين.... فكان لا بدّ إذا من إعادة النظر في الشريعة ومن جعلها نوعاً من " طبعة ثانية ". وهكذا نشأت شيئاً فشيئاً قوانين وعادات ستكون قلب " سفر تثنية الاشتراع " أو " الشريعة الثانية ".

وأما اللاويون الذين جمعوا وفسّروا هذه القوانين والعادات، فإنهم قد تأثروا كثيراً بوعظ الأنبياء كإيليا وعموس ولا سيما هوشع. فقد تبين لهم أن الشريعة التي أعطاهم الله لشعبه ليست هي أي عقد كان، بل إنها تحالف ورابط حسب يماثل الرابط الذي يجمع بين الخطيب والتي حببها (راجع هوشع 1 - 3).

وبعد سقوط السامرة فى 721، لجأ لاويون إلى اورشليم حيث جزقيا الملك. فأتوا بهذه القوانين ونظموها وأكملوها. وتاملوا أيضاً فى أسباب خراب مملكتهم: ماذا كان يجب عليهم أن يعملوا ليقوا أمناء لله؟ وهكذا فإن قوانينهم تبدو أحياناً نظرية محض، يُستهدف منها أن تُضفى روحاً أكثر من أن تُسنّ قواعد لا يُمكن تطبيقها أو لم يُعدّ ممكناً. مثلاً: مفروض كل سبع سنوات أن يُغفى من الديون وأن يُحرر العبيد (تث 15)، وعند الاستيلاء على مدينة، يجب قتل جميع سكانها اجتناباً لفساد ديانتهم (تث 16)، ولا بد من الحج إلى اورشليم فى الأعياد السنوية (تث 16) الخ... وكان لهذا القانون الأخير معنى خاص، وهو أن اللاويين كانوا يسعون إلى إعادة وحدة الشعب، فأرادوا أن يركزوا الإيمان على المكان الوحيد الذى يحضر الله فيه، أى اورشليم، لئلا يخطوا من منزلة المعابد القديمة كشكيم وجبل جرزيم.

بعض ملامح تثنية الاشتراع

على صعيد المبنى:

- إنشاء عاطفى جداً. فالكاتب لا يقتصر على التعليم، بل يريد أن يُقنع بالطاعة.
- تكرارات كثيرة، مثلاً: الرب إلهك... إسمع، أدكر، يا إسرائيل...
- احفظوا الوصايا، والأحكام والعادات...
- خليط متواصل من " أنت " و " أنتم ". لا شك أن فى ذلك دليلاً على وجود مرحلتين فى التحرير. ففي الكتاب الحالى، يعنى هذا الأمر أن الشعب واحد (فيمكن مخاطبته باستعمال " أنت ")، ولكن كل مؤمن من مؤمنى هذا الشعب يُحافظ على شخصيته (يُقال لهم : " أنتم ").

بعض الأفكار القويّة:

- أن الرب هو إله إسرائيل الأوحد.
- اختار لنفسه شعباً. فعلى الشعب أن يُحب الله، تلبية لهذا الاختيار.
- أعطاه الله أرضاً. شرط أن يكون الشعب أميناً له ويذكر اليوم عهده.
- فى الليترجية خاصة يكون الشعب جماعة يدعوها الله كما حدث فى جبل حوريب، فيذكر ويسمع كلمة الله.

(57)

هذه الصياغة الأولى فى اورشليم، عن يد لاويين أتوا بتقاليدهم من الشمال، هى النواة القديمة لسفر تثنية الاشتراع (فقرات الفصول 5 إلى 26 التى يُستعمل فيها ضمير المخاطب المفرد). لكن حكم الملك الكافر

منسى أسقط هذا " الكتاب " فى زاوية النسيان. وهذا الكتاب هو الذى وُضع فى الهيكل، إلى أن عُثر عليه فى السنة 622.

جعل منه يوشيا أساساً لإصلاحه السياسى والدينى الكبير، الذى أراد به أن يُعيد إلى الوجود شعباً موحّداً حول أورشليم. أمّا الفقرات التى يُستعمل فيها ضمير المُخاطب فى الجمع والفصلان الأوّل والأخير، فلعلها أضيفت فى ذلك الزمان أو فى وقت لاحق.

وأخيراً، وبعد أن أُدخل على الكتاب تنقيحات أخرى، دخل فى المجموعة الكبرى التى تمّ وضعها فى حوالى السنة 400، أى فى الشريعة بأقسامها الخمسة ، أو التوراة.

وكانوا يشعرون بأمانتهم لأفكار موسى، أو، بعبارة أخرى، كانوا على يقين من أن القوانين التى يُستونها هى التى لو عاش موسى فى ذلك الزمان لستها، فجعلوها على لسانه فى صيغة خُطب ألقاها قبل وفاته.

" ما كان عليك إلا أن... "

من السهل أن تُجدد قراءة التاريخ وأن يُقال بعد فوات الأوان: " كان عليك أن ... كان عليك أن تفعل هذا...! " وَمَنْ مِنَّا يرغب أن يُجيب: " أودّ لو كنت مكاني... ". ولكن، ماذا نجيب، إن كان الله هو الذى يُخاطبنا، كما الأمر هو الآن...؟

يُرينا متى ولوقا، فى روايتهما للتجارب التى جُرّب بها يسوع، كيف أننا، فى يسوع، رأينا الله مكاننا. ذلك بأنّ الشيطان يجعل يسوع يعيش تجارب الشعب وتجاربنا. ويسوع بالاسشهاد ببعض آيات تثنية الاشتراع. إنه يجيب كما كان على الشعب أن يجيب. ففيه تنجح أخيراً قصة الشعب وقصتنا.

يتساءل سفر تثنية الاشتراع: هل يُمكن للإنسان أن يحب الله؟ فيُجيب العهد الجديد: فى يسوع أصبح كلّ شئ ممكناً.

تِيّار فكرى

لكن تثنية الاشتراع ليست كتاباً فحسب. فهناك " تقليد الاشتراع " يُشيرون إليه بالحرف **ت**. وهذا يعنى أن المقصود هو تيار فكرى وطريقة فى تجديد قراءة التاريخ فى إطار معين، أى فى إطار الفشل الذى يرمز إليه سقوط مملكة الشمال.

وفى السنة 587، ستمّر مملكة الجنوب بدورها، فيقوم لاهوتيون آخرون ويتأملون فى هذا الفشل ويحدّدون قراءة التاريخ الذى سبق أن

دُونَ. وعند وضع اللمسات الأخيرة على أسفار يشوع والملوك - وينوع أقل تأكيداً على أسفار القضاة وصموئيل - سيحاول هؤلاء الكتاب أن يظهروا كيف كان يجب الإخلاص لله لكي يسير تاريخ إسرائيل سيراً مختلفاً.

بعض النصوص من تثنية الاشتراع

يحسن بنا أن نقرأ الكتاب كله لنشعر فيه بحبّ الله لشعبه ولنسمع الله يدعو الشعب إلى تلبيته فيحبه بكلّ نفسه طوال حياته اليومية وبحب إخوته. ولكن فلنبدأ بقراءة بعض النصوص الهامة:

- **الاختيار (32/4—40)**. هذا الاختيار الإلهي مبنى قبل كلّ شئ على محبته. **إنه رسالة، لا امتياز.**
- **"اسمع يا إسرائيل... (6)**. أصبح مطلع هذا الفصل صلاة كلّ يهودى وقلب إيمانه. "اسمع - أطع (للكلمة العبرية هذان المعنيان)، يا إسرائيل، إنّ الربّ واحد". ذلك هو التأكيد الأساسى، ونتيجته: " أحبّ الربّ من كلّ قلبك..".
- **الحياة اليومية كامتحان (5—1/8)**. إنّ الله يمتحننا ليرى هل نضع ثقتنا به وحده. يرد هذا النصّ فى رواية تجارب يسوع.
- **ليست الشريعة قوانين خارجية، بل واجب تلبية المحبة بالمحبة (12/10 ت)**.
- **الهيكلي** . هو المكان الوحيد الذى يحضر الله فيه لشعبه (2/12 - 28). لا بدّ من الحج إليه ثلاثة مرّات فى السنة (1/16 - 17).
- **النبى الصادق**. (15 /18 — 22). يُبشّر الله بمجئى النبى النهائى. والمسيحيون الأوّلون سيرون فيه يسوع. ملعون من علّق على خشبة (22/21). سيكون لهذه الآية دور هام فى فكر بولس فى المصلوب (راجع مثلاً غل 13/3).
- **المعنى الاجتماعى**. (14/24 — 22). تظهر هنا وفى أماكن أخرى كثيرة لباقية تثنية الاشتراع وعطفه على الصغار والمساكين.
- **" قربان " البواكير**. (1/26 — 11) : سندرس هذا النصّ فى الصفحة التالية.
- **كلمة الله فى قلوبنا**. (11/30 - 20).

(58)

+ درس أحد النصوص: " قربان " البواكير (تث 1/26 - 11)

مضى على إسرائيل بضعة قرون وهو يُقيم فى كنعان. إنه يعبد إلهًا تدخّل فى التاريخ: هذا ما يذكر به " قانون الإيمان " المُدرج فى قلب هذا

النص. لكن الإسرائيلي أصبح الآن فلاحاً وتاجراً. وهو مهتمّ قبل كل شيء بخصوبة الأرض والمواشي. نجد هنا النزاع الذي أشرنا إليه في كلامنا على هوشع (الصفحة 49): "إله التاريخ أم آلهة الطبيعة؟". كان الكنعاني يحتفل كل سنة، في زمن الغلال، بعيد إكراماً لبعل، إله الخصوبة ونموّ النبات. تنبى إسرائيل هذه الرتبة، ولكن ما هو المعنى الذي أضفناه عليها؟.

لولا الخوف من الوقوع في خطأ تاريخي، لقلنا أن هذا النص لا نزال نستعمله في خدماتنا القربانية: التقدمة - الرواية (" قانون إيمان " يروي قصة أو رواية العشاء الأخير) - العبادة والتناول. كيف نفهم أي رواية قصة في عطيانا وفي حياتنا تحول هذه العطايا وهذه الحياة؟.

يدعونا هذا النص إلى اكتشاف ذلك وأشياء أخرى كثيرة. إبدأ بقراءته بانتباه بغض النظر عن الفوائد الهامشية:

1 وَإِذَا دَخَلْتَ الْأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِيَّاهَا مِيرثًا فَوَرثتها وَسَكَنْتَ فِيهَا،

2 فَخُذْ مِنْ بَوَاقِيرِ كُلِّ ثَمَرِ الْأَرْضِ الَّتِي تُخْرِجُهُ مِنْ أَرْضِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِيَّاهَا وَضَعُهَا فِي سَلَّةٍ، وَأَمْضِ إِلَى الْمَكَانِ الَّتِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ لِئَجْلِ اسْمِهِ فِيهِ. (هيكل الرب)

3 وَأْتِ إِلَى الْكَاهِنِ الَّتِي يَكُونُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَقُلْ لَهُ: أَعْلِنُ الْيَوْمَ لِلرَّبِّ إِلَهُكَ أَنِّي قَدْ دَخَلْتُ الْأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِأَبَائِنَا أَنْ يُعْطِيَنَا إِيَّاهَا.

4 فَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ السَّلَّةَ مِنْ يَدِكَ فَيَضَعُهَا أَمَامَ مَذْبَحِ الرَّبِّ إِلَهُكَ.

5 ثُمَّ تَتَكَلَّمُ فَتَقُولُ بَيْنَ يَدَيْ الرَّبِّ إِلَهُكَ: إِنَّ أَبِي كَانَ أَرَامِيًّا تَائِبًا، فَنَزَلَ إِلَى مِصْرَ وَأَقَامَ هُنَاكَ مَعَ رِجَالِ قَلَانِيل، " قانون إيمان " = رواية فصارَ هُنَاكَ أُمَّةً عَظِيمَةً قَوِيَّةً كَثِيرَةً.

الموضوع: أرض
6 فَأَسَاءَ إِلَيْنَا الْمِصْرِيُّونَ وَأَذَلُّونَا وَفَرَضُوا عَلَيْنَا عَمَلًا شَقِيًّا. الرب غائب

7 فَصَرَخْنَا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُ آبَائِنَا فَسَمِعَ الرَّبُّ صَوْتَنَا الموضوع أرض حرية ورأى دُلْنَا وَعَثَاءَنَا وَظَلَمْنَا.

الرب في
8 فَأَخْرَجَنَا الرَّبُّ مِنْ مِصْرَ بِيَدِ قُوَّةٍ وَذِرَاعِ مَبْسُوطَةٍ، خدمة شعبه ورُعب شديد وآياتٍ ومُعْجَزَاتٍ.

9 وَأَوْصَلْنَا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ وَأَعْطَيْنَا هَذِهِ الْأَرْضَ
أَرْضًا تُدْرَى لِبَنَائِهَا وَعَسَلًا.

10 الْآنَ هَاءِنْدًا قَدْ آتَى بَبْوَاعِكُمْ تَمَرِ الْأَرْضِ

الموضوع: السعادة

التي أُعْطِيتِي يَا رَبُّ. ثُمَّ ضَعَهَا أَمَامَ الرَّبِّ

فِي أَرْضٍ لَا يَمْلِكُهَا

إِلَهُكَ، وَاسْجُدْ بَيْنَ يَدَيْ الرَّبِّ إِلَهُكَ.

الإنسان.

11 وَأَفْرَحُ بِكُلِّ الْخَيْرِ الَّذِي أُعْطَاهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ لَكَ وَلِبَنَيْكَ،

الرب المعروف

أَنْتِ وَاللَّوِيُّ وَالنَّزِيلُ الَّذِي فِيمَا بَيْنَكَ.

كرب.

(59)

إبدأ بقراءة هذا النص بانتباه، مستعينًا بـ " علبة أدوات العمل " (الصفحة 14).

من هم الممثلون؟ ماذا يعملون؟ ماذا يعطون؟ هل الرب حاضر في كل مكان؟ ما هي الأماكن؟ ما هي العبارات المتكررة؟ انتبه إلى الضمائر: أنا / أنت - نحن...

في مطلع النص، يقتصر الكلام على " أنت "، وفي الختام، يُجمع بيم " أنت - لاوي - نزيل ". ما المشترك بين هؤلاء الممثلين الثلاثة الذي يدعو إلى الجمع بينهم؟ كيف يُغير هذا الجمع بينهم صلة " أنت " بأرضه؟.

ضع هذا النص في الإطار الديني لذلك الزمن؟ (راجع الصفحة 44) كيف يحلّ النزاع: إله التاريخ - قوّات الطبيعة؟.

إليك بعض الأسهم في حال انقطاعك في الطريق (لا تقرأها فوراً!). تبتدئ الرواية حين يعوز الإنسان شيء وتنتهي حين يحصل على هذا الشيء. نحن أمام ثلاث روايات تتشابه.

الآية 5 ب . إن إعواز " الأرض " يُسدّ، بما أنّه يُصبح أمة كبيرة، لكنّ تتمّة الرواية تُخبر بأنّ الأمر قد فشل. فلا بدّ من أن يزداد الموضوع وضوحًا: " أرض حرية ". ولماذا فشل الأمر؟ هذا المقطع هو المقطع الوحيد الذي يغيب الله عنه. فهل هذا يعنى أنّ السعى بمعزل عن الله لا يمكن أن يودى إلى نتيجة ثابتة؟.

الآيات 6 — 9. تجاه المصريين الذين يُعطون العبودية، نرى أن الله يُعطي " أرض الحرية " (انتبه إلى استعمال " نحن " فى موقف حرج). لكن يبدو أن الله فى خدمة شعبه هنا، كآلهة الطبيعة.

الآيات 10 — 11. وهما تكرار للآيات 1 — 4. يتغيّر معنى غلال الأرض، لأنّ قصتها تُروى. كانت فى البدء " ثمارى التى أعطيك إياها " ، فأصبحت " الثمار التى تعطينى أن أنميها ". يُعترف هنا بالله رباً.

والصلة بالأرض تغيّرت هى أيضاً. فاللاوى والنزيل يتمتعان بأرض ليست لهما. كذلك الـ " أنت " ! اموالنا ليست لنا، بل هى فى خدمة سعادتنا وسعادة جميع الناس.

الآباء الأولون

تلك الأسفار التى نسميها " تاريخية " : يشوع والقضاة وصموئيل والملوك، يسميها اليهود " الأنبياء الأولين " فيساوون بينها وبين " الأنبياء الآخرين " : أشعيا وإرميا وسائر الأنبياء.

فى هذا الأمر أكثر من تغيير لصيغة. فعندما يختار كاتب فى أيامنا أن ينشر كتابه فى مجموعة تاريخية أو فلسفية، يُخبرنا بذلك ما هو قصده وكيف يريد أن نقرأه.

فليست هذه الأسفار كتباً تاريخية. فهى لا تهدف إلى تمثيل الأحداث بدقة، وإن أفادنا علم الآثار، على سبيل المثال، أن أريحا كانت متهدمة تقريباً حين استولى عليها يشوع، فلا شأن فى ذلك، لأنّ الكاتب ليس بمحقق يصور معركة، بل هو نبى يبحث عن معنى الحادث.

" أسفار الأنبياء " : يعنى هذا أن المؤلفين تأملوا فى التقاليد التى كانت تنقل الأحداث إليهم، ليكتشفوا أية كلمة الله تحملها هذه الأحداث. فالمؤلفون أقل سعياً إلى الإخبار بالأحداث منهم إلى اكتشاف ما تعنى لنا هذه الأحداث. فسيتناولونها على مرّ الأجيال ويتأملون فيها ويروونها على وجوه مختلفة، وهى لا تزال حاملة كلمة جديدة لله فى وضع تاريخى جديد.

بقراءتنا تثنية الاشتراع، اكتشفنا خاصّة " تياراً فكرياً ". من الأرجح أن التأليف النهائى لـ " هؤلاء الأنبياء الأولين " قد تمّ عن يد كتبة تأثروا بهذا التيار. كان بين أيديهم روايات محرّرة. فلخصوها ليستخلصوا منها عبرة. وبعد كارثة السنة 587، أصبحت رواية أخطاء إسرائيل والملوك دعوة إلى التوبة. بقى الله حاضراً لشعبه كما كان حاضراً فى هيكله، ولكن بشرط أن يعود الشعب إليه. وفى هذا التأمّل فى الماضى، يسعى هؤلاء الأنبياء قبل كل شئ إلى نور للحاضر ورجاء للمستقبل.

(60)

التقليد اليهلوهي (ي آ)

هكذا يسمون أحياناً اندماج التقليد اليهوى (ي) الموضوع فى أيام داود - سليمان فى مملكة الجنوب، والتقليد الإيلوهي (آ) المحرر فى مملكة الشمال. وهذا الدمج هو أكثر من عملية أدبية، فهو يدل على قرار إيماني وعلى تفكير عميق فى الوضع الجديد الناشئ عن سقوط مملكة الشمال.

نحن فى أورشليم. فيها يملك حزقيا يؤيده أشعيا النبى، يخلف لداود وسليمان اللذين وعدهما الله بأرض وشعب وسلالة. ولكن المملكة الموحدة قد انشطرت: فهناك مملكة الشمال أو مملكة إسرائيل، ومملكة الجنوب أو مملكة يهوذا، وهاتان المملكتان كانتا تعلمان بأنهما تكونان معاً ذلك الشعب الذى قطع الله معه عهداً فى جبل سيناء والذى هو وريث الوعد لإبراهيم.

فى السنة 721 دمرت آشور مملكة الشمال. وهذا الأمر أعاد إلى بساط التساؤل إيمان الشعب بنقطتين أساسيتين: الأرض والشعب. فالأرض التى أعطيت فى الماضى لداود يجتاحها العدو شيئاً فشيئاً وهو يعسكر بالقرب من أبواب أورشليم. أما الشعب فهل عليه بعد اليوم أن ينحصر فى سبطى يهوذا وبنيامين اللذين يؤلفان مملكة الجنوب؟.

بين إسرائيلى الشمال الذين نجوا من المذبحة، هناك بعض المؤمنين الذين لجأوا إلى أورشليم فأتوا بتقاليدهم. وكان حزقيا الملك يريد أن يخلق تجديداً قومياً ودينياً، فنما فى أيامه نشاط لاهوتى وأدبى مكثف، ومن ثمار هذا النشاط " التقليد اليهلوهي " .

وهذا الاندماج هو جواب إيمان عن السؤال المقلق المطروح حول الأرض والشعب. فالرجاء الأساسى يبقى (وسيبقى دائماً) أن الشعب هو يهوذا وإسرائيل. وللدلالة على ذلك، أقدموا على الجمع فى عمل واحد بين التقليدين اللذين نشأ منفردين. كان هذا العمل شديد الخطورة، إذ أن التقليدين كثيراً ما كانا يتضمنان روايات واحدة معروضة فى وجهتى نظر تختلف الواحدة عن الأخرى بعض الاختلاف. حاول هذا العمل الاندماجى أن يراعى التقليدين - وهذا ما يمتن الاختصاصيين فى أيامنا أن يهتدوا إلى آثارهما - مع المحافظة على وحدة الرواية الجديدة. وقد نجح خاصة فى المحافظة على رجاء التقليد اليهوى المرتكز على سلالة داود، مع إدراج ما فى التقليد الإيلوهي من متطلبات أخلاقية وروحية. فهذا العمل هو عمل مشترك بين أسباط الشمال والجنوب، وهم يظهرون إيمانهم بالله إسرائيل ورجاءهم للمستقبل. سنقرأ نصين بسرعة.

من الأرجح أن هذا النصّ هو مطلع التقليد الإيلوهي، لكنّه مندمج برواية يهوية حتى أن الاختصاصيين عدلوا عن التمييز بينهما، واكتفوا باكتشاف الأفكار العريضة على كل من التقليديين.

وهكذا فالوعد بذريّة وبأرض يوافق البركة التي ورد ذكرها في تك 2/12 و 14/13 وهما من التقليد اليهوي. أمّا "العهد" فهو موضوع عزيز على التقليد الإيلوهي.

لايخلو النصّ الحالي من التباينات، ولكنّه يبرز بوضوح رائع ما كان لإبراهيم من إيمان تام. كان لرتبة العهد أهميّة كبرى. فكان الفريقان يجتازان كلاهما عادة بين الحيوانات المجزأة للدلالة على أنّه، إن فسخ أحدهما العهد، فسيحدث له ما جرى لهذه الحيوانات. أمّا هنا فإنّ الله وحده يجتاز ويلتزم. وهذا أمر جوهري بالنسبة إلى إسرائيل وبالنسبة إلينا، ذلك بأنّ في منطق تاريخنا مؤمنين التزاماً غير مشروط من قبل الله الذي يلقي في ميزان التاريخ ثقل أمّاتته. ففي أمر الساعات، حين يشعر إسرائيل بأنّه لم يكن أميناً وبأنّه يعاقب بحقّ بسبب خطاياها، يستطيع مع ذلك أن يلتفت نحو ذلك العهد فالله وعد بدون قيد أو شرط وهو أمين في وعده.

+ كتاب العهد (خر 22/20 - 19/23)

هذا النصّ قديم، يرقى عهده إلى نشأة إسرائيل. وُضع في زمن (زمن القضاة ولا شك) لم يكن فيه ملك ولا كاهن، وكان الاقتصاد مبنياً على تربية الدواجن وبمقدار قليل على الزراعة. حُفظ في مملكة الشمال واستوحى به سفر تثنية الاثتراع. وهو، اهتمامه بجميع قطاعات الحياة اليومية، يعلمنا بأن علينا أن نعيش الحياة كلها تحت نظر الله.

ولمّا تمّ الاندماج في نصّ موحد يهلوهي، ضُمّ إلى رواية الخروج فقطع سياقها. لكنّه يُضفي على الرواية كلها هيكلية معاهدة يلتزم فيها الفريقان هذه المرّة.

(61)

أنبياء يهوذا في القرن السادس ق. م.

سكت صوت أشعيا، ولا نعرف متى. يُقال، بحسب التقليد اليهوي، أنّه استشهد عن يد منسى الملك. وقام جيل جديد من الأنبياء وسنصغي إليهم.

نحوم

لا بد من قراءة تصويده المذهل لمعركة المركبات فى نينوى المغمورة بالمياه: قبل وقوع الحادث بكثير— كان يعظ على الأرجح فى حوالى السنة 660— " رأى " نجوم خراب عاصمة آشور فى 612. ما أدهش فعل الإيمان هذا بقدرة الله، تلك القدرة الوارد ذكرها فى المزمور الذى يفتح الكتاب: فإن آشور كانت، فى تلك الأيام، فى أوج عزها.

صفنيا

حين أخذ صفنيا يتكلم، كان قد مضى وقت قليل على انقضاء ملك منسى الكافر، ولم يكن الملك الفتى يوشيا، الذى ارتقى العرش فى 640، قد أقدم على إصلاحه الدينى العظيم.

القسم الأول من الكتاب (1/1 — 3 و 8) إثبات حالة مأسوية. يشعر صفنيا بالانصعاق، فإنه عبثاً يبحث، فليس من أبرار بين الشعب، إلا الله. لكن الله وحده، لأن أورشليم لم تتقرب إلى الله (2/3). ولذلك فقد اقترب اليوم العظيم، يوم غضب الله (14/1 ت).

وبما أن المقتردين والملوك والأنبياء والكهنة قد فشلوا، فالنبي يلتفت إلى " فقراء " القلوب، إلى الذين لا يتكلمون على قوّة أنفسهم، بل يضعون ثقتهم فى الله (3/2). وبذلك يفتح صفنيا معالجة موضوع - موضوع الفقر الروحى - سيزدهر فى العهد الجديد.

لكن، محبة الرب هى الأقوى. فإن الله يلمح، فى أمر المستقبل، تلك الساعة التى يستطيع فيها أن يكون بالقرب من بنت صهيون، فى وسط شعبه وجميع الشعوب التى طهرتها محبته، وهذه الرؤية تحمله على الرقص فرحاً (9/3 - 20).

حبقوق

أخذ حبقوق يعظ فى حوالى السنة 600 حين بدأ أهل بابل زحفهم على فلسطين. إنهم، فى نظره، أداة فى يد الله تعاقب الأشوريين الذين ظلموا إسرائيل. لكنه يتساءل: كيف يستطيع الله أن يستخدم أداة غير طاهرة؟ ولماذا ينجح الأشرار دائماً؟ يطرح حبقوق مشكلة الشر على مستوى الأمم. فيجيبه الله بجملة سيجعل بولس منها موجز بشارته: " بالإيمان يحيا البار " (4/2).

وصلاته (حب 3) تُعبّر عن إيمانه وسروره بالله فى وسط أشد المصائب.

بنت صهيون

من الأمور التقليدية فى جميع الحضارات أن يُرمز إلى الشعب بوجه نسانى. سبق أن شبه هوشع الشعب بزوجة غير أمينة ردّ الله لها، من

شدة محبته، قلب فتاة.

وميخا هو أول من استعمل عبارة " بنت صهيون " الغربية. لا شك أنها كانت تدلّ على الحيّ الشمالى فى أورشليم، وهو رأس تلة صهيون حيث تجمّع الناجون من كارثة السامرة فى 721. والمقصود بها البقية الباقية التى طهرها الألم.

وهذه البقية من إسرائيل يراها صفنيا مطهرة فى المستقبل حتّى أن الله يستطيع أن يسكن بالقرب منها. وسيشاركها فى ذلك جميع الشعوب المطهرة (صف 9/3). فهذه الصورة تعيننا نحن أيضًا: فالأمر بهم مصير كل واحد منّا، لأنّه مصير شعب آخر الأزمنة.

إرميا أكثر تشديدًا على ما فى التطهير الضرورى من سرّ أليم (11/4 و 23/6). وهذا شأن المراثى. وبعد أن تكون " المرأة " قد تطهرت، تلتمس الله زوجها (إر 22/31).

وتلاميذ أشعيا الذين يعظون فى أواخر الجلاء يصوّرون تلك العذراء صهيون، زوجة الرب، تلد أبناء كثيرين (أش 1/45 والفصلين 60 و 61: افرحى، يا بنت صهيون... "). وستلد الشعب الجديد أيضًا (أش 6/66 - 10).

سيتناول المسيحيون الأوّلون هذا الموضوع ليُعبروا عن سرّ الكنيسة، تلك المرأة التى تلد المسيح فى مخاض الجلجلة وعلى مرّ التاريخ (يو 21/16 — 22 ورو 21). وفى نظر لوقا، فمريم هى صورة لتلك الكنيسة الممتلئة نعمة فى آخر الأزمنة (أف 6/1) والقابلة الرب فى أحشائها (لو 28/1 - 31).

(62)

إرميا

قال رينان: " لولا هذا الكائن العبقري، لآخذ تاريخ البشرية الدينى مجرى آخر... ولما كانت الديانة المسيحية".

عاش إرميا تلك المأساة الرهيبة التى انقضت على شعبه. لا بل توقعها وحاول أن يعدّ لها الشعب المستهتر، فاضطهده هذا الشعب.

أخذ إرميا يعظ فى أيام يوشيا الملك، وكان وعظه فى ذلك الحين لا يختلف عن وعظ الأنبياء الذين سبقوه. كان يحاول أن يشعر شعبه بأنّه قد ضلّ الطريق، وبأنّ الحياة التى يعيشها ستنتهى به إلى الكارثة. ففى الفصول العشرة الأولى التى هى كموجز لوعظه، كلمتان أساسيتان تتكرران: ابتعد الشعب عن الله - فعليه أن يتوب إلى الله ويتحوّل.

من العجيب أن إرميا لم يتكلم أثناء الإصلاح الديني الذي قام به يوشيا والذي كان يؤيده ولا شك.

وفى السنة 605، هزم الملك نبوكد نصر البابلي المصريين فى كركميش، فى شمال سورىة، وفى السنة 603 وصل إلى أورشليم وأخضعها. أدرك إرميا أن العدو يأتى من الشمال، من بابل. فتوقّع الكارثة وأعد لها شعبه. حين يصيبنا حدث أليم (مرض أو حادثة ...) ونشعر بأننا لم نعد قادرين على شىء، يبقى لنا أن نحاول إعطاءه معنى. سبق لنا أن قلنا فى البدء (الصفحة 9) أننا "لا نفهم أحياناً إلا بعد فوات الأوان". وهذا ما سيحاول بعض الأنبياء حزقيال وبعض تلاميذ أشعيا المنفيين إلى بابل أن يُظهره (راجع النص بإطار "إن الله سيعاقبكم"). فـضّل إرميا أنه فهم "قبل فوات الأوان" وأعطى الحدث المدمر معنى قبل وقوعه. أجل، لم يسمعه الشعب، بل يرذله ويضطهده، مفضلاً الإذعان لأنبياء كذبة يطمنونه. ولكن، بعد أن يكون الحدث قد تمّ وفقاً لما قاله إرميا، يذكرون كلامه. وبفضله، يستطيع الشعب أن يعيش الحدث الأليم وله معنى ممكن قبل وقوعه. وهذا ما سيساعد الشعب إلى حدّ بعيد أن يعيش الجلاء بالإيمان والرجاء وألا يغرق فى البؤس، بل أن يجد فيه معنى جديداً لحياته.

لا تستطيعون قراءة سفر إرميا كله. فإليكم على الأقلّ نصوصاً يمكنكم أن تقرّوها.

- **الدين الصحيح.** أن الشعب يمارس دينه ممارسة حسنة، وهو يُكرم تابوت العهد ويزور الهيكل ويُقرّب الذبائح ويحفظ يوم السبت ويختن الأطفال... أنه يُمارس، لكن لا نصيب لقلبه فى كل ذلك. وهو يعتقد أنه من واجب الله أن يحميه ويحمى أورشليم المدينة المقدّسة، بما أنه يُراعى كل تلك الشعائر الخارجيّة. لقد جعل من مارسته لأحكام الشريعة ضمناً يُغنيه عن المحبة. لذلك يُنبئ إرميا بأن الله سيقضى على جميع هذه الضمانات الكاذبة: تابوت العهد (16/3) والهيكل (1/7—5 والفصل 26) وأورشليم (19)، لأن ما يطلبه الله ليس هو ختان خارجى فى الجسد، بل ختان القلب (4/4 و 24/9—25). بدت هذه التهجّمات تجديدية حتّى أن إرميا لم ينج من الموت إلا بقليل. هذه التهجّمات صورة سابقة لتهجّمات يسوع على ممارساتنا الخالية من أى معنى.
- **العهد الجديد.** الفصل 31 هو ذروة رسالته. إنّه يتجاوز المصائب ويعظ الرجاء، قائلاً أن الله يغفر ويصنع جديداً. لإمّ يستند هذا الضمان؟ لإقرأ 20/31. المسئولية الشخصية (الآيتان 29—30). وسيتوسّع حزقيال بإسهاب فى وجهة النظر هذه (حز 18).

ما هي الميزات التي تجعل العهد جديداً (31/31 — 34)؟ سيراه لوقا (20/22) وبولس (1 قور 25/11) محققاً في دم العشاء السرى.

- **الأعمال النبوية.** على غرار جميع الأنبياء، لا بل أكثر منهم، يعظ إرميا بأعماله كما يعظ بأقواله. وهذه الأعمال الرمزية غالباً ما تكون أكثر من مجرد إعلان خبر. فلأن النبي يحمل كلمة الله، وهي كلمة فعالة، فإن هذه الأعمال تجعل الحدث المخبر به حاضراً نوعاً ما قبل وقوعه. وبهذا المعنى، يمكننا أن نقول إن ما فعله يسوع في العشاء السرى هو أيضاً عمل نبوي.
- **يوميات إرميا الشخصية.** إرميا، ومثله بولس، أكثر شخصيات الكتاب المقدس معرفة منا. فإنه يُفضى إلينا بانطباعاته الشخصية وإيمانه وشكوكه في مقاطع شخصية جداً تسمى أحياناً " اعترافات". يمكنك أن تقرأ على الأقل 1/12 — 5 و 7/20 — 18: كيف تساعدنا هذه " الصلوات " على أن نفهم الله؟ أن نفهم أنفسنا؟ أن نفهم صلواتنا بالله؟.
- **الدعوة (1/4 — 19).** إن الطريقة التي يعرض بها نبيّ دعوته والنداء الذي يوجهه الله إليه، كثيراً ما تلقى ضوءاً على رسالته. أما عند إرميا، فليس هناك أي شيء غير عادي: يبدو أن كل شيء يجري في أعماق الصلاة. حاول ، انطلاقاً من هذا النص، أن تكتشف ما هي الرسالة المعهود بها إلى إرميا وبعض ملامح طبعه. إلى أي شيء يستند ضمّانه؟ تُظهر لنا " الرويتان " (الآيتان 11ت و 13ت) كيف أن النبيّ " يرى " الله في الأحداث. كيف يساعدنا ذلك على اكتشاف كلمة الله في حياتنا وفي أحداث العالم.

(63)

" إن الله سيُعاقبكم... "

قد تصدمنا رسالة الأنبياء، فإنها كثيراً ما تُظهر الله إلهاً يُهدّد شعبه بالعقوبات لأنه أخطأ. فهل الكوارث الطبيعية والحروب ولا عدالة البشر عقاب من الله...؟ لا نحتمل اليوم صورة إله منتقم.

إليك مثلاً: هذا شابٌ مولع بالدراجة النارية. في ذات يوم، وقع الحادث، وتلاه المستشفى والعناية مدة أشهر طويلة، وسهر الأطباء والمرمضات... وهناك ممرضةٌ إعتنت به وأظهرت له مشاعر غير مهنية. وفي أحد الأيام تزوجا. قد يقول هذا الرجل للتي أصبحت إمرأته: " في الحقيقة، من حسن الحظ جرى لي ذلك الحادث، وإلا لما كنتُ تعرّفت إليك ". نحن نقبل هذه العبارة، ولكننا نستنتج أن يستقبله المرشد الروحي فيقول له: " من حسن حظك... ". ولماذا؟ في الحالة الأولى، يعطى المعنى نفسه معنىً لحادثه من الداخل وبعد فوات الأوان، ولا يفرض عليه ذلك من الخارج. وفضلاً عن ذلك، فإن الحادث يبقلي في

نظره شرّاً. والأمر الذى يعدّه حسن حظ هو النتيجة الصالحة التى صدرت عن هذا الشر.

لنحوّل القصة لنقارنها بنصوص الأنبياء. ولنفترض أنّ ذلك الشاب كان يعيش، قبل الحادث، حياة فاسدة أنانيّة. فحمله الألم وأشهر العزلة الطويلة على التفكير فى فراغ حياته، فخرج من المستشفى شاباً جديداً، عازماً على تغيير حياته وعلى وضعها فى خدمة الآخرين. وبعد أن يكون قد استعاد إيمانه، فقد يقول لله ذات يوم: "حسناً فعلت إذ سمحت بهذا الحادث، فقد استعدت به معنى حياتى". نحن نقبل هذه الصلاة، ولكننا نستثقل المرشد الروحى الذى يقول له: "ترى أنّ الله عاقبك.."

فالنبيان هما ذلك الشاب لا المرشد الروحى. جُلى حزقيال مع الشعب، واضطهد إرميا فحمل مُسبقاً عذابات الشعب. إنهما يتأملان فى الأحداث التى تبقى فى نظرهما شرّاً. ولكنهما يحاولان، من الداخل وبعد فوات الأوان (أو " قبل فوات الأوان" عند إرميا)، أن يُعطيا معنى لهذه الأحداث وأن ينظرا إلى النتيجة الصالحة التى قد تصدر عنها: إنهما يحمّلان الشعب على الاعتراف بأنّه عاش عيشة سيئة وبأنّ عليه أن يُغيّر حياته. فهذه الأحداث هى، فى نظرهما، وإن عبّرا عن ذلك بعبارات فجّة، عقابات إلهية أقلّ ممّا هى فرص لاكتشاف محبة الله الذى يدعوهم إلى حياة جديدة.

(64)

5 - الجلاء إلى بابل

(538 - 587).

تموز (يوليو) 587: بعد حصار دام سنة، استولى جيش نبوكد نصر، ملك بابل، على اورشليم. فكانت نهاية مملكة يهوذا.

عشر سنوات جنون (587 - 597).

منذ السنة 597 استولى نبوكد نصر على اورشليم. ولكنه اكتفى بالحصول منها على جزية باهظة وجلاء قسم من السكّان (بينهم حزقيال النبى) وبإقامة ملك يخضع له.

هل كان ذلك عبرة للشعب؟ هذا ما كانوا يرجونه. لكنّ الشعب عاش عشر سنوات جنون، يضلّه أنبياء كذبة يعالونه بالأوهام ويوهمونه

بأنها ساعة وتعود الأمور إلى مجراها. فواصل الشعب حياة اللامبالاة وتحالف مع مصر على بابل.

وفى اورشليم كان إرميا يحدث على الخضوع للبابليين. فليس المهم في نظره أن تكون الأمة حرة أو خاضعة سياسياً، بل أن تكون بارّة وحرّة روحياً بخدمة إلهها وبممارسة البرّ. فعَدَّ إرميا " خائناً لوطنه " واختنق صوته فى بئر وحلّة ألقى فيها.

وفى بابل، كان حزقيال يقول القول نفسه لإخوته المجلّون معه، ولكن عبثاً. فقد كانوا يُعدّون فى الخفية أعلاماً لاستقبال إخوتهم الآتين لإنقاذهم... وفى السنة 587 رأوهم قادمين - على الأقل أولئك الذين أبقاهم السيف - لا كمحرّرين، بل مقيدى الأعناق، أنهكهم سلوك طريق طوله 1500 كم، وسائرين وراء ملك مفقوء العينين وحافظ فى حدّقتيه الفارغتين رؤيا أبنائه المذبوحين...

معجزة الجلاء

فقد الشعب كل ما كانت حياته قائمة عليه.

- الأرض. العلامة الحسيّة لبركة الله على شعبه.
- الملك. الذى به كان الله يُنزل هذه البركة، وكفيل وحدة الشعب وممثله لدى الله.
- الهيكل. مكان الحضور الإلهي.

وفى أقصى حدّ، فقد فقدَ إسرائيل إلهه أيضاً. كانوا يعتقدون فى ذلك الزمان بأن كلّ بلد كان تحت حماية إلهه القومى الذى يُعطى جيوشه القوّة. فاله إسرائيل قد هزمه الإله مردوك، إله بابل. ولا يبقى الإنسان فى خدمة إله مهزوم...

وأما معجزة الجلاء الكبرى، فهى أن تلك الكارثة، بدلاً من أن تقضى على إيمان إسرائيل، أيقظت هذا الإيمان وطهرته. تمّ كل ذلك بفضل الأنبياء، كحزقيال وتلميذ أشعيا يُسمى أشعيا الثانى، وبفضل الكهنة أيضاً: فكانوا يحثّون الشعب على تجديد قراءة تقاليدهم ليكتشف لرجائه أساساً. سيبتدعون معاً طريقة جديدة أشدّ روحانيّة ليعيشوا إيمانهم. ألم يعدّ هناك هيكل ولا ذبائح؟ فيمكنهم أن يجتمعوا يوم السبت لإكرام الله الأوحى؟ ألم يعدّ هناك أرض؟ فختان الجسد سيضع حدوداً لمملكة أبعادها روحية... ففى أثناء الجلاء نشأ ما يُسمى " اليهودية "، أى طريقة لممارسة الدين اليهودي ستكون طريقة زمن يسوع وزمننا.

(65)

على أنهار بابل...

أيّ كان وضع اليهود المجلّون؟ ليس الجواب على هذا السؤال من الأمور السهلة. لقد أصيب الشعب بصدمة نفسانية ومعنوية هائلة، وتألّم فى جسده أيضاً. وكان الاستيلاء على مدينة فى ذلك الزمان يعنى

الجلاء واغتصاب النساء وتحطيم الأطفال على الصخور وخوزقة المحاربين أو سلاخهم أحياء وفقء أعينهم وقطع رؤوسهم... فى المزمور 137 صدى لهذه التعذيبات. ولكن، من جهة أخرى، لا نتصور الحياة فى بابل كالتى نعرفها اليوم فى معسكرات الاعتقال. كان اليهود يتنعمون بحرية نسبية (لا تنفى أعمال السخرة). فكان حزقيال حراً فى أن يزور بنى قومه وهم منصرفون إلى الزراعة. وفى نهاية الجلاء، سيفضل بعضهم البقاء فى بابل حيث سيؤلفون مجموعة هامة ومزدهرة. وثفيدنا محفوظات مصرف " موراشو " فى نيبور (فى جنوب بابل) أن بعض اليهود كان لهم، بعد مئة سنة من الجلاء، حساب مصرفى محترم.

سيكون لمدينة بابل وتقاليدها وقع بعيد فى نفوس اليهود. كانت المدينة تظهر بمظهر رباعى أضلاع واسع مساحته 13 كم مربع يمر فيه نهر الفرات. أما الممر المقدس الذى ينطلق من باب عشتار المرصع بالأجر الكثير الألوان، فإنه بجانب سياج المعابد التى يرتفع فى وسطها برج ذو طوابق، هو برج بابل، وكانوا فى رأس كل سنة يسمعون إنشاد القصائد الكبرى (أنوما ايش وملحمة جلجامش ...) التى تروى كيف أن الإله مردوك، وهو إله بابل، أفكار الحكماء فى الوضع البشرى... فكان اليهود إذا على صلة مباشرة بفكر كان منتشرًا انتشارًا واسعًا فى الشرق الأوسط كله، وسوف يساعدهم كل ذلك على التفكير.

قورش (المسيح)

فى 29 تشرين الأول (أكتوبر) 539، استولى قورش على بابل، من دون مقاومة، وكان ذلك، ولا شك، بفضل تواطؤ أهل بابل المنزعجين من عدم أهلية ملكهم نبونيد.

كان قورش مُليًا من فارس وهى إقليم من أقاليم إمبراطورية الميديين الممتدة إلى شرق بابل وشمالها. ومنذ السنة 550، استولى على الحكم فى ميديا ووصل إلى أسية الصغرى فنهب كنوز الملك كريس الطائفة وعاد مُتجهًا إلى بابل. كان اليهود وأشعيا الثانى يتتبعون بحماس صعوده العجيب ويتساءلون هل يكون ذلك الذى اختاره الله و " مسحه " ليحررهم.

وفى الواقع، وفى السنة 538، ومن عاصمته الصيفية أحماتا، وقّع قورش على منشور بإذن لليهود فى العودة إلى بلادهم. ولقد منحهم أيضًا " تعويضات حرب " كبيرة لإعادة بناء وطنهم. هل فعل كل ذلك عن عطف فطرى أم عن شعور سياسى؟ كان من صالحه، فى الواقع، أن تكون أمة اليهود مخلصه له إخلصًا تامًا، فإنها كانت معقل إمبراطوريته المتقدم تجاه مصر. على كل، فقد رأى اليهود فى ذلك زوال الكابوس، وعاد عدد كبير منهم إلى " الأرض ".

النشاط الأدبى

فقدَ اليهود كلَّ شئ، ولم يبقَ إلا تقاليدهم، فسينصرفون إلى قراءتها بولع.

ووعظ حزقيال وأشعيا الثانى النبيان، الأول فى أوائل الجلاء، والثانى فى أواخره.

وجمع الكهنة مجموعات القوانين الموضوععة فى أورشليم فى أواخر أيام المملكة، وألفوا " شريعة القداسة" (أح 17— 26). وسيُزاد على هذه الشريعة بعد العودة من الجلاء، فتصبح سفر الأحبار.

وحاول الكهنة أن يسندوا إيمان الشعب ورجاءه، فعادوا به مرة أخرى إلى التأمل فى أصوله. هذه القراءة الجديدة للتاريخ معروفة باسم " التقليد الكهنوتى " ، وهى الوثيقة الرابعة من وثائق التوراة، ولم يبق إلا أن تُجمع فى مؤلف واحد، وسيتم ذلك فى حوالى السنة 400.

وأما الكارثة والعذاب، وكذلك الاحتكاك بالفكر البابلى والفارسى، فكل ذلك سيحمل حكماء إسرائيل على تعميق تفكيرهم فى الوضع البشرى، وسيؤدى ذلك، فى القرون التابعة للجلاء، إلى أعمال كسفر أيوب.

ويمكننا أن نتصور بسهولة أيضاً أن صلاة أولئك المؤمنين ستُضفى عليها صبغة جديدة. ولعلّ بعض المزامير (مثال 137 أو 44 أو 80 أو 89) قد نشأت فى تلك الحقبة كنداء إلى الله الأمين.

وفى أورشليم، صبّ بعض اليهود الناجين من الجلاء شكواهم فى " المرثى " المنسوبة خطأ إلى إرميا.

(66)

أنبياء الجلاء إلى بابل

حزقيال

حزقيال من قافلة المجلّوين الأولى فى السنة 597. وفى بابل، كان كلامه مدة عشر سنوات ككلام إرميا الباقي فى أورشليم. فهو أيضاً يلوم شعب الله (حز 3- 43) والأمم (25- 32) على سوء سلوكهم.

وانطلاقاً من السنة 587، عندما حلّت الكارثة وفقد الشعب كلّ أمل، انقلب وعظه إلى رسالة رجاء، قائلاً أن الله سيحيى شعبه (33— 39). وكان حزقيال متأكّداً من الأمر حتّى أنه وصف، بطريقة مستقبلية، أورشليم المستقبل، التى سيغيّر الله وجهها (40 - 48).

• شخصية محيرة

حزقيال رجل لا يستطيع أن يعمل شيئاً كما يعملها جميع الناس. يرى رؤى كالذين سبقوه، لكن رواه مدهشة: إقرأ، على سبيل المثال، روايته دعوته (الفصل 1). يقوم بحركات نبوية، ولكن يكاد يتجاوز حدود الذوق السليم: انظر إلى الفصلين 4 و 5. وبعض مقاطع من " أمثاله " قد يخجل منها مخفر حرس: فلا تقرأ الفصلين 16 أو 23 !.

ولكن حزقيال لا يصل إلى الطابع المؤثر إلا من خلال هذا الخروج عن الحد. وإذا أراد، فهو قادر أن يكون شاعراً غنائياً كبيراً: مثلاً صراخه على رئيس صور (الفصل 28). قارن بينه وبين تك 2 - 3، تر أن هذين النصين يستغلان بنوع مختلف تقاليد أسطورية واحدة.

• أبو اليهودية

ستكون رسالة حزقيال بمثابة أساس لما سُمي " اليهودية "، أي الطريقة اليهودية في الحياة أمام الله ومع الآخرين، كما ستصاغ بعد الجلاء.

يشعر حزقيال شعوراً حياً " بقداسة الله "، وهو يريد أن يُعبّر عن ذلك بالكيان كله، لذلك يعلق أهمية، بما أنه كاهن، على التوجيهات الطقسية والعبادة.

وبذلك يستوحى من " شريعة القداسة " (أح 17—26) التي دوتها الكهنة في أورشليم بعد الجلاء (راجع الصفحة 68).

كان إرميا يُشدّد على الوجه الباطني من الدين، وسيُعذّي مثاله الأعلى تقوى " مساكين الله "، مع الخطر أن يُصبح الدين روحياً صرفاً. فكان حزقيال يعظ أيضاً بدين باطني، مع التشديد على وجهه مكمل، وهو أن الإيمان لا بد أن يُعبّر عنه بالجسم في رتب، مع الخطر أن تُمارس التوجيهات الطقسية وأن يبقى القلب غائباً عنها.

+ بعض النصوص من حزقيال

• الحضور المقدس لله

كان الله يحضر في هيكله. ولكن ناتان أولاً (2صم 7، انظر الصفحة 42)، ثم سائر الأنبياء، كانوا قد شعروا مقدماً بأن الله لا يريد أن يسكن مادياً في مكان ما، بل روحياً في شعب مؤمن. ويرينا حزقيال على طريقته، وهو في الجلاء، أن ذلك قد حَقّق.

إقرأ بالتتابع: حز 3/9 و 5—4/10 و 22/11—23، ثم حز 1، وأخيراً حز 26/37—28 و 1/34—12. عما يريد حزقيال أن يُعبّر من خلال هذه الصور غير المألوفة؟ أين الله حاضر؟ وكيف؟ (لعلّ لوقا يستوحى من حز 23/11، حين يجعل الصعود في الجبل شرقاً، في بستان الزيتون).

• أنا الراعى الصالح (حز 34 و 15/37 - 18)

من هم رعاة الشعب؟ كيف كان سلوكهم؟ من سيكون الراعى الصالح؟ سيستوحى يسوع من النصوص (متى 10/18 — 14 ولو 1/15 — 7 و يو 10). من هو الراعى؟ أى قوّة وأى معنى يُضيفهما ذلك على كلام يسوع؟.

• هاءنذا أجعل كلّ شئ جديدًا (رؤ 5/21)

حز 1/33 — 11 و 1/37 — 14. الشعب المجلّو إلى بابل قطع الأمل، وهو كالهياكل القديمة التى تئيبس فى الشمس... بماذا يُنبئ الله فى رؤيا الفصل 37؟ يخلق الله شعبه ثانية بكلمته ويُعطيه الحياة بروحه. ماذا يعنى ذلك الآن للمسيحيين؟.

حز 16/36 — 38 و 1/47 — 12. ماذا يعمل الروح؟ من أين ينبثق؟ فى هذا توضيح لـ إر 31/31 — 34: بأى شئ؟ كيف تساعدنا هذه النصوص على فهم يو 37/7 - 39 و 34/19 أو غل 22/5 - 25؟.

(67)

أشعيا الثانى: " صوت صارخ " (إش 40 - 55)

أن يكون الإنسان مجلّواً ومُحتقراً ومُذلاً، بعد أن فقد كلّ شئ، وأن يكون عاملاً يدويًا بلا أمل و عاملاً أجنبيًا... وأن يُنشد مع ذلك الله، صانع العجايب، بصوت مقنع يُعيد الرجاء لشعب كامل، هذا، ولا شك، لأمر عجيب! هذا ما فعله تلميذ لأشعيا يستتر وراء رسالته فيسمي نفسه " صوت صارخ". ولكن من أين استمدّ هذه القوّة؟ من إيمان بالله. لا يزال الله " الذى أخرجنا من دار العبودية " فى أيام الخروج، فيمكنه أيضًا أن يُحررنا. وهو قادر على ذلك لأنه وحده " خالق ". وسيفعل، لأنه أمين وأن حبه لنا أشد من حبّ الأمّ.

قبل أن ندرس نصًا هامًا، نُشير إلى بعض المواضيع الرئيسية التى تناولها هذا النبى المؤثر.

• البُشرى

ثلاث مرّات تدوى تلك البُشرى أو الإنجيل، بأنّ الله سيقيم مُلكه أخيرًا ويُظهر نفسه ملكًا حقيقيًا بالتغلب على الشرّ واللا عدالة والعذاب (9/40 و 27/41 و 7/25، وراجع أيضًا 3/35 — 6 الذى يرقى إلى الزمن نفسه). وسيُعلن يسوع بصنعه المعجزات ومناداته بالتطويبات، لأنّ ذلك قد تمّ به، فسيكون الفقراء سعداء لأنه فقرهم قد قضى عليه.

• رافة الله (7-1/43 و 14/49 - 16)

لم يُسمع قط أجمل من هذا فى إله يُحبنا حبًا أموميًا.

• الخروج الجديد

يظهر لنا التحرير بمظهر خروج أروع من الخروج الأول. انظر على سبيل المثال إلى: 3/40 و 17/41 — 20 و 16/43 — 23 و 21/44 — 22 و 17/48 — 22... وسيُفسّر المسيحيون الأولون حياة يسوع المسيح وحياتنا في ضوء الخروج.

• " المسيح " قورش

إليك مثلاً عن تفسير التاريخ: استولى قورش على بابل لتوسيع مملكته. وهو يُفسّر ذلك كنداء من الإله مردوك البابلي (راجع النصّ المحاط بإطار) أمّا أشعيا فإنه يرى أنّ إله إسرائيل هو الذى دعا قورش و " مسحه " (1/41 — 5 و 29 و 5/42 — 7 و 27/44 — 28 و 1/45 — 6 و 11 — 13). فالإيمان - والإيمان وحده - يُشعرنا بوجود معنى فى الأحداث.

+ عبدالله (أش 12/35 - 13/52)

هذا النصّ ذروة الرسالة، تفسيره موضوع نقاش.

ابدأ بالبحث عن الذين يتكلمون:

- الله يُخبر بالمجد المُذخر لعبده (13/52 - 15).
- والأمم التى اضطهدت هذا العبد تتعجب وتعترف بخطأها (1/53 - 6).
- والنبى يتأمل فى مصير هذا العبد، والضحية البريئة والمحكوم عليه بالموت..... (7/53 - 9).

ثمّ يُصلى فيقول:

" ياربّ، ليُرضك مَسْخُوقًا بِالْآلَامِ، واجعل نفسه ذبيحة تكفير وليُبرّ ذرية وتطلّ أيامه وتنتجّ عن يده مرضاة الربّ " .

• والله يستجيب هذه الصلاة (11/53 - 12).

لا شكّ أنّ هذا العبد هو تجسيد لشعب إسرائيل المُذلل والمُحتقَر والمحكوم عليه بالموت. انقضت عليه المصائب ولم يَعْذْ قادراً على أىّ شئ، إلا على أنّ يُعطيها معنى (راجع: " إن الله سيعاقبكم " فى الصفحة 63).

كيف تحوّل وضع العبد هذا والذى هو وضع موت؟ ما هى نتيجته الأخيرة؟ ولماذا؟ (انظر إلى الوجهين: موقف العبد وعمل الله).

سيُفيد هذا العبد المسيحيين الأوّلين كثيراً فى فهم شخصية يسوع. كيف يساعدك ذلك على اكتشاف:

- معنى مهمّة المسيح؟
 - معنى موته عن الكثيرين (مر 45/10 و روم 25/4 وروايات العشاء السرى: متى 28/26 ومر ولو)؟.
 - معنى سرّ الفصح؟ إقرأ فل 6/2 - 11
- كيف من شأن ذلك أنّ يُعطي معنى لحياتنا؟.

إسطوانة قورش

فى إسطوانة من طين عُثر عليها فى بابل، يعرض قورش تفسيره للأحداث:

" إنَّ مردوك، سيّد بابل العظيم وحارس أهلها، نظر بسرور إلى أعمال قورش الصالحة وإلى قلبه المستقيم، فأمره بالذهاب إلى مدينته بابل. سيره على طريق بابل وما زال يمشى إلى جانبه كصديق ورفيق... وأدخله إلى بابل بلا قتال ولا معركة...".

(68)

سفر الأحبار

كتاب رائع ملئ بالتحريمات الجنسية والدم! يتطأب الخوض فيه شيئاً من الجرأة: فهناك التكرارات المتواصلة والقواعد الدقيقة الغربية: كل شى فيه يوقعنا فى حيرة. ومع ذلك....

لا بدّ من الرُتب (النظم) ...

لأننا جسدّيون، فنُعبر عن مشاعرنا بحركات حسّية. انظر إلى ربة البيت تُحضر لوازم المائدة: كل شى اصطلاحى ومدوّن، ومع ذلك فبهذا تعبّر لأصدقائها عن سرورها باستقبالهم. ولكن فى الرتب خطراً محتملاً، فقد يتم طريقة خادم المطعم فى توزيع لوازم المائدة إلا عن لا مبالاة كئيّة.

حين نستعدّ لملاقاة الله، لا بُدّ من الرُتب. فى ذلك، نوع من " ارتداء القلب ". كانت ملاقاته الله، فى نظر أولئك المؤمنين الإسرائيليين، القضية الكبرى، القضية المقبولة الوحيدة. فالدقة فى الرتب كانت عندهم طريقة فى التعبير عن شعورهم بالعيش فى حضرة الله القدّوس.

" كونوا قدّيسين لأنى أنا قدّوس! "

ينتمى كثير من التوجيهات الطقسية الوارد ذكرها فى سفر الأحبار إلى ثقافة لم تعد ثقافتنا، ويُعدّ تطبيقها اليوم تفسيراً خاطئاً. ولكن ما تُعبّر عنه لا يزال أمراً جوهرياً، وهو أنّ الله حاضر وأننا نعيش أمامه. لا ينقطع ذكر الله (أكثر من 350 مرة)، وأما عبارة " أمامه " فأتها تتكرر كاللزمة (أكثر من 50 مرة). إقرأ الفصل 19: سبب واحد يُبرر جميع الأحكام، من محبة القريب (الآية 18) إلى إنصاف الأجير (الآية 13) مروراً بجميع مواقف الحياة اليومية: " أنا الربّ إلهكم ". ففى محبته الله يشعر المؤمن بالطريقة التى يجب بها عليه أن يعيش فى الدنيا ومع الآخرين.

هذا الإله هو الإله القدوس، أى الذى يختلف عنّا كل الاختلاف. إنّه الإله الحى، إنّه الحياة. وفى ذلك سبب الاحترام الغامض الذى يدعو إليه الدم والأمور الجنسية.

المقدس والكهنوت والذبيحة

المقدس فى جميع الأديان هو نطاق الإله، هو منفصل تماماً عن الدنيوى. ولإسرائيل نصيب كبير من هذه العقلية. فالله هو القدوس، أى " الآخر ".

ومن جهة أخرى، كان إسرائيل يشعر شعوراً مُرهفاً بأنّ الإنسان لا وجود له إلا إذا كان على صلة بالآخرين ولا سيما بالله. - ولكن كيف يجتاز الفاصل بين الله القدوس والإنسان؟.

هذه مهمّة الكاهن، وعليه، للقيام بهذه المهمّة، أن يدخل فى دائرة المقدس، ويتم ذلك بالتقديس الذى هو انفصال: انفصال عن الشعب للانصراف إلى العبادة، انفصال عن الدنيوى وعن النشاطات اليومية للدخول إلى الهيكل، ما يُقدّمه الكاهن ينتقل إلى نطاق الله. وبالمقابلة، يستطيع الكاهن أن ينقل إلى الشعب عطايا الله: الغفران والأوامر والبركات.

سيتغيّر هذا المفهوم تماماً مع يسوع المسيح. فيه يُصبح المقدس دنيوياً، إذ لم يعد هناك تمييز بينهما، بل به يُصبح كل شئ مقدساً. وهو الكاهن الوحيد والوسيط الكامل، وذبيحته هى الذبيحة الوحيدة (ستتوسّع الرسالة إلى العبرانيين فى هذا الوجه). ولكن فى الكنيسة نزعة دائمة إلى التعبير عن الذبيحة وعن خدمة الكهنوت بالعودة إلى تصميم العهد القديم: وهذا ما يُفسّر كثيراً من المصاعب الحالية حول الكهنوت فى الكنيسة الكاثوليكية.

" الدم هو الحياة " (أحو 11/17 و 14)

الدم مقدس لأنّه الحياة، تلك الحياة الآتية من الله والسارية فى عروقنا. فلا يجوز سفك دم بشرى، ولا يجوز شرب دم حيوان (ولا سيما دم إنسان)، لأنّ فى ذلك زعمًا لأنّ يستطيع الإنسان أن يزيد على حياته بنفسه، ويجهل أنّ الله وحده هو سيّد الحياة. فليست المسألة مسألة مطبخية، (عدم الأكل من سَجق الدم)، بل مسألة احترام الحياة. أمّا تقدمة الدم فى الذبائح فهى بالعكس نوع من الاعتراف بعطية الحياة التى يمنحنا الله إيّاها.

ففى هذه الذبائح، لا تُقرب الضحية - وقد أمست جثة - بل الدم الحى، أى حياة الضحية. علينا أن نتعود أن نستبدل عقلياً عبارة " الحياة المقربة " بكلمة " الدم "، فبذلك تُصبح نصوص سفر الأحبار أو الرسالة إلى العبرانيين شديدة الإيحاء.

هذا شأن جميع الموانع الجنسية. فوراء تلك التحريمات (وهى موجودة)، هناك أمر يُبرر قبل كل شئ طابعها المقدس، وهو الشعور المرهف بأننا بالأمور الجنسية نشارك فى الحياة الصادرة عن الله.

تأليف سفر الأحبار

وُضع كتاب القداسة (أح 17— 26) فى أورشليم قبل الجلاء. حين أُلّف سفر تثنية الاشتراع الآتى من الشمال والمركّز على العهد والاختيار من قبل الله، أراد كهنة أورشليم تدوين العادات الممارسة فى الهيكل والمركّزة كلها على العبادة، ليذكروا بأنّ الله قدّوس يسمو على كل شئ.

أما شريعة الذبائح (أح 1— 7) وشريعة التطهير (أح 11— 16) فقد وُضعت بعد الجلاء، كذلك " شريعة الأعياد " (عدد 28- 29).

بعض النصوص من سفر الأحبار

قد لا تستطيع قراءة الكتاب بكامله، ولكنك تخسر إن جهلت بعض النصوص.

- أح 1/19 — 17: إن قداسة الله هى مصدر المحبة الأخوية والحياة فى المجتمع.
- أح 23: يذكرك كيف كانوا يقدسون الوقت بالاحتفال بالسبت وبالأعياد الكبرى.
- أح 16: يتناول موضوع " يوم الغفران"، وهو اليوم الوحيد الذى كان عظيم الكهنة يدخل فيه إلى الهيكل لنيل غفران الخطايا. وسيستعين صاحب الرسالة إلى العبرانيين بهذه الخدمة الطقسية للتعبير عن ذبيحة المسيح. وفى هذا الفصل ذكر لعادة قديمة، فيها شئ من السحر، وهى عادة " كبش الفداء".
- وأخيراً، إن اردت أن تتبين ما هى أنواع الذبائح، اقرأ أح 1-7.

نجس أم مقدّس

الظاهر والنجس هما عندنا مفهومان أخلاقيّان.

أما فى الكتاب المقدّس، كما هو الأمر فى جميع الأديان، فهما مفهومان قريبان جداً من مفهوم " المحرم " أو " المقدّس ". فالإنسان " نجس " إن اتّصل بقوة خفية قد تكون صالحة أو شريرة. فلا بد من ممارسة رتبة " تطهر "، وتنجى من عدوى تلك القوة.

هناك بعض الأمراض التي قد تُنجَس الإنسان، لأنهم كانوا يعتقدون بأنه يقع بذلك تحت تأثير الشياطين.

وبالعكس فإن الاتصال بالله قد " يُنجَس ". ففي بعض الكتب الطقسية تقرأ هذا التوجيه: " بعد تناول، يقوم الكاهن بتطهير الكأس ". أثيرى أصبحت هذه " الكأس " دنسة " (بالمعنى الأخلاقي) لأنها احتوت دم المسيح؟ لا، بل إنها أصبحت " مقدسة " لأنها دخلت في نطاق الله، فكان " تطهيرها رتبة نزع قدسية " ثمَّ من استعمالها مرة ثانية استعمالاً دنيوياً. وعلى المرأة التي وضعت أن " تتطهر "، فعلننا هنا أيضاً أمام رتبة " نزع قدسية ": بما أنها بالولادة قد اتصلت بالله مصدر الحياة، فعليها أن تخضع لرتبة لتتمكَّن أن تعيش ثانية في الوجود الدنيوي.

إن مسألة الطاهر والنجس هذه مسألة مُعقَّدة وموضوع نقاش بين أهل الاختصاص. تبسيطها يودى إلى تشويهاها. إليك على الأقل بعض النقاط:

- كثيراً ما يخلو مفهوم الطاهر والنجس من الطابع الأخلاقي، ويقاربان بالأحرى مفهوم المُحرَّم أو المُقدَّس.
- ومع ذلك ففي بعض الأحيان يُضقَّى على هاتين الكلمتين معنى أخلاقي.
- عدم التمييز بين معنئِي الكلمتين هو الذى أدى جزئياً، ولا شك، إلى الحط من قيمة الأمور الجنسية. فحيثما كان الكتاب المقدس يتكلم على النجاسة بمعنى " المقدس "، فهمنا هذا الدنس بالمعنى " الأخلاقي ".

(70)

التاريخ الكهنوتي

بعد أن جلى الشعب، فقد جميع مقوماته كشعب، وأمسى مُهدَّداً بالانصهار والزوال، كما كان شأن إسرائيل الشمال الذى جلى إلى آشور قبل ذلك بقرن ونصف. من الذى يمكنه من الصمود فى المحنة؟ هم بعض الأنبياء كالكاهن حزقيال وأشعيا الثانى، ولا سيما الكهنة كان الكهنة يشكِّلون فى أورشليم فريقاً قوياً منظمّاً راسخ التقوى. سيكُونون هم سَنَد إيمان المَجَلُوبين وسينجحون فى تكييف الدين على الوضع المتأزم ويؤمنون له مصيراً جديداً.

سيكتشفون صيغاً جديدة للممارسة أو يُضفون عليها قيمة جديدة. وستعطى الأولوية للسبت لتقديس الوقت وللختان للدلالة على انتماء

الشعب (راجع الصفحة 64) وستحلّ المجمع، حيث يصلون ويتأملون في كلمة الله، محلّ الذبائح: ومن هنا نشأ ما سُمّي في وقت لاحق العبادة المجمعية.

التاريخ الكهنوتيّ

يُدلّ عليه بالحرف (ك)، سينشأ في هذا الإطار. كانوا يُعيدون قراءة التاريخ الماضي ليكتشفوا جواباً على مسائل مُقلقة: لماذا صمّت الله هذا؟ كيف الإيمان بالله في هذا العالم البابلّي الذي يُكرم الإله مردوك كخالق؟ ما هو محلّ سائر الأديان في التدبير الإلهي؟ فهذا التقليد يدعونا إلى مواصلة تفكيره وإلى البحث كيف علينا اليوم، في وضع جديد، أن نعيش إيماننا ونُجيب عن أسئلة العالم. الوعد الإلهي لا يزال قائماً فلا بدّ من العمل على تحقيقه.

بعض مميّزات الكهنوتيّ

- الإنشاء: ناشف. فالكهنوتيّ ليس برواية. إنه يحب الأرقام والاحصاءات. وكثيراً ما يُكرّر الأمور نفسها: " قال الله ... صنع الله ...". مثلاً: عبور البحر (راجع الصفحة 26) وخلق العالم (تك 1) وبناء المقدس (خر 25-31 و 25-40).
- المفردات: فنيّة وطقسيّة في أغلب الأحيان.
- الأنساب كثيرة، وهي مهمّة في نظر شعب مجلّو ومغترب، فاتها توصله في تاريخ وترتبط هذا التاريخ بتاريخ خلق العالم (تك 4/2 و 1/5 وعدد 1/3...).
- العبادة أساسية، نظّمها موسى وسيهتّم هارون وخلفاؤه بتأمينها عن طريق الحج والأعياد والذبائح وخدمة الهيكل وهو المكان المقدس الذي يحضر الله فيه. والكهنوت هو المؤسسة الجوهرية التي تؤمّن حياة الشعب. يحلّ الكهنوت محلّ الملك والنبى اللذين نجدهما عند اليهود والإيلوهي.
- الشرائع ترد عادة في داخل الروايات. فهي ترتبط هكذا بأحداث تاريخية تعطيها معناها. مثلاً: شريعة الخسوبة (تك 1/9) في رواية الطوفان، وشريعة الفصح (خر 1/12 ت) المرتبطة بالضربة العاشرة...

فالنصوص الكهنوتية أكثر النصوص ظهوراً في التوراة، بسبب جميع هذه العلامات المميّزة.

+ نصّ أساسيّ (تك 28/1)

وَبَارَكْهُمْ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: " ائْمُوا وَاتَّقُوا وَأَمْلُوا الأَرْضَ وَأَخْضِعُوهَا
وَتَسَلَّطُوا عَلَى أَسْمَاكِ البَحْرِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَكُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ
".

هذه بركة مُدهشة تُعبّر عن إيمان الكهنة المجلّون. والأفعال
الخمسة تناقض تماماً وضعهم الحالي. إنها تُعبّر عن إرادة الإله
الخالق، وستتم هذه الإرادة يوماً ما وتضع حداً للشرّ والجلاء.

يُمكنك أن ترى كيف أن هذه البركة تُلازم سفر التكوين، مُضفية
على الأحداث المروية طابعاً جديداً: تك 17/8 و 1/9 — 7 (الطوفان) و
20/17 (إبراهيم) و 1/28 — 4 و 11/35 (يعقوب) و 27/47 (يوسف).
وفي خر 7/1 لن تُعدّ مُجرّد وعد، بل أصبحت حقيقة تستمرّ طوال
التاريخ.

(71)

نظرة خاطفة إلى التاريخ الكهنوتيّ

على مثال التقليد اليهودي، يمتدّ التاريخ الكهنوتيّ من خلق العالم إلى
وفاة موسى (تك 7/24). سندرس في الصفحة التالية رواية خلق العالم.
أما الآن فسنقرأ بعض النصوص.

العهد مع نوح والطوفان (تك 6 - 9)

يُختلط التقليد اليهودي والكهنوتيّ في رواية الطوفان الحالية.
وكلاهما يتبعان عن كثب رواية الطوفان الأسطورية التي ترويها
ملحمة جلجامش. يشدّد الكهنوتيّ على بناء تابوت العهد الذي شيّد
من ثلاثة طوابق كما في هيكل سليمان. ففي المقدس يجد الإنسان
الخلاص (16/6).

تنتهي هذه الرواية بالعهد مع نوح وذريّته ومع الأرض كلها (8/9 —
17): فإله إسرائيل هو هكذا إله الجميع وعهده يعنى جميع الناس.
فجميع الأمم تحتلّ مكاناً في التدبير الإلهيّ.

ولكن هل لإسرائيل مكان خاصّ؟.

العهد مع إبراهيم (تك 17)

ترتبط شريعة الختان برواية هي عبارة عن أربع خُطب لله. حاول
أن ترى كيف يتقدّم الفكر من خطبة إلى خطبة. ماذا يطلب الله من
إبراهيم؟ يطلب منه أن يسير في حضرته (تذكّر سفر الأحبار) وأن
يكون كاملاً وبلا عيب ولا نقص كالتقدمة المُعدّة للذبيحة (خر 5/12

وأح 3/1). ويُصبح الختان علامة الشعب المميّزة (قارن بين هذا النصّ وتك 15 في الصفحة 60).

شعر إسرائيل، وهو في الجلاء، بأنه خطئ وفسخ العهد الثنائيّ الذي قُطِع في جبل سيناء. وبحكم ما ورد في هذا العهد، فمن الطبيعيّ أن يكون الله قد خذله... والمؤلفون، كما سنرى، يتوقفون قليلاً على ما جرى في جبل سيناء فيرقون إلى العهد مع إبراهيم. والمقصود هنا هو وعد لم يلتزم به إلا الله. فأياً كانت خطايا إسرائيل، يمكنه (ويمكننا بعده) أن يلجأ إلى ذلك الوعد.

يهتمّ هذا التقليد بقطعة الأرض التي اشترها إبراهيم في حبرون ليدفن سارة (تك 23). وهذا أمر هامّ في نظر أناس مجلّون، ذلك بأنّ جدّهم سبق أن اشترى قطعة أرض وأنه دُفن فيها (9/25). فلهمّ حقوق في تلك الأرض!

الخروج

يُشدّد أولئك المجلّون على قساوة العبوديّة في مصر (خر 13/1—14 و 23/2—24) وعلى وعد الله لإبراهيم (خر 6: دعوة موسى). ويذكّر هؤلاء الكهنة بطريقة الاحتفال بهذا التحرير: فالعبادة تجعل عمل الربّ المحرّر حاضراً لكلّ جيل (خر 1/12—20). ويصبح عبور البحر عملاً من أعمال قدرة الله الخالق (راجع الصفحة 26)، وفي إمكان الله أن يُجدّده في سبيل شعبه المجلّون. وترتبط شريعة السبت بعطيّة المنّ (خر 16)، فلا خوف على الشعب إن وقف عن العمل في ذلك اليوم، لأنّ الله لن يدعه يموت جوعاً!

العهد في جبل سيناء

كان هذا العهد أهمّ من أن يُهمله المجلّون. ولكنهم حولوا معناه. فليس هناك بت عهد (كما الأمر هو عند اليهوى والإيلوهي: خر 24). بل يكتفى الله ويبيشر بأنه سيجعل من إسرائيل مملكة كهنة وأمة مقدّسة (خر 5/19—6). لا يحكم في إسرائيل ملوك كما في سائر الأمم، بل كهنة.

ولا يعطي الله شعبه شريعة، بل أوامر لبناء مقدّس (خر 25—27) وإقامة كهنة (خر 28—29) والعبادة. والشريعة الوحيدة هي شريعة السبت (خر 12/31-17).

وأمام فشل عهد سيناء، كانوا يلتفتون إلى وعد الله لإبراهيم. والمؤسسة الموكل إليها بتذكير الشعب بخطيئته وغفران الله هي الكهنوت.

حضور الله المقدّس (خر 10/25-22 و 34/40-38)

فى هذه الفصول الإجمالية خر 25—31 و 35—40، لا بد من قراءة أولها وآخرها على الأقل. " وَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِسًا فَأَسْكُنُ فِيهَا بَيْنَهُمْ " (8/25). فالنص يرگزنا على " الكفارة " (صفيحة ذهب تُغطى تابوت العهد) وعلى ذلك المكان الفارغ بين الكفارة والكرويين: هناك يحضر الله لشعبه، وعلى هذه الكفارة يرشّ عظيم الكهنة الدم مرة فى السنة فينال غفران الله (أح 16).

ولكى يُعبّر بولس عن كون المسيح حضوراً حقيقياً لله وأنّ دمه يمنحنا الغفران، سيكتب: " جَعَلَهُ اللهُ كَفَّارَةً فِى دَمِهِ ... " (روم 25/3).

(72)

◀ رواية خلق العالم (تك 1/1 - 4/2).

يُمكنك، لدرس هذا النصّ المعروف، أن تستعين بعلبة أدوات العمل الوارد ذكرها فى الصفحة 14.

ستجد فى هاتين الصفحتين بعض المبادئ للإجابة عن الأسئلة مرتّبة بحسب ترتيب الأسئلة. فلا تقرّها الآن إن حاولت الإجابة عن جميع أسئلة الصفحة 14. لن تحتاج إلى قراءتها وتكون قد وجدت كل شئ بنفسك.

خذ إذا علبة أدوات العمل هذه وكتابك المقدّس.

بعد الفراغ من الدرس، يُمكنك، إن شئت، أن تقرأ ما يلى، من الكلمات والعبارات المتكرّرة:

- الله يقول: عشر مرّات. تذكّر هذه الكلمات العشر بالوصايا العشر. فالله يخلق العالم كما خلق شعبه فى سيناء.
- الله يفعل (أفعال مختلفة). وهذا التعارض بين الخلق بال كلام والخلق بالعمل قد يدلّ على رواية سابقة مزدوجة أو على الإنشاء الذى يتّسم به الكهنوتى عادةً.
- " كان مساء... ". خلق العالم مُوزّع على ستة أيام للوصول إلى السبت. فنحن إذا أمام تنظيم طقسى (لا علمى) لتركيز أهميّة السبت.

زمن تأليف هذا النصّ: نحن فى زمن الجلاء، وكثيراً ما ننسى هذا الأمر، مع أنّه يُساهم فى إعطاء النصّ معناه التام كفعل إيمان. يبدو لأوّل وهلة نوعاً من الشعر ومن الانفلات من الواقع: " العالم كلّهُ جميل... ". والحال أنّ المؤلف يكتب فى الجلاء، فى عالم مُحطّم. فهو يؤكّد، وراء الاحتقار والشرّ والألم، إيمانه بالله يريد عالماً جميلاً عادلاً.

هناك عبارات أو حقائق كان لها معنى خاص في ذلك الزمن.

سبق أن رأينا ما أهمّ السبب في نظر المجلّدين والتشديد على أن الله نفسه حفظه يُضفى عليه طابعاً مقدّساً.

لا تُذكر الشمس والقمر، بل " النيران ". هذه الكلمة من مصطلحات العبادة عند الكهنة، وهي تدلّ على السراجين المضائين في الهيكل (خر 6/25 و 20/27 ...) فليست الشمس والقمر الهين كما الحال هو في بابل، بلّ هما علامتان تدلان على حضور (كشمعة القربان المقدّس عند الكاثوليك) وعلى أوقات الأعياد. فإذا كان هيكل أورشليم قد دُمّر، فالكون كله هيكل الله!

من المفيد أن نقارن بين هذا النصّ والروايات الأسطورية البابلية.

فالله في هذا النصّ لا يخلق من لا شيء، بل يخلق بفصل الأشياء بعضها من بعض. ويتناول الكاتب الأسطورة القديمة التي كانت معروفة في بابل وفي مصر: أعد قراءة نصوص الصفحة 19. تُذكر الكلمة العبرية " تيهوم " بالكلمة البابلية " تيامات ". إلا أنه لا أثر هنا لصراع، فالله الإله الأوحد.

يُمكننا المقارنة بين هذا النصّ ونصوص كتابية أخرى، ولكننا نكتفي بنصين.

1— خلق العالم في التقليدين الكهنوتيّ (تك 1) واليهويّ (تك 2)

- يختلف " العلم " الكامن في هاتين الروايتين. فالأرض تظهر في تك 2 بمظهر واحة في وسط الصحراء. وأمّا هنا، فهي جزيرة في وسط المياه. والله يجري عدّة عمليات فصل فيظهر اليبس ليُجعل الإنسان فيه.
- في تك 2، يُخلق الرجل أولاً ليُفلق الأرض، ثمّ تأتي المرأة. أمّا هنا، فالإنسان (الرجل والمرأة) يُخلق في آخر الأمر. وهذه طريقة أخرى في إظهار كرامة الإنسان. ففي موكب طقسىّ يمشى الأوّل رتبة آخر الكلّ. والمخلوق هو الإنسان، ثمّ يُضاف أنه ذكر وأنثى.

2- خلق العلم وعبور البحر (خر 14)

لقد لاحظنا، في درس خر 14 (الصفحة 26)، وجود الشبه بين هذين النصين: فالله يتكلم ويعمل (مباشرة أو بواسطة موسى). ويفصل بين المياه لكي يظهر اليبس. فالكاتب يظهر التحرير كعمل من أعمال قدرة الله الخالق ويُظهر خلق العالم كعمل من أعمال الله المُحرّر الذي يريد

أن يكون جميع الشعوب والبشرية كلها حرة، لا شعب واحد فقط هو إسرائيل.

(73)

لنُعَدُّ، بطريقة أكثر تلخيصاً، إلى بعض وجوه هذه النصوص.

قصيدة طقسية

يجب ألا نبحث هنا عن تعليم تاريخي أو علمي، فنحن أمام قصيدة تُعبّر عن إيمان كهنة بالهيم إيماناً مُدهشاً. فالعالم يُخلق في ستة أيام لتبرير شريعة السبت. ولهذا السبت معنيان: إنه زمن يحفظ فيه الله السبت، أي ينقطع عن العمل. وبذلك يكون اليوم السابع زمن التاريخ البشري، ذلك الزمن الذي يُعطى للإنسان لكي يعمل ويواصل خلق العالم. بعد ذلك يأتي " اليوم الثامن "، يوم الختام. لكننا نحتفل بهذا السبت بالانقطاع عن العمل، لنقدس ونُهدى الله عملنا الإنساني.

من الإله المُحرّر إلى الإله الخالق

إنّ الإله الذي اكتشفه إسرائيل أولاً هو الإله الذي حرّره من عبودية مصر وهو إله يعمل في التاريخ. وإلى هذا الإله يلتفت مجلّو بابل مرّة ثانية راجين تحريراً جديداً. ولكن هذا الإله قادر على العمل في التاريخ لأنه خلق التاريخ، وهذا ما عبّر عنه أشعيا بقوة.

الإنسان على صورة الله

بأي شيء يكون الإنسان صورة الله؟ يُشدّد النصّ على وجهين: خُلق الإنسان خالقاً. فالإنسان، بتسلّطه على العالم ويعلمه، يُظهر سلطان الله. فهو مُكَلَّف إذا بتنظيم الكون وجعله صالحاً للسكن. إنّه مسنول عنه.

الإنسان صورة حب. لا يمكن أن تكون صورة الله المحبّة فرداً متوحّداً، بل هما زوجان، رجل وامرأة، يحبّ الواحد الآخر ويُثمر حبّهما حياة. علينا أن ننتظر الوحي الذي أتى به يسوع لنكتشف كل ما توحىه هذه الصورة من سرّ الله. ولكنّ الزوجين إنّما سرّ ذلك الإله الثالوث.

إله لا اسم له...

من سمّي أحداً كان له عليه شيء من السلطان، ومن أطلق اسماً أعطى شيئاً من نفسه. ولذلك فليس لله اسم علم (راجع تك 23/32 — 33: يرفض الله الإدلاء باسمه).

• إيبل ، إيلوهيم. الطريقة الأولى في تسميته هي استعمال اسم

الجنس " إيل " (إله). منذ الألف الثالث كان ساميون يسمون إلههم الرئيسي: الإله. والمسلمون قد حافظوا على هذا الاستعمال، فكلمة " الله " مشتقة من " الإله ". فكان اليهود يقولون: إيل إبراهيم وإسحق... وفي ذلك تعليم أول، هو أن الله هو الذى لا يُعرف. ولا يستطيع الإنسان أن يكتشف شيئاً منه إلا من خلال ما هو فى الذين يعبدونه. فهو إله إبراهيم وهذا وتلك... وأما صيغة الجمع " إيلوهيم " فهي تدلّ على الجلال الإلهي.

• يهوه: يبدو أن الله يدلى باسمه لموسى (راجع الصفحة 53). فى الواقع، ليس هو اسماً بقدر ما هو دليل حضور، مع العلم بأننا لا نعرف كيف نلفظ هذه الكلمة. ذلك بأن اليهود كانوا يمتنعون عن لفظ اسم الله احتراماً له. فكانوا يكتبون أحرفه الأربعة، ويقرأون: " أدوناي "، أى الرب. فوضع المسوريون (راجع الصفحة 7) حركات " أدوناي " على أحرف " يهوه " فأصبحت " يهوه ".

وأما الترجمة السبعينية (الكتاب المقدس اليوناني) فقد تُرجمت الأحرف الأربعة بـ " كيربوس "، الرب. وهكذا فعل المسيحيون الأوّلون، وهكذا يجدر بنا أن نعمل مراعاة لشعور اليهود.

(74)

6 - إسرائيل تحت سيطرة الفرس

(333 - 385)

538: صدر منشور قورش بإذن لليهود فى العودة إلى أرض الأجداد وفى إعادة بناء الهيكل (راجع هذا المنشور فى عز 2/1 - 4). يتفق هذا المنشور مع روح التسامح عند قورش، ولكنه يتفق أيضاً مع مشروعه السياسي، إذ لا بدّ لأورشليم، وهى حصن الامبراطورية الأخير تجاه مصر، أن تكون مخصصة.

بقى اليهود مدة قرنين جزءاً من الامبراطورية الفارسية، وكان ملوكها ذوى إقدام، بينما كان نجم الدولة اليونانية يطلع فى الأفق. إليك بعض النقاط لهذا التاريخ المضطرب.

الامبراطورية الفارسية

بعد الاستيلاء على بابل، واصل قورش فتوحاته نحو الشرق، ومات هناك فى السنة 530. واستولى ابنه كمبيز على مصر، ولكنه فشل فى الحبش.

كان مُلك داريوس طويلاً (522—486) فتسنى له أن يُنظّم امبراطوريته الواسعة. قسّمها إلى عشرين إقليمًا وجعل على رأس كلٍ منها واليًا ومستشارًا وقائدًا. فُرِضت على الأقاليم ضرائب باهظة. وأنشأ شبكة طرق ممتازة، منها " الطريق المَلَكِيّ " الذى يربط سوس بأفسس على البحر المتوسط. واستولى على طراقيا ومقدونية فى شمال اليونان، ولكنه فشل فى مراتون (490).

وانهزم أحشورش الأول أمام الإغريق فى سلامين (480) ووجب أولًا على ارتخششتا (464—424) أن يُقرّ السلام فى مصر بعد تمردها. وأرسل نحميا اليهودى، وهو موظف ملكى فى بلاط الملك الفارسى، إلى أورشليم. وأصبح اليهود محافظة مستقلة، بعد أن كانوا خاضعين للسامرة.

وعرفت اليونان فى ذلك الزمان عصرها الذهبى، " عصر بيريكلس " فى الفنّ (البارثينون) والأدب (سوفوكليس و أوريبيدس) والفلسفة (سقراط وأفلاطون).

وجَب على داريوس الثانى (424—404) أن يُحارب فى مصر. وكان فى أليفانتين، بالقرب من سدّ أسوان الحالى، جالية العسكريين اليهود لها هيكل باسم الإله ياهو. من مراسلتها لسلطات أورشليم والبلاط الفارسى نعرف شيئًا عن ديانتها.

لَمَّا مَلَكَ ارتخششتا الثانى (404—359)، استعادت مصر استقلالها، فاستعادت أورشليم مركزها كحصن مُتقدّم. وفى السنة 398، أرسل الملك إليها عزرا. فحاول عزرا أن يُعيد السلام بين اليهود والسامريين، مع العلم بأنهم سيتمتعون بأحوال شخصية خاصة فى الامبراطورية، ذلك بأنّه يُفرض عليهم أن يخضعوا " لشريعة إله السماء " (عز 21/7)، بقيادة عظيم الكهنة. إلا أن تلك الوحدة بين اليهود والسامريين لن تدوم أكثر من عشرين سنة.

وجب على ملوك الفُرس الأخيرين أن يقاوموا عصيان بعض الأقاليم، قبل أن تذهب بهم دولة جديدة، دولة مقدونية. وفى السنة 338، نجح فيليب المقدونى فى إعادة الوحدة الإغريقية لصالحه. وفى السنة 336 ابتداء عصر تاريخى جديد، بعد أن تسلّم ابنه الاسكندر زمام السلطة.

العودة من الجلاء

وضع قورش حدًا لخمسين سنة من الجلاء فى بابل. يبلغ عدد اليهود الذين عادوا إلى أرضهم، على مرحلتين رئيسيتين، خمسين ألفًا.

ففى السنة 538، رحلت قافلة أولى بقيادة شيشبصر، وكان فيها كثير من الكهنة وقليل من اللاويين وكثير من "المُعطين" من عبيد وخدم الهيكل (عز 2/43). أما الذين كانوا أقل تمسكًا بالدين وتحسنت أوضاعهم المادية فى بابل، فقد فضلوا البقاء هناك.

(75)

كان الاستقرار ثائية فى يهوذا من الأمور العسيرة. فقد كانت أرض يهوذا تخضع للسامريين (راجع الصفحة 45). وكان السامريون ينظرون شزراً إلى أولئك الملوك السابقين الذين يطالبون بأرض أقاموا هم فيها. أراد السامريون أن يساهموا فى إعادة بناء الهيكل، لكن اليهود رفضوا لأن دينهم غير ظاهر. وبالعكس، فقد قاوم السامريون مشروع إعادة بناء أسوار أورشليم. كل هذه المصاعب، ويضاف إليها الجفاف وقلة المال، حالت دون مواصلة أعمال بناء الهيكل. فى مدة هذه السنوات، ولا شك، وعظ تلميذ من تلاميذ أشعيا، يسمى أشعيا الثالث.

وفى السنة 520، وعلى عهد داريوس، قدمت من بابل قافلة جديدة، بقيادة الأمير زربابل وعظيم الكهنة يشوع. وتحت إشرافهما وبتأييد من حجاج زكريا النبيين، وأخيراً إعادة بناء الهيكل فى 515.

515: عصر الهيكل الثانى

بعد خمس سنوات من بزل اليهود، تمّ بناء الهيكل ثانية. ولكن الأقدمين، الذين عرفوا ما كان عليه هيكل سليمان من بهاء، ولم يتمكنوا من إمساك دموعهم، لرؤيتهم ذلك الهيكل الهزيل (عز 3/10-13 وحج 3/2). على كل، لا بأس فى ذلك، بما أن الهيكل أصبح حقيقة. وقد أضاف عليه هيروُدس وجملته من السنة 19 ق. م. إلى السنة 64 ب. م.، قبل أن يدمره الرومانيون فى السنة 70.

احفظ العبارة " الهيكل الثانى ". إنها تدلّ على مبنى أقلّ مما تدلّ على حقبة من الزمن، على الحقبة التى تمّ من العودة من الجلاء إلى السنة 70 من عصرنا. هذا هو زمن اليهودية، أو زمن الدين اليهودى.

إنّ البعثتين اللتين قام بهما نحميا (فى 445 ثمّ فى 432) ستمكّنان من إعادة بناء أسوار أورشليم وتوذيان إلى الاستقلال عن السامرة. فى ذلك الزمن قام ملاخى يسعى لإنعاش إيمان الشعب.

وفى السنة 389 (بقدر ما يمكننا أن نتحقق من هذا التاريخ)، عهد الملك ارتخششتا إلى عزرا بإعادة تنظيم المنطقة. كان رجلاً ذا حزم فأعاد إلى الإيمان طهارته وأمر بفسخ الزوجات المقرونة مع غير اليهود، وفرض " شريعة إله السماء " كشرعية الدولة. لا شك أن هذه

الشريعة هي التوراة الحالية التي حرّرها عزرا انطلاقاً من مختلف التقاليد.

وتعدّ التأديبة المهيبة للعبادة الموصوفة في نح 8—10 من أهمّ ساعات تاريخ إسرائيل، فهي بمثابة ميلاد رسمي لليهودية. فالاجتماع لا يُعقد في الهيكل، بل في الساحة، وليس هو عبارة عن ذبائح دموية، بل عن قراءة الشريعة والصلاة. هكذا نشأت العبادة الجمعية.

وجوه هامة

هناك تفاصيل كثيرة عن تاريخ إسرائيل لا تزال غامضة في نظرنا. ولكننا نذكر على الأقلّ بعض النقاط العامة.

سلطة الكهنة

أنّ الكهنة هم الذين قاموا بتنظيم الشعب، وسيصبحون الرؤساء الدينيين والسياسيين الحقيقيين

اليهود في العالم " الشتات ":

بقي في بابل كثير من اليهود وشكّلوا فيها جماعة حية. وعلم بوجود جماعة في أليفانتين في مصر. وستظهر بعد قليل أهمية جماعة الاسكندرية في مصر أيضاً... فنحن أمام تشتت اليهودية: أجل، بقي المركز في أورشليم، ولكن مراكز أخرى هامة نشأت في أنحاء العلم.

لغة مشتركة: الآرامية

لم تزل اللغة الآرامية في ذلك الزمن، وهي لغة قريبة من العبرية، اللغة الدولية المستعملة في الإمبراطورية الفارسية للتجارة والسياسة (كما الأمر هو في أيامنا بالنسبة إلى الإنكليزية). وقد احتلت شيئاً فشيئاً في اليهودية محلّ العبرية، فلم تعدّ العبرية إلا لغة طقسية. وفي أيام المسيح، كان الشعب يتكلم الآرامية ولا يفهم العبرية. وستساهم هذه اللغة هي والشتات في انفتاح اليهود على الشمولية.

النشاط الأدبي

من الأنبياء الذين وعظوا في هذا الزمن: حجّاي وزكريّا وملاخي وعوبديا ولاسيما أشعيا الثالث.

لكنّ هذه الحقبة تأثرت خاصة بنفوذ الكتبة والحكماء.

قام بعض الكتبة كعزرا وجدّدوا قراءة الكتب المقدسة وجمعوها (التوراة) وأكملوها (الأخبار وعزرا ونحميا).

وجمع الحكماء الأفكار السابقة وأخذوا يؤلّفون أعمالاً هامة كأسفار

راعوث ويونان والأمثال وأيوب.

وشرع في جمع المزامير في مجموعات لن تلبث أن تُصبح كتاباً.

(76)

أنبياء العودة

حجّاي

في السنة 520، وجّه حجّاي إلى العائدين من الجلاء رسالة وجيزة ولكنها لأذعة: ها قد مضى عشرون سنة على عودتكم. لقد أعدتم بناء بيوتكم. وها أن بيت الله لا يزال خراباً!". لا بدّ من الجواب عن هذا السؤال: " أيريد إسرائيل أن يُعيد بناء حياته القومية مع الله أم بدونه؟" لا يزال هذا السؤال صالحاً لأيامنا!

زكريّا الأوّل (زك 1-8)

إنّ الفصول الأربعة عشر التي تكوّن الكتاب الحالي هي مجموعة لمواعظ نبّيين، وسنقرأ رسالة النبي الثاني في الفصل التالي.

يؤيّد زكريّا الأوّل وعظ حجّاي، ولكنه يفعل ذلك في لغته الخاصة وهي لغة الرؤى (راجع الصفحة 89).

ملاخي

يوم وعظ ملاخي، كان بناء الهيكل قد تمّ، فعادت فعادت العبادة والذبائح.... ومعها العادات السيئة السائدة قبل الجلاء: أخذوا يقومون برتب، ولكن كيفما كان، وكانوا في الوقت نفسه غير عادلين وغير أمناء....

كان ردّ فعل ملاخي شديداً فكان تأثيره عميقاً حتى في العهد الجديد.

يظهر كتابه بمظهر حوار بين الله وشعبه وكأنه تمهيد للحوار الأخير الذي نجده في الإنجيل: " كنت جائعاً متى، يارب، رأيناك جائعاً؟... ". يقول الله: أنى أحببكم. وأنتم: بماذا تُحببنا؟... " " " وتقولون...": تُكرّر هذه اللازمة ثماني مرّات ضد شعب يحب النقاش! ثماني مرّات للكشف عن الخطيئة المكبوتة بعناية، خطيئة الذين يقربون لله فضلاتهم (6/1 ت)، خطيئة الكهنة الذين كفّوا عن الوعظ بكلمة الله (1/2 ت)، خطيئة الذين يطلقون نساءهم (10/2 ت: تأمل رانع في الزواج)، خطيئة الذين لم يعودوا يُحسنون التمييز بين الخير والشر (17/2 ت) ...

ويُعلن الله في الخاتمة أنه سيُرسل إلى الأرض إيليا النبيّ قبل يوم الدينونة. سيساهم هذا النصّ في رفع شأن إيليا في اليهودية، وسيُصرّح يسوع بأن يوحنا المعمدان قد قام بهذا الدور (متى 9/17 ت).

يونيل

لا يُعرف متى وعظ هذا النبيّ " المهتمّ بالبيئة ". فالتلوّث الذي كان يسود البلاد ظهر له كعلامة لمجئ " يوم الربّ "، ذلك اليوم الذي يُجرّد الله فيه الإنسان من خطيئته. لكنّ الله سيجعل " روحه " في ذلك الإنسان المجرّد. سيستشهد بطرس بيونيل يوم العنصرة (رسل 2).

كلمة الله

قد يتعجّب بعض الناس عند قراءة الكتاب المقدّس، ذلك بأنهم، بدلاً من أن يجدوا فيه " كلمة الله"، يبدو لهم، أنّ معظمه " كلام بشريّ". هذا يدلّ على أنّهم يتصوّر أنّ كلمة الله كشيء سحريّ، كشيء يهبط من السماء، بينما نعرف أنّ الله يكشف عن نفسه في تاريخ، من خلال أحداث حياة الناس: فعلياً أنّ نستكشف كلمة الله في هذه الأحداث.

والمسيحيّ أيضاً يشعر بذلك التعجّب أمام يسوع. إنّهُ يرى فيه ابن الله والكلمة. والحال أنّ معتصرتى يسوع رأوا فيه إنساناً مثّهم. فالقدّيس يوحنا لم يكتب: " رأينا الكلمة"، بل " ذاك الذي رأيناه وسمعناه من الكلمة " (1 يو 1/1)، أي أنّنا، من خلال ما رأيناه (من الحركات البشرية والأقوال المشابهة لأقوالنا)، لمَحْنَا الكلمة، مستنيرين بالإيمان والروح.

إنّ الله لن يسير على طريقة مختلفة في العهد القديم. كان اليهود يعيشون أحداثاً عادية، لكنّ المؤمنين منهم وأولهم الأنبياء كانوا يقرأون فيها كلمة من عند الله، كما أنّنا نحسن قراءة كلمة في بعض الحركات، فنقول: " هذا الحدث بليغ" و " هذه البسمة شديدة التعبير".

لكننا قد نغلط.. هل نحن على يقين من أنّ الأنبياء وسائر المؤمنين لم يغلطوا؟ هنا تقوم أهميّة الإيمان بالروح القدس الذي يُنير المؤمن. قال يسوع " إنّ الروح يرشدكم إلى الحقّ كلّهُ " (يو 13/16). فقد يكون انتظار " كلمة من الله تهبط من السماء" مجرد رفض للإيمان بالروح وللعيش في الإيمان: ففي مثل هذه " الكلمة " يكون الله في متناولنا، بينما هو يكشف لنا عن نفسه بتواضع وعبر الظواهر البشرية.

أشعيا الثالث (أش 56 - 66) .

إنّ المواعيد بالخروج الثانی التي وعد بها أشعيا الثانی أثارت حمیة بعض اليهود المجلّون، فعادوا إلى بلادهم. إلا أنّ تلك الحمیة ما لبثت أن سقطت أمام الواقع المرّ. فاضطّروا إلى الاكتفاء بعيش. ولكن كيف يُعاد بناء أمة لم تُعدّ تؤمن بمصيرها؟ فقام أحد تلاميذ أشعيا يحاول أن يُعيد إليها إيمانها برسالتها.

كانت مهمّته شاقّة، لأنّ السامعين كانوا منقسمين، فهناك العائدون من بابل، واليهود الذين بقوا في البلاد، والأجانب الذين نزلوا فيها أثناء ذلك، واليهود المُشتتين. فكان الشقاق والبُغض واحتقار الأجنبيّ والميل إلى عبادة الأوثان ينال من رجاء المؤمنين. وكان النبيّ يحاول أن يُشيع حمیته في نفوس الجميع.

يظهر الكتاب الحالي بمظهر مُنحى تتناسب فيه النصوص اثنان اثنان حول الرأس وهو الفصل 61. قبل أن ندرس هذا الفصل، علينا أن نلقى نظرة إلى الكلّ.

- 1/65 — 8: يحلّ للأجانب أن ينتموا إلى شعب الله، لأنّ " بيت صلته لجميع الناس " (17/66 — 24). فإنّ الله سيجمع جميع الشعوب لخلق جديد.

- 9/65 — 21/57: يبكي النبيّ على الذين يظنّون أنّهم ينتمون انتماءً تلقائياً إلى شعب الله (1/66 — 16). ويرينا على سبيل التباين، أنّ الله يولى بنت صهيون القدرة على ولادة الشعب الجديد (راجع الصفحة 61).

- 58: تقوم الممارسة الدينيّة الصحيحة، ويقوم الصوم الصحيح الذي يرضى الله على مقاسمة الخبز والقضاء على اللا عدالة وتحريير المظلومين... (65). تطويبات للذين ينفقون إلى محبة الله، ولعنات للذين يرفضونها.

- 1/95 — 15: أعطى اتهام النبيّ ثمره، فأخذ الشعب يعترف بخطاياهم (7/63 — 11/64). وهناك مزموّر تضرّع جميل سبق ال " أبانا "، يناشد فيه حنان الله لكي يمزق السموات ويأتي. ثمّ هذا الأمر، في نظر مرقس، عند اعتماد يسوع (مر 10/1).

- 15/95 — 20 و 1/63 — 6: لا يُسخر من الله، فإنّه كقطف العنب يسحق أعداءه... سيطبّق سفر الرؤيا (13/19) هذا النصّ المأسئوي على المسيح: فالدمّ الذي يسيل هو، في آخر الأمر، الدمّ المسفوك عن خطايانا.

◀ درس أحد نصوص: أشعيا 60-63

أشعيا 61 ذروة الكتاب، ولكنه جزء لا يتجزأ من الفصول المتناسبين 60 و 62. فلا بدّ من درس الفصول الثلاثة في وقت واحد.

" إفرح يا بنت صهيون " (أش 60 و 62).
اقرأ هذين الفصلين محاولاً أن ترى كيف يُصوّر الممثلين:

- الله: أى وجه من وجوهه يُصوّر لنا؟ لاحظ الصور التى تُعبّر عن مشاعره.
- بنت صهيون: على من تدلّ؟ لاحظ الصور التى تُعبّر عن تغيير موقفها.
- البنون: من هم؟ إلى أين يأتون؟ ما الذى يجذبهم؟.

أمامنا صورة رائعة لشعب الله (والآن للكنيسة): كما أنّ الكنيسة الأسقفية، إذا غطاها رشاش نار المناوير، تُشرق على المدينة الغائصة فى الظلال، فتهدى الذين يسرون فى الظلام، كذلك الشعب هو علامة نيّرة ترتفع فى العالم للدلالة على الاتجاه. لكنّ النور لا يأتى من الشعب، بل من الله الموجود فيه.

" روح الربّ على... " (أش 61)

ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام:

- 1/61—4: يعرفّ النبى عن نفسه. كيف تمّت دعوته؟ ما هى رسالته: إلى من أرسل ولحمل آية رسالة (أو بشرى)؟ لاحظ الصور التى تُعبّر عن التحوّل.
- 5/61—9: يتحدّث النبى إلى سامعيه. يتكلم والربّ يتكلم عن المستقبل على لسانه. ما هو الموعد به؟ أياً يكون دور الشعب؟.
- 10/61—11: يُعبّر النبى أو الشعب (أو كلاهما) عن حميته. ما هى أسباب هذه الحمية ومصدرها؟.

عُدّ الآن إلى مُجمل أش 60—62، ما هى تلك البشرى التى من شأنها أن تُحمّس أولئك العاندين إلى بلادهم خانرى العزائم؟. اقرأ لوقا 16/4—21. كيف يُعبّر أش 61، فى نظر لوقا، عن رسالة يسوع؟ وكيف يمكّننا من إدراك معنى معجزات يسوع والتطويبات؟.

(78)

الشرعية أو التوراة

حين وصل عزرا إلى أورشليم فى السنة 398 (؟)، كانت مهمته إعادة تنظيم الجماعة وتسوية الخلاف مع السامريين.

الشرعية

فرض عزرا على الجميع " شرعية إله السماء " (عز 21/7) كشرعية الدولة. يُجمع النقاد على القول بأنّ المقصود بها هو التوراة فى وضعها الحالى، كما نظّمها عزرا. كان فى متناوله، للقيام بهذا العمل، مجموعة واسعة من النصوص:

- تاريخ يهوذا (يهوئ) (راجع الصفحة 36).
- تاريخ الشمال (إيلوهى) (راجع الصفحة 50).

- سبق أن دُمج هذان التقليدان في رواية واحدة (راجع الصفحة 60 :
إليهلوهي).
- تاريخ الاشتراع (راجع الصفحة 56).
 - التاريخ الكهنوتي (راجع الصفحة 70) وسفر الأحبار (راجع
الصفحة 68).
 - تقاليد مستقلة، لا سيما شرائع فى الذبائح والأعياد، وَضَعَهَا الكهنة
عند عودتهم من الجلاء (راجع الصفحة 69).
- استعان عزرا بهذه النصوص وجعل منها مجموعة موحدة، وإن لم
تكن متماسكة. فالتاريخ المقدس يمتد من خلق العالم إلى موت موسى
ويُبرز شخصية إبراهيم وموسى.

بعد رواية تكوين العالم (تك 1 — 11)، يروى لنا سفر التكوين (12 —
50) قصة الأبناء وفى طليعتهم إبراهيم. بصفته أباً المؤمنين، فإنه
يحمل وعد الله (العهد: تك 15 و 17)، وهو الشفيع لدى الله (تك 18)
والذى يثق الله به ثقة تامة، حتى لو طلب منه ابنه (22).

فى سفر الخروج، يتدخل موسى إلى المسرح ويشغله حتى النهاية.
فبعد التذكير بعبودية مصر ودعوة موسى (خر 1 — 15)، تبقى قصة
الأسد لعهد سيناء، وهو المركز تحيط به روايتان فى الحياة فى البرية (خر
16 — 18 و عدد 11 — 12) ويشغله كتاب العهد (خر 20 — 23)، راجع
الصفحة 60). ومختلف الشرائع الكهنوتية (خر 25 — 31 و 35 — 40)،
وسفر الأحبار وسفر العدد (1 — 10). فى هذه المجموعة تذكّرنا قصة
عجل الذهب (خر 32 — 34) باحتمال الوقوع فى مخاطر فسخ العهد.
أما القسم الأخير فهو يروى لنا السير إلى أرض الميعاد (عدد 13 —
36) وخطب موسى الخيرة فى جبل نبو (تثنية الاشتراع).

يظهر إذا موسى بمظهر الوسيط. فهو إلى جانب الله على الإطلاق
وأدائه لتحرير الشعب من العبودية وحمله على خدمة الله بواسطة
الشريعة التى أعطاه إياها، وهو إلى جانب الشعب أيضاً على الإطلاق،
فى تضامن تام حتى إنه يؤدى، بصورة خفية، إلى الخطيئة. ومع
الشعب الذى مات فى البرية، سيموت موسى قبل الدخول إلى أرض
الميعاد، ولكن " فى قبلة من الله " (تث 5/34)، بحسب ترجمة الربانيين
الرائعة.

(79)

التوراة ، الخطية والشفهية

إن كلمة الله، فى نظر اليهود، هى فى الأساس الشريعة (التوراة فى
العبرية) التى أعطاه الله لشعبه فى سيناء.
نجدها مودعة، فى صيغتها الخطية، فى الأسفار الأولى الخمسة من
العهد القديم، وهى قلبه.

لكن هذه الشريعة تناقلها الناس شفويًا أيضًا، وهذا أمر سيُشدد عليه الربّانيون. ولهذه التقاليد الشفهية، في نظر اليهود، أهمية لا تقل عن أهمية الكتاب المقدس.

والأنبياء أيضًا هم كلمة الله، ولكن لا بالصفة نفسها. فقام دورهم في الطقوس على توضيح الشريعة خاصة.

أما المؤلفات والكتابات، فإنها كانت مكرّمة، وإن لم يكن لها من الأهمية ما للشريعة والأنبياء.

ومن هنا أهمية العمل الذي قام به عزرا والذي أعطى الشريعة صيغتها النهائية. قال أحد الربّانيين: " **لو لم يعط موسى الشريعة، لا ستحقّ عزرا أن ينالها**". فموسى وعزرا هما الشخصيتان الكبريان في الدين اليهودي.

السامريّون

يبدو أنّ عزرا نجح في فرض " شريعة إله السماء"، لا على اليهود فقط، بل على السامريين الذين رأينا في الصفحة 45 أنهم من أصتلمختلط. لم تدم الوحدة المقدسة في الواقع إلا زمنًا قصيرًا، وانفصل السامريّون انفصالًا نهائيًا عن اليهود (ربما في عهد الإسكندر). ولقد شيّدوا هيكلهم الخاص في جبل جرّيم. لكنهم حافظوا على الشريعة (أو التوراة) التي يطابق نصّها على التقريب نصّ شريعة اليهود، لا بل إنّ السامريين لا يعترفون إلا بهذه الكتب المقدسة.

فالعلاقات بين السامريين واليهود معقّدة جدًا. ونحن نعرف، من خلال الإنجيل، كيف كانت العلاقات متوتّرة بين الجماعتين في أيام المسيح. لكنهما كانتا تعترفان بوحدة المصير.

لا يزال إلى أيّامنا جماعة من السامريين، وهي تقترب كل سنة ذبيحة الحمل الفصحى على جبل جرّيم.

سِفر الأَخبار - عزرا - نحميا

كُتبت هذه المؤلفات في أوائل العصر اليوناني. لا يُعرف كاتبها. ويُسمّى كاتب الأَخبار. كان مشروعه ينمّ عن طموح، فقد أراد أن يؤلّف تاريخًا من آدم إلى عزرا. يذكر ذلك العلامة مراجعه، وهي عبارة عن نحو عشرين كتابًا بعضها معروف (صموئيل والملوك) والبعض الآخر مجهول. وضع مجلدين جُزنا إلى أربعة: 1 و 2 أخبار، عزرا، ونحميا.

من الأمور الممتعة أن نُقارن بين بعض مقاطع سِفر الأَخبار وما يُقابلها في أسفار صموئيل والملوك. لو قمنا بمثل هذا العمل، لوجدنا كيف يُكتب المدرّاش (راجع الصفحة 81 والمقارنة القصيرة في نبوءة ناتان الوارد ذكرها في الصفحة 42). إليكم بعض الأمور المميّزة:

يعرض لنا كاتب الأخبار نظرة فى لاهوت التاريخ. فلكى يظهر كيف ينبغي أن تكون حياة الشعب فى هذا اليوم، فإنه يصفى الكمال المثالى على حقبة من التاريخ الماضى: تاريخ داود وسليمان. ينتقل سريعاً من آدم إلى داود (مكتفياً بالإنسان خاصّة). ويتوقف طويلاً عند داود ويختار مراجعته ويحذف الأحداث التى ليست لصالح أبطاله (خطيئة داود وترف سليمان وعبادته للأوثان). فداود هو الملك الذى يناسب قلب الله، والقائم مقام الله الذى يبقى ملك إسرائيل الأوحيد. وقد عرف داود كيف يجد لمملكته عاصمة هى أورشليم، وكيف يمهد لبناء الهيكل وتنظيم العبادة.

أراد أن يثبت أن الملوك والشعب سعداء إن كانوا أمناء، وأنهم تُعساء إن كانوا غير أمناء. نستطيع أن نقول بصورة مبسطة إنه حاول أن يثبت بالصور ما يمكن أن يكون ملكوت الله إن عاشه الإنسان على الأرض.

◀ يمكنك أن تقرأ: نحميا 8 - 9

- **نح 8:** ما هى عناصر هذه العبادة؟ فى أى مكان؟ من الذى يترأس؟ ما هى الجدة بالنسبة إلى عبادة الهيكل؟
- **نح 9:** فى الاعتراف بالخطايا هذا، ما هى نقاط التاريخ التى يتمسك بها؟ إلى أى شئ يُستند: إلى استحقاقاته؟ إلى الله؟ ما هى الصفات المُعترف بها لله؟ كيف يُمكن لذلك أن يُلهم صلاتنا الشخصية؟

(80)

الحكمة

جميعنا، أنا وأنت وغيرنا، حكماء، ولكن لسنا جميعاً كتاباً نؤلف كتباً حكّمية.

فالحكيم هو الذى يحاول أن يسير سيرة حسنة وأن يكشف، فى حياته وفى حياة العالم، ما يساعد على الحياة، أو، بالعكس، ما يؤدى إلى الموت. فهو يفكر إذا فى المسائل البشرية الكبرى: الحياة والموت والحب والعذاب والشر... فهل لوجود الإنسان معنى؟ وما هو هذا المعنى. وكلّ منّا على صعيده، الولد والشيخ، المعلم والعامل اليدوى وأم العائلة، يبني لنفسه فلسفته وحكمته وطريقته فى الحياة.

ويتفق أحياناً أن شعراء وفلاسفة يتناولون هذا التفكير المنتشر كله ويتغذون به وينتجون إعمالاً كبرى.

وهذا ما جرى لإسرائيل. فالشعب يبحث، منذ نشأته، عن معنى حياته ويفكر فى المسائل الكبرى. ولقد رأينا، على سبيل المثال، إن روايات خلق العالم هى " تفكير حكّمي " (الصفحتان 39 و 72).

والشعب طوال حياته يُعبر عن تفكيره في أمثال وهي أقوال مأثورة شعبية، وفي صلوات وهي خطوط عريضة لأعمال أدبية.

ولم يتمّ كل ذلك إلا بعد الجلاء، فبعد الجلاء فقط تناول بعض الكتاب ذلك التفكير كله وألفوا، في ختام اختمار طويل، تلك الأعمال الكبرى التي سنشرع في قراءتها.

فيجب التحذير من التعرّض لخطر قد يأتي من درسنا. في المراحل الخمس السابقة، سمعنا إلى الأنبياء ورأينا كيف وُلدت التوراة شيئاً فشيئاً، وفي هذه المرحلة السادسة فقط نتناول كتب الحكيم. قد يوهم ذلك بأن إسرائيل عاش ودون تاريخه أولاً وبأنه انتظر ثمانية أو تسعة قرون ليأخذ في التفكير! هذا غير صحيح، طبعاً. سنقرأ الآن الكتب والأعمال الأدبية التي أنتجت في هذه الحقبة، ولكننا سنرى كيف أنها تناول تفكيراً سابقاً طويلاً، كما أنّ التوراة تناولت العناصر المؤلفة فيما قبل.

من هم الحكماء في إسرائيل؟

كلّ إسرائيلي. فالحكمة شعبية، وأكثر الأمثال تتناول حكمة الأقدمين ملخّصة في أقوال مأثورة موزونة.

- الملك: إنه مكلف بإدارة الشعب وبالتالي بالتميز بين ما هو صالح وغير صالح له. وهو مفروض فيه أن يُشارك الله في حكمته.
- الكتبة: الحكمة الشعبية، ولكنها تقتضى مستوى علمياً، فهي تُعلم في المدرسة والكتبة، وهم في أغلب الأحيان موظفون في البلاط الملكي، هم أول الحكماء ويتولون زمام الحكم بفضل حكمتهم السياسية. سيقوم النزاع غالباً بين الأنبياء وهم نصراء المساكين، وطبقة الكتبة.

إنّ حكماء ما بعد الجلاء هم ورثة جميع هذه التيارات. تعلموا التفكير والكتابة فكانت حكمتهم تفكيراً بشرياً، ولكنهم يرون فيها في الوقت نفسه هبة من الله الحكيم الأوحد.

بعض مميزات الحكمة

الحكمة فى السيرة الحسنة. تحاول اكتشاف ما يؤول إلى الحياة لا إلى الموت. إنها تفكير فى المسائل الإنسانية الكبرى: الحياة والموت والحب والعذاب والنشر والصلة بالله وبالأخرين، والحياة الاجتماعية...

الحكمة شاملة غير زمنية. فالعذاب والموت، والحياة والحب لا تعرف الحدود. والمريض الذى يصبح من شدة العذاب فى بابل أو فى إسرائيل قبل المسيح بألفى سنة لا يختلف تصرفه عن تصرف الذى ينزع فى مستشفى عصرى.

فلن يتردّد حكماء إسرائيل فى الاعتراف بكثرة من تفكير سائر الحضارات، مصر وبابل، ثم اليونان. ولكن هناك طرفة خاصة بإسرائيل، وهى أن ذلك التفكير كله أعيد صهره فى بوتقة الإيمان بالإله الواحد. فالحق الذى تصدر عنه الحكمة هو الله فى آخر الأمر، والسبيل الوحيد إلى الحصول عليها هو إقامة صلة وثيقة رهيبية بذلك الإله، وهذا ما يُسميه الكاب المقدس مخافة الله.

(81)

مؤلفات حكيمية على عهد الفرس

نبدأ بكتابين مُصنّفين فى كتبنا المقدسة، الواحد بين الكتب التاريخية والآخر بين كتب الأنبياء، مع أنهما كليهما من المؤلفات الحكيمية.

راعوث

أراد عزرا أن يعيد صفاء الإيمان ففرض على اليهود المتزوجين من نساء غريبات أن يطلقوهن. فوجد الله أن عزرا يببالغ، فألهم هذه الرواية الظرفية: تزوج بوعز، وهو يهودى تقوى من بيت لحم، من راعوث، وهى امرأة غريبة من موآب. فولد لهم ابن هو عوبيد، أبو يسى وجد داود!

عبرة فى الشمولية وتذكير ظريف من قبل الله لنا جميعاً نحن الذين يظنون أنهم يحبونه لألهم حفظوا وصاياهم: "حسن أن تُحببى، ولكن من دون تعصب. كونوا أذكىاء ولا تخطوا بين الغاية والوسيلة...". سيأتى ذكر راعوث فى نسب يسوع (متى 5/1).

يونان

نبيّ لا يوافق على وسائل الله: ذلك هو يونان، بطل هذه الرواية الرائعة. أرسله الله يعظ في نينوى، عاصمة الأعداء الأشوريين الألداء. كانت نينوى إلى الشرق، فأبحر يونان إلى الغرب. إنه يهرب: إلى الغرب، في عنبر السفينة، ثمّ في البحر... لكن الله أمر حوتاً بنجاته فلقذفه الحوت إلى جهة الشرق. فذهب يونان إلى الشرق...

وعند وصوله إلى نينوى، أعلن أنّ الله سيُدَمِّر المدينة، وكان مسروراً بذلك، لكنّ السكّان تابوا فلم يهلكهم الله...

عبرة رائعة في الشمولية: إنّ الله يُحبّ جميع الناس، وهو لا يريد موت الخاطيء، بل أن يتوب ويحيا (حز 11/33).

سيكون يونان ليسوع علامة لدعوته إلى التوبة (لو 29/11 ومتى 4/16). وسيكون، في نظر متى، صورة للقيامة (متى 40/12).

مِدرَاش و تَرَجُوم

تساءل اليهود في وقت باكر عن إمكانية جعل الكتاب المقدس حاليًا. فإن كلمة الله أعطيت في أوضاع لم تكن الأوضاع التي يعيشونها. فلا بد من تجديد قراءة الكتاب المقدس للبحث كيف يكون له معنى في الحاضر.

فكلمة **مِدرَاش** (من درش = بَحَث) تُطلق على طريقة التفسير وعلى المؤلفات الموضوعية بحسب هذه الطريقة.

هناك نوعان من المِدرَاش:

- المِدرَاش " هَلَكه " (من أصل يعنى " الطريق "): يبحثون عن قواعد مسلكية وقوانين. فى الدين اليهودى، " هَلَكوت " (جمع هَلَكه) مرادف لقوانين.
- المِدرَاش " هَجَّاده " (من أصل يعنى " روى "): يبحثون خاصة بناء الآخرين.

فالتاريخ الكهنوتى الذى يجدد قراءة التقاليد فى إطار الجلاء ليجد فيها معنى ورجاء، وعمل كاتب الأخبار الذى يبحث فى التاريخ كيف يعيش ملكوت الله، هما بداية لمِدرَاش هَلَكه. أما راعوث ويونان فهما بالأحرى من طراز مِدرَاش هَجَّاده.

والترجوم هو ترجمة شفوية، باللغة الآرامية، للكتاب المقدس. بقيت العبرية اللغة المقدسة. ولكن أتى وقت لم يعد الشعب يفهمها، لأنه يتكلم الآرامية. فى الطقوس، كان الكتاب المقدس يُقرأ بالعبرية، ثم كان أحد الكتبة يترجمه إلى الآرامية. ولكنّه، بدلاً من أن يُترجمه ترجمة حرفية، كان يتوسّع فى معناه كما كانوا يفهمونه فى ذلك الزمان (راجع بعض الأمثال الصفحتين 38 و 52).

وفى أثناء طقوس العبادة التى كان عزرا يترأسها (نوح 8-9)، كانوا يقرأون الكتاب المقدس، ثم كان اللاويون يشرحونه. ولعلّ فى ذلك شهادة من الشهادات الأولى لهذه الممارسة...

ضُبطت " التراجم " الرئيسية فى أوائل عصرنا المسيحى، وهى تمكّنا من الاطلاع، فى أيام المسيح، على كيفية فهم بعض النصوص.

سيتبنى المسيحيون الأوّلون هذه الطريقة فى تفسير الكتاب المقدس، وسيقرأونه غالباً فى ضوء " التراجم "، وسيؤلفون أحياناً " مِدرَاش " مسيحية (روايات طفولة يسوع بحسب القديس متى مثلاً).

أيّوب

فى زمن كان بعض الشعراء اللامعين فى اليونان يُخرجون إلى المسرح مأسى التاريخ والإنسان، كما الأمر هو فى " الفرس " و " أنتيكون "، أخذ شاعر يهودى يمثّل مأساة المؤمن الذى فى صراع مع الألم: أيّوب.

للكتاب الحالى تاريخ طويل، فهناك قصة قديمة نثرية (مطلع الكتاب وخاتمه)، ربّما كانت معروفة فى أيام سليمان، استُخدمت، بعد العودة من الجلاء، كإطار لحوارات بين أيّوب وأصدقائه، وقد زيد أيضاً على هذه الحوارات فى وقت لاحق.

مأساة أيّوب هى مأساة كلّ مؤمن يتألّم بدون سبب. يؤمن أيّوب بالله، بإله عادل وقدير. يتألّم وعبثاً يحاول أن يفحص ضميره (فى العدل ومحبة الآخرين)، فهو يجد نفسه بريئاً.

توضع على السنة أصدقائه النظريات التقليدية: " إن كنت تتألّم، فلأنتك خطئنت... فلأن الله يحبك، إذ يؤدّب الذين يحبهم ". أما جواب أيّوب فهو أن كلّ ذلك صفّ كلام، فإنه، أمام صمت الله، يصرخ ويتمرد ويجذّف...".

وأخيراً فالله نفسه يتكلم. أليعبّر عن فكره أو يُعزّى؟ كلا، بل ليحطّم أيّوب ببهاء خلائقه وليطرح عليه هذا السؤال الوحيد " بأى حق تحاسبنى؟"، فيسجد أيّوب ويعبد.

فى الختام، لا نجد أنفسنا أكثر إطلاعاً على سبب الشر. ولكن كان من المفيد أن يُعبّر كتاب هكذا عن تمرّدنا أمام الشر. فنحن نعرف الآن أنّه من الممكن أن يكون التمرد والتجديف صلاة (يقول الله: " أيّوب وحده أحسن الكلام عنى " 7/42) وأن الشروح التقوية لا قيمة لها وأن الموقف الوحيد الممكن للمؤمن هو موقف الثقة. كتب أحدهم: " تلك الساعة الهائلة التى ليس الله فيها صادقاً والتى لا أزال أحبّه فيها مع كلّ ذلك ". موقف المسيح على الصليب.

اقرأ على الأقل:

- يأس أيّوب: 3 و 6 - 7 و 29 - 30 (غياب الله وصمته).
- القصيدة فى الحكمة التى يعرف الله وحده سرّها: 28.
- فحص ضمير أيّوب: 31.
- " جواب " الله: 38.

الأمثال

إنّ سفر الأمثال يمكّن من نظرة خاطفة مفيدة عن الأدب الحكيم وتطوره.

يظهر بمظهر تسع مجموعات تختلف طولاً وإنشاءً وزمناً. قد يرقى أقدم الأمثال إلى زمن سليمان (فى الفصول 10— 22). وهناك مجموعات (30— 31) منسوبتان إلى حكماء غرباء، هنا ما يشير إلى شمولية الحكمة. فى مجموعة الحكماء (7/22 — 22/24) وجوه شبه بنص مصرى: " حكمة أمينيمويه ". وُضع سفر الأمثال (1— 9) وخاتمه (10/31- 31) بعد الجلاء.

يمكننا أن نبدأ بأقدم المجموعات. ليس المطلوب أن نقرأ هذه الفصول بالتتابع، بل أن نتذوقها بجرع متجانسة، كما نتصفح كتاب أقوال مأثورة. ويمكننا أن نؤلف لأنفسنا مجموعة صغيرة من المنتخبات (هناك طريقة عملية: نعطي لونا لكل موضوع ونشير إلى الأمثال فى كتابنا بنقطة ملونة). إليك بعض الأمثال للدخول فى البحث:

- مخافة الله مصدر الحكمة: 27/10 و 2/14 و 26 و 27...
- يذكر اسم الله (أو الرب) أحياناً: ماذا يعمل؟ 22/10 و 29 و 1/11 و 2/12 و 22.
- الفعاليات الذاتية فى التربية: 13/10 و 1/12 و 29/19...
- بعض الفضائل (محبة وتواضع وعدل...): 2/10 و 2/11 و 28/12...
- النساء (مجموعة من الأمثال المعادية للنساء): 12/11 و 22/18 و 13/19 و 9/21 و 19 و 15/27...
- بعض اللوحات الأخلاقية: الزانية (6/7 — 27) والكسلان (24/19 و 30/24- 34) والتاجر (14/30) والسكران (29/23- 35)...

أمثال سمريّة (أواخر الألف الثانى ق.م.)

خير للفقير أن يموت من أن يعيش.
 إن كان له خبز فلا ملح له.
 وإن كان له ملح، فلا خبز له.
 من لم يعل امرأة أو ولداً لم يحمل رسناً فى أنفه.
 حياة الرجل جرة فى الصحراء.
 الزوجة مستقبل الرجل والابن ملجأ الرجل.
 الابنة خلاص الرجل.
 أما الكثة فهى جهنم الرجل.

(83)

السيدة الحكمة (مثل 1 - 9)

وُضعت الفصول الأولى (وكذلك 10/31— 30) آخر الكل، على عهد الفرس. يتناول الكاتب رسالة تشنعية الاشتهار وإرميا وأشعيا الثانى.

نحن أمام معلم يخاطب ابنه وتلميذ، يعلمه أن يسير في حياته بحسب الحكمة وأن يحب قريبه (27/3 ت) ويتجنب الخلاعة. وفي الكتاب صورة عاطفية للحب تذكرنا مسبقاً بنشيد الأناشيد (15/5 - 23).

◀ درس أحد النصوص (مثل 22/8 - 31)

- 22 الرَّبُّ خَلَقَنِي أَوَّلَ طَرَفِهِ قَبْلَ أَعْمَالِهِ مِنْذُ الْبَدَأِ.
23 مَنْ الْأَزَلْ أَقَمْتُ مِنْذُ الْأَوَّلِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كَانَتْ الْأَرْضُ.
24 وُلِدْتُ حِينَ لَمْ تَكُنِ الْغَمَارُ وَالْيَنَابِيعُ الْغَزِيرَةُ الْمِيَاهِ.
25 قَبْلَ أَنْ تُرْسَتِ الْجِبَالُ وَقَبْلَ التَّلَالِ وُلِدْتُ.
26 إِذْ لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ الْأَرْضَ وَالْحُقُولَ وَأَوَّلَ عُنَاصِرِ الْعَالَمِ.

قبل خلق العالم

- 27 حِينَ ثَبَّتَ السَّمَاوَاتِ كُنْتُ هُنَاكَ.
وَحِينَ رَسَمَ دَائِرَةَ عَلَيَّ وَجْهَ الْعَمْرِ.
28 حِينَ جَمَدَ الْغُيُومَ فِي الْعَلَاءِ وَحَبَسَ يَنَابِيعَ الْعَمْرِ.
29 حِينَ وَضَعَ لِلْبَحْرِ حَدَّهُ فَالْمِيَاهُ لَا تَتَعَدَّى أَمْرَهُ

في أثناء خلق العالم

- وَحِينَ رَسَمَ أَسْوَاقَ الْأَرْضِ
30 وَكُنْتُ عِنْدَهُ مُهَنْدِسًا
وَكَنْتُ نَعِيمَهُ يَوْمًا فَيَوْمًا أَلْعَبُ أَمَامَهُ فِي كُلِّ حِينٍ.
31 أَلْعَبُ عَلَيَّ وَجْهَ أَرْضِهِ وَنَعِيمِي مَعَ بَنِي الْبَشَرِ.

من هم الممثلون؟ كيف يوزعون في النص؟ انتبه إلى الألفاظ والعبارات المتناسبة.

ماذا يعمل الله؟ ماذا تعمل الحكمة؟ ما هو موقفها بالنسبة إلى الله (أنظر إلى الأفعال)؟ بالنسبة إلى خلق العالم؟ بالنسبة إلى البشر؟ ما هو دور الحكمة؟

هناك عبارات كثيرة يصعب فهمها، راجع حواشي كتابك المقدس.
في ختام هذا الدرس، يُمكنك أن نتساءل: كيف يساعد هذا النص على فهم دور المسيح؟ راجع قول 15/1 - 20.

في بعض الفقرات تظهر لنا الحكمة بمظهر إنسان: السيدة الحكمة (تقابلها السيدة الغباوة في بعض الآيات: 13/9 ت). وهي نبيّة (20/1 — 33). ومضيقة تقدم طعامها (1/9 — 6)، لا بل ابنة الله (1/8 — 6). سندرس نصاً كثيراً الميزات (22/8 — 31). وسنرى في الفصل التالي كيف يُحافظ الحكماء على هذا الاتجاه: فالحكمة تُصبح شيئاً فشيئاً إنساناً ينبثق من الله نفسه. وستساعد هذه النصوص المسيحيين الأولين على التعبير عن ألوهية المسيح، حكمة الله (1 قور 24/1).

أمين - آمن - آمون

الآية 30 فرصة سانحة للشعور بغنى - وبتعقّد - اللغة. في العبرية،

كما فى العرْبِيَّة، لا يكتبون إلا الحروف الصامتة، وتُضاف الحركات بحسب المعنى. وأما فى هذه الآية الأصل ء م ن وهو يدل على المتانة. ففى الليرجِيَّة، تعنى كلمة أمين : متين، أكيد. وفى هذه الآية، يُمكننا أن نقرأ اسم فاعل آمن: المؤسس، الحامل، ومن ثمّ، المهندس، ربّ العمل. ويمكننا أن نقرأ اسم المفعول آمنون: المحمول، ومن ثمّ: الرضيع، الطفلة.

(84)

7- إسرائيل تحت حكم اليونانيين

(333 - 63)

والرومانيين (بعد 63)

333: بعد أن انتصر الاسكندر فى إيسوس (شمالى أنطاكية)، انفتح أمامه باب الشرق الأوسط.
332: وصل إلى مصر وأسّس الإسكندرية.
331: استولى على بابل وسوسة وبرسيبوليس.
327: بلغ حدود الهند.
323: مات فى بابل ذلك الشاب الذى بلغ الثالثة والثلاثين من عمره والذى سار من نصر إلى نصر مدة عشر سنين فى زحف طوله 18000 كم، والذى أسّس، فى إمبراطوريته الواسعة، أكثر من 70 مدينة (يُسمى بعضها الإسكندرية) ونشر الثقافة اليونانية وفنّها ومسابحها وملاعبها، وخلق ذلك العامل الموحد الذى هو اللغة المشتركة. فاللغة " المشتركة " التى كانوا يتكلمون بها فى اليونان ستصبح طوال ثمانية قرون، حتّى حوالى السنة 500 ب.م. حيث حلت محلّها اللغة اللاتينية، اللغة المحكية فى حوض البحر المتوسط كله. وإلى هذه اللغة سيترجم العهد القديم (الترجمة السبعينية) وفى هذه اللغة سيكتب العهد الجديد.

إسرائيل فى حكم اللاجيين: 333 - 198

لما توفى الإسكندر، تنافس قواده على إمبراطوريته وتقاسموا أخيراً إلى ثلاثة أقسام، فأسسوا سلالات تحمل أسماء الأول من كل منها: الانطيجونيون فى اليونان، واللاجيون فى مصر والسلوقيون فى سورية (من البحر المتوسط إلى الهند).

بقيت فلسطين تحت سلطة لاجئى مصر أكثر من مئة سنة. وهؤلاء الملوك، الذين يحمل أكثرهم اسم بطليموس، وكانوا عادة يحترمون التنوعات القومية، فتركوا اليهود يعيشون بسلام وفقاً لأحوالهم الشخصية التي حددها عزرا، فتمتعوا هكذا بحكم ذاتى واسع.

- وفى هذه الحقبة، أخذت المراكز الرئيسية الثلاثة لليهودية تتنوع.
- **ففى بابل**، واصلت الجماعة عيشها، مع العلم بأننا لا نعرف عنها إلا القليل ولكنها سئنتج، بعد بضعة قرون، أعمالاً هامة لليهودية، ولا سيما تلمود بابل.
 - **وفى مصر**، كانت جماعة الإسكندرية اليهودية تنمو بسرعة. وسئشكّل فى أيام المسيح خمس المدينة. وقد اكتشفت صيغة لليهودية وققت بينها وبين الفكر اليونانى. ففى الإسكندرية تُرجم الكتاب المقدس إلى اليونانية (الترجمة السبعينية) وأنتجت أعمال كسفر الحكمة، وحاول الفيلسوف فيلون، فى أيام المسيح، أن يُعيد بحث الإيمان فى اللغة اليونانية.
 - **وفى فلسطين**، كانت الجماعة منقسمة. فكان بعضهم ميالين إلى الحضارة اليونانية وألعابها ومسابحها، حتّى أن بعضهم كانوا يحاولون إخفاء ختاتهم بواسطة عملية جراحية. وكان البعض الآخر قلقين جداً أمام هذا المدّ للحضارة اليونانية. كانوا متمسكين جداً بإيمانهم اليهودى وبالشكل الذى عُبر عنه حتّى ذلك الوقت فى الممارسات والطقوس، فكانوا يسعون أن يُبرهنوا أنه يساعد على النمو الإنسانى، وأن المحافظة على الإيمان اليهودى يقتضى المحافظة على تعبيراته الحسية (نشعر بأنّ هذه المشكلة مشكلة دائمة تبين سبب ما فى الكنيسة الحالية من تعارضات).

(85)

فى هذا الإطار نشأت أعمال كسفر الجامعة وسفر طوبيا وسفر ابن سيراخ... والاضطهاد الذى انقضّ على هذه الجماعة فى أيام السلوقيين سيُزيد هذا التباين بروزاً ويقلب أوضاع هذه الجماعة الفلسطينية.

إسرائيل فى عهد السلوقيين (198 - 63)

فى السنة 198، كسرت الفيّلة السورية الجيش المصرى، فابتدأ عصر الشهداء فى إسرائيل، فقد انتزع السلوقى أنطيوخس الثالث من مصر سيطرتها على فلسطين.

خلافاً لما فعله اللاجئون، فرض السلوقيين بالقوة على اليهود الثقافة والدين اليونانى، ففى السنة 167، ألغى أنطيوخس الرابع امتيازات اليهود وحرّم السبت والختان ودنّس الهيكل إذ جعل فيه شناعة

الخراب، أى تمثالاً لـ " زيوس". والأمر الذى زاد الأزمة خطورة أن عظماء الكهنة لم يجمعوا كلمتهم، فكان بعضهم يؤيدون التهفن.

جاء فى أحد الأيام موفد من أنطيوخس يفرض تقديم الذبائح للأوثان. فذبحه أحد الكهنة وكان ذلك العمل إشارة العصيان، فأدغل هو وبنوه الخمسة. وكان اسم الولد الخامس يهوذا وسيطلق لقبه (المكابى) على الأسرة كلها. نجح يهوذا، بغارات موقفة، فى تحرير أورشليم، وأعيدت العبادة فى الهيكل فى 15 كانون الأول (ديسمبر) 164، وعيد التدشين هو العيد الذى يُحتفل فيه بذلك الحدث. خآف يهوذا اثنان من إخوته وغيرهما من المنحدرين منهم فأسسوا المكابيين أو الحسمونيين، وحمل بعضهم لقب الملك فأعادوا الملكية فى إسرائيل رداً من الزمن.

من المؤسف أن يكون تاريخ الحسمونيين، الذى ابتداء بدم الشهداء، قد انتهى فى الوحل. فسيحصل خلفاء يهوذا من الملوك السلوقيين على رتبة عظيم الكهنة وكثيراً ما يدفعون ثمنها بالفضة، ومنهم من سيصلب يهوذا أمناء لأنهم يُعادون تصرفاتهم...

وفى السنة 63، انقسم اليهود إلى فريقين متنافسين يؤيدان ملكين مختلفين، فاضطروا إلى تحكيم روما، فوصلت روما إلى الشرق الأوسط بشخص القائد بومبيوس. وقف إلى جانب أحد الفريقين واستولى على أورشليم بعد حصار دام ثلاثة أشهر. هكذا ابتدأت السيطرة الرومانية التى ستبقى حتى القرن السابع ب. م. أى حتى الاجتياح العربى.

المذاهب اليهودية

تسمى المجموعات الدينية اليهودية مذاهب، وأكثرها نشأ فى تلك الأيام.

ينتمى الفريسيون (أو المنفصلون) إلى تيار الحسيديم (من الأصل " حسيد " راجع الصفحة 49) أو اليهود الأتقياء الذين أرادوا، من زمن عزرا، أن يُعيدوا بناء الأمة على قيم روحية. الفريسيون متدينون فى العمق وتمسكون بالشريعة وبممارسة أحكامها. وسيصبحون ضمير اليهودية بفضل تقواهم العميقة وتضلعهم من الكتب المقدسة.

ازدادت معرفتنا للحسيديم منذ العثور على مخطوطات قمران. لا شك أنهم ينتمون إلى أولئك الذين شاركوا المكابيين فى عصيانهم فلجأوا إلى البرية، بالقرب من البحر الميت حيث ألفوا جماعة " العهد الجديد " وأعدوا مجى المسيح فى الصلاة والتأمل. وقد حملهم عدم تساهلهم إلى قطع الاتصالات بالفريسييين لما كانوا يُظهرون من الفتور فى أعينهم.

أمّا الصّدقّيون، فكانوا يؤلّفون فريق كبار الكهنة. انضمّوا إلى الحسمونيّين ويبدو أنّهم كانوا حريصين على الدفاع عن سلطتهم بجميع الوسائل. يحسن أن لا نخلط بين هذه الأرستقراطية الكهنوتية والعدد الكبير من صغار الكهنة الذين كثيراً ما كانوا أتقياء يسيرون بالأحرى في تيار الفرسيّين.

النشاط الأدبيّ

في ذلك الزمان وعظ نبىّ يُسمّى زكريّا الثانى.

أدى التهلّثن إلى ردود فعل كثيرة، من احتراس وتعاطف. فألفت الأسفار التالية: الجامعة، ابن سيراخ، طوبيا، نشيد الأناشيد، باروك، الحكمة، وترجم الكتاب المقدّس إلى اليونانية: الترجمة السبعينية.

وعلى إثر اضطهاد أنطيوخس وملحمة المكابيين، ألفت أسفار استير ويهوديت والمكابيين، ونما فنّ أدبىّ كان قد أخذ فى الظهور عند الأنبياء الآخرين، وهو التيار الرؤيوى الممثل فى العهد القديم بسفر دانيال.

وكتبت المزامير الأخيرة وكوّن سفر المزامير.

(86)

بنى من الحقبة اليونانية: زكريّا الثانى

جزأ الاختصاصيون أشعيا إلى ثلاثة أجزاء، وجزأوا زكريّا إلى جزئين: فالفصول 9-14 هى لنبيّ يرقى إلى زمن الإسكندر.

إنّ وصول هذا الملك الفتى، الذى أطاح بسلطة الفرس، بعث الأمل فى القلوب، فلعلّ الله يتدخّل أخيراً! ولكنّ التغيّر الجذرى لا يأتى، فى نظر النبىّ، إلا من الله. ولذلك فقد بعث فكرة الرجاء المشيحيّ، أى انتظار مشيخ يُقيم الله ملكه عن يده، والصورة التى يرسمها للمشيخ فريدة فى الكتاب المقدّس: فإنّها تجمع بين ملامح المشيخ الملكى، ابن داود أو ابن الله (راجع الصفحة 42)، ولامح العبد المتألّم الوارد ذكره فى أشعيا (الصفحة 67). تُعرض تلك الصورة فى أربع قصائد سيّطبتّها المسيحيّون الأوّلون على يسوع. سنقرأها.

◀ الملك المشيخ، المتواضع والمسالم (9/9) -

(10)

- تصف 1/9 — 8 حملة الإسكندر إلى فلسطين ومصر في 333. أثنى هو المسيح؟ يُجيب النبيّ: لا.
- اقرأ 9/9 — 10: كيف يُصوّر لنا هذا الملك؟ على أيّ شيء يعتمد؟ أعلى قوّته؟ أعلى الله؟ بماذا يأتي؟
اقرأ متى 5/21.

◀ الراعى الذى باعه شعبه (4/11) - 4 و (9 - 4/13)

ليس من السهل أن تُفسّر رموز الصور الواردة فى هذه القصة. إليك تفسيرها المُرجّح: الخراف هى الشعب، والرعاة هم الملوك أو عظماء الكهنة، والباعة والتجار هم الأنبياء الكذبة والكهنة الأشرار الذين يُسلمون الشعب إلى العدو، والمشترون هم الأعداء، والرعاة المبادون الثلاثة هم ثلاثة عظماء كهنة (؟)، وتكسير " الحظوة " و " الإخاء " هو تذكير بالاجتياحات الماضية والانشقاقات بين يهوذا وإسرائيل فى السنة 935 وبين إسرائيل والسامريين. يحاول الكاتب أن يفهم الأحداث الحاضرة فى ضوء بعض الأحداث الماضية.

الراعى هو النبيّ، بل الله أيضاً (13/11). يسخرون منه فيبيعونه بثمن عبد. اقرأ متى 31/26 و 3/27 — 10. فيسوع هو الراعى الصالح وهو الله.

◀ الله مطعون (10/12 - 1/13)

إليك أغرب النبوات: يُصرّح الله بأنه هو نفسه يُصاب فى الشخص المضروب!
ما هى النتيجة غير المنتظرة (1/13)؟ اقرأ حز 25/36 ت و 1/47 — 12: من الذى يمثله هذا الينبوع؟ من أين ينبع؟
اقرأ يو 38/7 و 34/19: كيف يساعدنا زكريّا على أن نفهم من هو يسوع؟ من أين يخرج الينبوع؟ لا يريد يوحنا أن يُفيدنا على الصعيد الطبّي (من أى جانب طُعِن يسوع)، بل على الصعيد اللاهوتى: فيسوع هو الهيكل الحقيقى الذى ينبثق منه الروح.

الفرق ضئيل بين الكتاب المقدس الكاثوليكي والكتاب المقدس البروتستانتى فيما يتعلق بالعهد القديم. ففي الكتاب المقدس الكاثوليكي 7 أو 8 أسفار يُسميها الكاثوليك قانونية ثانية، ويسميها البروتستانت منحولة.

تعنى كلمة قانون "قاعدة"، فالكتاب يكون قانونياً إن أُعترف به كقاعدة إيمان. وقانون الكتب المقدسة هو مجموعة الكتب المُعترف بها كقاعدة إيمان.

إنّ المسيحيين قد اتّبعوا اليهود فيما بالعهد القديم. ولكن هناك قانونين مختلفين قد وُضعا. ففي حوالى السنة 90 ب. م، لم يعترف ريباتيو فلسطين إلا بالكتب المكتوبة بالعبرية، فى حين أنّ يهود الإسكندرية كانوا يعترفون بكتب أخرى وُضعت أو كانت معروفة باليونانية.

والمسيحيون الذين كانوا يُطالعون الكتاب المقدس باليونانية تبيّنوا قانون يهود الإسكندرية، لكن القديس إيرونيمس، الذى ترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية فى أوائل القرن الخامس، كان يميل إلى القانون العبرى.

وفى أثناء الإصلاح الذى تمّ فى القرن السادس عشر، كان البروتستانت أشدّ ميلاً إلى اتّباع القديس إيرونيمس. فكانوا يطبعون الكتب المتنازع عليها فى ذيل الكتاب المقدس (وقد اختلفت منه فى القرن التاسع عشر) ويسمونها "منحولة".

وفى المجمع التريدانتينى، اعترف الكاثوليك بأنّ هذه الكتب مُنزلة كسائر الكتب، ولكنهم سمّوها "قانونية ثانية" (أى أنّها أُدخلت فى القانون فى مرتبة ثانية).

هذه الكتب هى أسفار يهوديت وطوبيا والمكابيين والحكمة وابن سيراخ وباروك ورسالة إرميا والمقاطع اليونانية فى سفر استير وسفر دانيال.

سنعرض المؤلفات الحكيمية التي وُضعت في الحقبة اليونانية. لن يكون في إمكانك أن تدرسها جميعها. فإن كنت تدرس مع فريق، يستطيع كل واحد أن يقرأ مؤلفاً ويشارك الآخرين في اكتشافه.

سفر الجامعة

إنه لكتاب غريب. يصب الكاتب زاجاً على جميع أمورنا المضمونة والمؤكدّة: فالعمل والسياسة والحب واللذة.... كل ذلك باطل، يقول الجامعة. أمر واحد يهمننا، وهو أن نأكل جيداً.... هناك الله، أجل. لكنّ الله في السماء وأنت على الأرض. فعليك أن تتدبّر أمرك في عالمك غير المعقول!

ويستتر الكاتب تحت اسم كاذب: "كوهيليت"، ومعناه "الجمعيّة". لعلّه لسان حال الجمعيّة، يستمع إلى عظة جميلة حُسب فيها حساب لكل شيء، ويبدو الله فيها عادلاً وصالحاً، ويسير فيها العالم بحسب تخطيطه.... فلسان حال الجمعيّة يجرؤ على القول: كل ذلك باطل.

إنه لطبّ صارم يدعونا إلى عدم حمّل أنفسنا حمّل الجدّ أكثر ممّا يجب، وإلى تصفية أو هامنا.... وإلى العمل: بما أنّك لا تعلم أيّ من الأمرين سينجح، فافعلهما كليهما.

خذ كتابك المقدّس وابحث عن العناوين التي تستوقفك، ولا شك أنّك ستقرأ الكتاب كله.

طوبيا (قانونيّ ثان)

قصة جميلة جدّاً أو مِدرّاش هجّاده. جدّد كاتبه قراءة تاريخ الآباء واستخلص منه قصة ذات مغزى لاهوتى وأرخها في زمن الجلاء.

كان طوبيت رجلاً باراً ففقّد بصره ولم يكن له أيّ أمل في الشفاء. ومن جهة أخرى، كان هناك فتاة فاضلة اسمها سارة وكان جميع الذين يخطبونها يموتون، فكانت هي أيضاً تطلب الموت.... لماذا هذا الشرّ غير المعقول؟ فهل الله غائب ولا يبالي؟

يُرينا الكاتب كيف أنّ الله حاضر في حياة كلّ واحد منّا، ولكن بصورة مستترة. فعلينا أن نعرف كيف نكتشفه.

وهذه الرواية هي في الوقت نفسه شهادة رائعة للزواج والحبّ البشريّ.

عليك أن تقرّ الصلوات الجميلة على الأقلّ (صلوات شكر وحمد): صلاة طوبيت اليائس (1/3 — 6)، وصلاة سارة الموشكة على

الانتحار (11/3 — 15)، وصلاة سارة وطوبيا في غرفتهما يوم العرس (8) وصلاة طوبيت بعد شفائه (10-1/13).

نشيد الأناشيد

قصيدة رائعة تتغنّى بالحب البشرى في كثافته الجسدية وبواقعية لا ينكرها الشعراء العصريون.

للنصّ الحالي قصة طويلة. لا شك أنه ينطلق من قصائد حب قديمة كانوا ينشدونها في السهرات، ولعلّه يستوحى من الطقوس الوثنية. لا يذكر الله أبداً، ولكنه يتأمل في تك 23/2 — 24 وملا 14/2 وفي نصوص الأنبياء الذين أشادوا بحبّ الله لشعبه على صورة حبّ العروسين.

وستكون للنصّ قصة طويلة أيضاً، فإنّه سيصبح رمز محبة الله والشعب (أو المؤمن) ويُلهم اليهود والمسيحيين كالكذّيس يوحنا الصليبيّ.

وفي زمن كانت فيه المرأة خادمة الرجل، نتعجب من هذه الأناشيد التي يُحبّ فيها الواحد الآخر على قدم المساواة، في نضارة حنان لا يتنافى مع المصاعب.

ابن سيراخ (قانونيّ ثانّ)

ترجم حفيد إلى اليونانية مؤلفات لجده في حوالي السنة 190 ق. م. كان الميل إلى الحضارة اليونانية شديداً، وكان الشبان مُعرّضين لترك تقاليد الأجداد.

يريد هذا الكتاب، المتّسم بما كان للبرجوازية التقية من روعة مضي زمانها، أن يُثبت أن الأمانة للشريعة ولممارساتها تساعد على اكتساب الحكمة الحقيقية.

بإمكانك، كما فعلت في أمر سفر الأمثال، أن تختار بعض النصوص (ومنها ما هو ممتع)، ولا سيّما أن تتوقف عند بعض الفقرات:

- النشيد في مخافة الله (وهو لا يقلّ جمالاً عن النشيد في المحبة)
1 قور 13 : (11/1 — 20). وُضعت الحكمة معنا في أحشاء الأمّ، فكلّ واحد منا يولد وفيه ذرّة من الحكمة!
- فرح الذي يلتبس الحكمة: 11/4 — 19.
- السيّدة الحكمة تعرض دورها في خلق العالم وفي التاريخ (24). هي والشريعة شئ واحد. وهذا المقطع الشهير قد ألهم يوحنا (يو 1).
- في مديح خلق العالم فقرات جميلة (15/42 — 33/43) ولا سيّما في قاعة عرض الأجداد (ابتداء من الفصل 44). إقرأ على

الأقل صورة عظيم الكهنة سمعان (50) التي استوحى منها
لوقا (50/24 - 52).

(88)

انعكاسات زمن المگابيين الأدبية

لم تطل ملحمة المگابيين (من 167 إلى 164)، ولكنها تركت فى
اليهودية آثاراً عميقة. أمام عزم أنطيوخس الرابع على فرض الدين
اليونانى بالقوة، وجب على المؤمنين أن يختاروا اختياراً حاسماً بين
حجود دينهم والاستشهاد. والعمل الذى قام به يهوذا المگابى، وكان
عملاً دينياً قبل كل شئ، والنجاح الذى أحرزه أيقظا الإيمان. ولكن
خلفاءه، كما رأينا، لم يلبثوا أن تورطوا فى الدسائس السياسية وحب
السلطة.

أدت هذه الملحمة طوال مئة سنة إلى ثلاثة أنواع من الانعكاسات
نشاهدها فى الأدب، ويمكننا أن نلخصها على الوجه التالى:

1. تجريد السيف: إن سفر المگابيين الأول يناصر المقاتلين ويروى
مآثرهم. وأمّا سفر يهوديت وسفر أستير، فإنهما يُعبّران، بشكل
قصص، عن المشاعر التى كانوا يشعرون بها.

2. ضمّ الأيدي: هناك مؤمنون آخرون كانوا أشدّ تحفظاً أمام سير
التطور الذى اتخذته سلالة المگابيين. كانوا على يقين من أن الفرج
لا يأتى إلا من الله، وأن الموقف الدينى الحقيقى لا يقوم على تجريد
السيف، بل على ضمّ الأيدي والتوسّل إلى الله بالتدخّل. فسفر
المگابيين الثانى يُجسدّ التيار الفريسيّ، وهو أن الإيمان يقود إلى
الاستشهاد وبأنه هو الذى ينال من الله تدخّله. والتيار الرئوى،
المتجسّد فى سفر دانيال، يتّجه هذا الاتجاه ويترقّب تدخّل الله فى
نهاية التاريخ.

3. مدّ اليد: بعد أن زالت العاصفة، وفى الإسكندرية، أى بعيداً عن
مآسى فلسطين، ألف حكيم " حكمة سليمان " حاول أن يُعبّر فيها
من جديد عن إيمانه اليهودى، مستعيناً بثقافته اليونانية.

سنلقى نظرة خاطفة إلى هذا الأدب، متوقّفين عند نصّين: الفصل
السابع من دانيال والفصل السابع من الحكمة.

يهوديت (قانونى ثان) وأستير

هناك قصتان بمغزى لاهوتى (مِذْراش) تعبيران عن الحماس الذى بعثته ملحمة المغابيين. وهما تشددان على نقطة جوهرية، وهى أن الله هو الساعى وهو المخلص، وأنه يختار لذلك أوهى الطرق، أى يد المرأة.

سفر المغابيين الثانى (قانونى ثان)

ليس هذا الكتاب تابعاً لسفر المغابيين الأول، ولا سيّما إنه كُتب فى حوالى السنة 124 ق.م. هو موجز لكتاب آخر يقع فى خمسة مجلدات ألفه ياسون، بعد وفاة يهوذا المغابى بقليل.

نكتشف من خلال هذه القصص التقوية، روحانية الفريسيين وتمسكهم التام بالله. إليك بعض النقاط:

- **الجهاد.** حين يروى لنا الكاتب مآثر يهوذا، يشدد على هذا الأمر، وهو أن الله هو الذى ينصر، ولذلك كثرت فى الكتاب الصلوات قبل كل معركة والمعجزات (الفصل 8 والفصول التالية).
- **الاستشهاد.** قد يؤدى التمسك التام بالإيمان إلى تأدية الشهادة الحاسمة، إلى الاستشهاد. فهناك استشهاد ألعازر والشيخ (18/6 — 31) ولا سيّما استشهاد الإخوة السبعة (7) وهما مشهوران.
- **القيامة (9/7 و 23 و 29).** يتناول الكاتب، بصورة أوضح، العقيدة المعروضة فى سفر دانيال (دا 2/12) والتى هى عقيدة فريسية. سنعود إليها فى درسنا لسفر دانيال.
- **الصلوة من أجل الأموات (38/12 — 45).** لعب هذا النص دوراً هاماً فى الفكر اللاهوتى الكاثوليكى عن "المطهر؟؟؟" : إذا وجب علينا أن نصلى من أجل الأموات، فذلك أنهم لم يصيروا فى العدم وأتهم يستطيعون أن ينالوا الغفران بعد موتهم؟؟؟؟. أمّا البروتستانت، الذين لا يعترفون بقانونية هذا الكتاب، فإنهم يُسلمون إلى الله أمر مصير الأموات، ولا يحاولون أن يكتشفوا السر. [**تعقيب من الناسخ: برجاء الرجوع إلى كتاب الله والشر والمصير، وكتاب مدخل إلى العقيدة المسيحية، للكاتب كوستى بندلى، لمعرفة نظرة الكنيسة الأرثوذكسية لأهمية الصلاة من أجل الأموات والمنتقلين.**]
- **الخلق من لا شئ (28/7).** لم يكونوا إلى ذلك الوقت يُصورون الله خالقاً من لا شئ، بل كانوا يصورونه فاصلاً ومنظماً الخواء الأسمى (تك 1 ، راجع الصفحة 72).

سفر المغابيين الأول (قانونى ثان)

إن الكاتب الذى وضع هذا الكتاب، فى حوالى السنة 100، مناصر لسلالة المغابيين. وهو يروى قصة المغابيين الثلاثة الأولين: يهوذا (3 — 9) ويوناتان (9 — 12) وسمعان (13 — 16). مراده أن يؤلف تاريخاً مقدساً على طريقة الأنبياء الأولين (راجع الصفحة 59)، وأن يُرينا عمل الله الذى يُحرر شعبه منقاداً إياه من الشقاء الذى أوقعته فيه الخطيئة.

كتب الرؤى

نواجه طوال حياتنا أحداثاً سارة أو مؤلمة، ونحاول أن نتغلب عليها ونغيرها لتصير سارة وأن نعطيها معنى، إذا شعرنا بأننا ضللنا السبيل، فإننا نغير أنفسنا.

هذا ما كان الأنبياء يفعلونه. فكانوا يفسرون الأحداث ويجدون فيها كلمة الله ويدعون الناس إلى التغيير والاهتداء.

وقد يتفق أحياناً أن الشر مستعص والموقف مسدود، حتى يبدو أن لم يعد هناك من مخرج. فلم يبق إلا الانتظار أن تأتي أيام أفضل. وإن كان هناك أحد في إمكانه أن يقول لنا كيف ينتهي كل ذلك، وجدنا في الأمر نوراً ورجاء يساعدنا على الصمود.

وكتب الرؤى هي بالأحرى من هذا الطراز، وهي تنشأ عادة في زمن الأزمة. وللكاتب فيها رأى متشائم في العالم، فهم يرونه كله تحت سيطرة " رئيس هذا العالم " (أو الشيطان). ومرادهم أن ينعشوا الرجاء، ولذلك فإنهم يخبرونه بأن الله سيأتي في الآخر ويجدد. فلا بد، إلى أن يأتي ذلك اليوم، من " تكتف اليدين " والصلاة. لا يخفى علينا ما في هذا التيار من إبهام، فهو متشائم ومتفائل في آن واحد، يحمل على الإيمان ويعرض لعدم الالتزام.

أصبحت كلمة " رؤيا " في اللغة المألوفة ترادف كلمة " غامض " و " مٌفجّع ". من المؤسف أنه لم يحفظ إلا هذا الوجه، فإن الرؤيا هي نور ورجاء أيضاً.

إن الفعل اليوناني الذي يُعبّر عن الرؤيا يعني " الكشف " و " إزاحة الستار ". في هذا تصور بأن التاريخ يمرّ مثل خطٍ يختفي آخره في سرّ الله. فلكى يسند الله رجاء شعبه في ساعة المأسى، فإنه يُزيح الستار الذي يحجب النهاية، كاشفاً آخر التاريخ السعيد بانتصار الله.

بعض مميّزات الرؤى

- يستعمل الكاتب اسماً مستعاراً، فينسب كتابه إلى أحد رجال الماضي الأبرار. ويربح هكذا على صعيدين: هذا الرجل البار قريب من الله فباستطاعته أن يكشف أسراره، وهو من رجال الماضي فباستطاعته أن يُخبر عن المستقبل!
- نشأت كتب الرؤى في ساعات الأزمات فهي متشائمة في العالم،

- فقد حُكِمَ عليه بالهلاك لأنه تحت تأثير " أمير هذا العالم " (أو الشيطان). ولكنها متفائلة في الخاتمة، فإن الله سيخلق عالماً جديداً.
- رويتها للتاريخ حتمية بالأحرى، فكل شئ مُتَوَقَّعٌ مُسَبِّقاً ومُدَوَّنٌ في الكتب السماوية.
 - تدعو إلى إيمان تام بالله، ولكنها تُعَرِّضُ للتخلّي عن الالتزام، فلم يبقَ هناك إلا الانتظار أن يعمل الله.
 - تسعى خاصة إلى الحفاظ على الرجاء.
 - تقتصر على المطلعين ولذلك فهي تُستعمل لغة وصوراً موضوعة بالرموز.

القفز بالطول

ولكن كيف يحصل كاتب الرؤيا على هذا " الكشف "؟ طريقته هي نوعاً ما طريقة القفز بالطول. يريد هذا أن يقفز إلى أبعد ما يمكن إلى الأمام، فيذهب... إلى الوراء، ثم يجتاز بأقصى سرعة تلك الأمتار الثلاثين أو الأربعين، وعند وصوله إلى خشبة الانطلاق، يقفز إلى المام مجروحاً باندفاعه.

فكانت الرؤيا مثلاً. لا يعرف المستقبل، ولكنه متأكد من أمر واحد وهو أن الله أمين. فلكي يعرف كيف ينهي الله التاريخ، يكفي أن يرى كيف سيره في الماضي. فالكاتب يرجع إلى الوراء، فيتظاهر بأنه يكتب في زمن سبق زمن الكتابة بثلاثة أو أربعة قرون. فيجتاز التاريخ بسرعة، وعند وصوله إلى زمنه، يقفز إلى الأمام ويلقى إلى آخر الأزمنة ما اكتشفه في قراءته للتاريخ.

تيار منتشر جداً

يحتوي الكتاب المقدس على رؤيتين فقط: رؤيا دانيال ورؤيا القديس يوحنا. ولكن كثيراً من نصوص الأنبياء الآخرين ينتمي إلى هذا التيار (حز 24-27 و 34-35 و زك 1-8...).

وهذا التيار أنتج كتباً كثيرة جداً بين السنة 150 ق.م. والسنة 70 ب.م. وكيف عقلية المؤمنين، مساعداً إيّاهم على الحياة في الرجاء وفي انتظار الآخرة.

يرتبط هذا الكتاب ارتباطاً وثيقاً بزمن المغابيين، فإن مؤلفه يكتب في حوالى السنة 164. يُدرجه الكتاب المقدس اليهودى بين " الكتابات " أو " المؤلفات " ويُدرجه الكتاب المقدس اليونانى بين " الأنبياء ". يستخدم هذا الكتاب فنين أدبيين مختلفين: القصص والروايات.

القصص التقويّة أو الفكاهة السوداء (دا 1-6)

معنويات الجيوش أمر هام فى أيام الحرب، والقصص الظريفة لها مفعول كبير لتشديد العزائم. وفى كلامها على أشخاص غير حقيقيين، تساعد على الضحك من العدو دون أن يشعر بالأمر. هكذا فمن الأمور الخطيرة أن يُقال أن الله سيجعل أنطيوخس الرابع " حيواناً سىأكل التبن ". فيُقال ذلك عن نبوكد نصر الذى عاش قبل ذلك بأربعة قرون (دا 4).

لكن هذه القصص تذهب إلى أبعد من الفكاهة، فبصفتها روايات ذات مغزى لاهوتى، تهدف خاصّة إلى تقوية الإيمان (راجع الصفحة 81). إليك بعض الأمثال:

- معلوم أن القواعد الغذائية اليهودية صارمة جداً. فكانت تبدو مضحكة للوثنيين وحتّى لبعض اليهود الميالىين إلى الحضارة اليونانية، وقد نهى أنطيوخس عن مراعاتها. فقصة الفتيان المجلّون إلى بابل جواب لهؤلاء. فمع اكتفائهم بأكل البقول وشرب الماء، كانوا أحسن منظراً وأسمن من الذين يأكلون اللحم (دا 1).
- كان إسرائيل مسحوقاً تحت وطأة أنطيوخس، كما كان مسحوقاً قبل ذلك تحت وطأة البابليين والفُرس واليونان بما فيهم اللاجيون والسلوقيون. وكان يشعر بضعفه أمام ذلك العملاق. فقال دانيال: " لا تخف، فإنّه عملاق رجلاه من طين ". وإذا بحجر خفى ينفصل عن الجبل ويحوّله إلى تراب (34/2). فالله، لا سيف المغابيين، هو الذى سيضع حدّاً للتاريخ فيقيم ملكوته (44/2).
- ولليهود الذين " عاصوا أمر الملك وأسلموا أجسادهم إلى الموت لنلا يعبدوا إلهاً آخر " (28/3) يروى الكاتب قصة الفتيان الثلاثة الذين ألقوا فى الآتون: " لا تخافوا! فإن الله سيرسل ملاكته معكم فى النار ليُنقذكم من الشر " (دا 3). وأضيف باليونانية إلى هذه الرواية ذلك النشيد الرائع، نشيد الفتيان الثلاثة فى الآتون: " وحتى إن قتلوكم، فالله قادر أن يخرجكم أحياء من القبر ". هذا ما يعلمنا إياه الفصل 6. ألقى دانيال فى جُب الأسود ووُضع عليه حجر مختوم، وأخذ الملك فى النحيب، لاعتقاده أن دانيال قد مات، ولكنه خرج حياً. وهو صورة لشعب إسرائيل كله، الذى قتله مضطهده، فردّه إلهه إلى الحياة.

فى بعض هذه النصوص تظهر منذ ذلك الحين ميزات خاصة بالرؤى:
الحجر الرامز إلى تدخّل الله، والرؤى والأحلام. ولكن استعمال الكاتب لفنّ
الرؤى الأدبى يظهر فى الفصول 7 - 12.

فكر لاهوتىّ فى صُور

تستعمل الرؤى صُور لا بدّ من فكّ رموزها. إليك أهمّها:

- الألوان
الأبيض = النصر والطهارة.
الأحمر = القتل والعنف ودمّ الشهداء.
الأسود = الموت والكفر.

- الرموز
سبعة = الرقم الكامل والكمال.
ستّة (سبعة ناقص واحد) = عدم الكمال.
ثلاثة ونصف (نصف سبعة) = عدم الكمال والعذاب وزمن المحنة
والاضطهاد. إنتبه، فقد ظهر بأشكال مختلفة، ولكنّ قيمتها الرمزية
تتغيّر. ف 3 و نصف زمن أو زمن وزمان ونصف زمن ($1 + 2 + \frac{1}{2}$)
أو ثلاث سنين ونصف لا يختلف معناها عن ثلاثة أيام ونصف أو 42
شهرًا أو 1260 يومًا!
اثنا عشر = إسرائيل (بسبب الأسباط الاثني عشر).
أربعة = العالم (الجهات الأربع)
ألف = كمية لا تُحصى.

- صُور أخرى
القرن = القدرة.
الشعر الأبيض = الأبدية (لا الشيخوخة: فـ " الشيخ " فى دا 7 ليس
متقدمًا بالسنّ، بل شاب للأبد).
الثوب السابع = كثيرًا ما يدلّ على المرتبة الكهنوتية.
زئار الذهب = سلطة الملك.
التبوس = الأشرار.
الخراف = الشعب.

(91)

رؤيا (دا 7 - 12)

إنّ القسم الرؤيوى (7 — 12) من الكتاب هو الذى أثر فى الفكر
الإسرائيلى. رأينا أنّ الكاتب وضع كتابه فى السنة 164. إلا أنّه ينظّهر
بأنّه يكتب فى زمن اضطهادات آخر، زمن الجلاء، قبل ذلك بأربعة
قرون. ويُطلق على نفسه اسم دانيال، وهو اسم بطل وثنى كنعانى ذكره
حزققيال (حز 14/14). فباستطاعته أن " يُنبئ " عن المستقبل بين

الجلاء وعهد المكابيين بشئ من السهولة! لكنّه يفعل ذلك ليبرز الخطوط العريضة لطريقة الله ويكشف كيف أنّ هذا الإله سيضع حدًا للتاريخ. سندرس أهم نصّ من نصوص دانيال.

◀ دَرَسْ نصّ (دا 7)

ابدأ بقراءة هذا النصّ بدون توقّف. ستشعر بالغرابة، ولكن ذلك يساعدك على التعرف إلى أدب الرؤى.

واستخلص الآن مختلف أقسام هذا الفصل. تجد عادة رؤية يليها تفسيرها على لسان ملاك.

تُرى الرؤية في 17/1-14، ولكنّ في 19-22 توضيحًا هامًا. فإقرأ بالتتابع 17/8، ثمّ 19-22، ثمّ 9-14. يرد التفسير في الآيات 15-18 ثمّ 23-28. لنعدّ إلى كل ذلك بمزيد من التفصيل.

هناك تعارض بين حيوانات وإنسان (ابن إنسان = إنسان). الحيوانات تخرج من الهاوية، وهي مأوى القوّات الشريرة، والإنسان يظهر في السماء. فقبل أن نعرف من تمثّله هذه الصُّور، نعلم أنّ الحيوانات شريرة تقف إلى جانب الشرّ، وأنّ الإنسان صالح يقف إلى جانب الله.

من تمثّله الحيوانات الأربعة؟ أنظر إلى التفسير الوارد في 17/17. ولماذا ذلك الاهتمام الخاص بالحيوان الرابع؟ لأنّ أهول الحيوانات يمثّل أنطيوخس الرابع الذي يضطهد اليهود. راجع الآية 25. من يمثّله الإنسان؟ أنظر إلى الآيتين 18 و 27. ما هي التغيّرات التي تطرأ على الحيوانات؟ وعلى الإنسان؟ كيف تكون هذه الرؤية رسالة إلى اليهود المضطهدين الذين يُفضّلون الموت على جحود إيمانهم؟.

◀ قيامة الأموات (دا 12/1 - 4)

هذا النصّ أوّل نصّ في الكتاب المقدّس يعرض لنا بوضوح أمر الإيمان بقيامة الأموات. لم تكن رؤيا حز 37 إلا صورة لقيامة الشعب. وأمّا هنا، فالمقصود هو القيامة الشخصية. هذا النصّ يُعبّر بوجه مختلف عمّا أثبت دا 7. لننظر ثانية إلى الوضع.

كان أنطيوخس الرابع يضطهد اليهود، وكان بعضهم يُفضّل الموت على التخلّي عن إيمانهم. هذا الأمر يُثير مشكلة خطيرة: لم يكن إسرائيل قد فكّر إلى تلك الأيام في وجود حياة بعد الموت. فلم تكن هناك لليهود حياة غير تلك الحياة الأرضية. والحال أنّ أولئك الشهداء يقبلون، في سبيل الله، أن يفقدوا هذا الخير الوحيد! فأجاب الله على لسان دانيال: " أنتم مضطهدون وتقبلون الموت: هذا هو وجه الأشياء المنظور. سأريكم الوجه غير المنظور. أنتم الذين يقبلون الموت، يا شعب قديسي العليّ، ستدخلون إلى المجد لحياة جديدة تمامًا، في ملكوت رابع لا يزول!".

ففي هذا لغتان وطريقتان هامتان للتعبير عن القيامة:

(دا 12) يستعمل المدى " قبل / بعد " : قبل الموت، كنتم يحيون، فأسقطكم الموت في الحفرة أو النوم. بعد الموت، ستخرجون من هذه الحفرة وتستيقظون". فالأشخاص هم هم قبل وبعد. لكن الحياة التابعة لن تكون كالحياة السابقة تمامًا، هذا ما يُعبّر عنه الكاتب بصور كونيّة: بهاء القبة الزرقاء....

يشدّد (دا 7) على هذه " الزيادة " خاصّة. وهو يستعمل المدى " تحت / فوق ". ففي الأرض " تحت " تُقتلون. ولكنكم ستدخلون بالقرب من الله " فوق " حياة جديدة تمامًا.

لابدّ من التذكّر بهذه الصور، حين تدرس قيامة المسيح، فإنهم سيستعملونها للتعبير عن تلك القيامة.

أمر هامّ، وهو أنّ ذلك الإنسان محرّد صورة، فإنّه يمثل مجموعة الذين يتكلمون على الله حتّى الموت. ولا بدّ من تذكّر ذلك حين يُصوّر يسوع كابن إنسان.

(92)

الحكمة في الشتات

سنتتهي بكتابين ألفا في الشتات: الواحد في بلاد بابل (باروك)، والآخر في مصر (الحكمة).

باروك (قانونيّ ثان)

يُنسب هذا الكتاب إلى باروك، أمين سرّ إرميا النبيّ. لكنّه مؤلّف في الواقع من أربعة أزمنة مختلفة وكُتّاب مختلفين. وهو في وضعه الحاليّ صيغة رائعة لحفلة توبة. يتبدئ بإثبات حالة، وهو أنّ خطايانا قد قطعت الصلة بالله (1/1 — 14). ثمّ يأتي تفكير في الخطية كمنفى بعيداً عن الله، ولا ملجأ لنا سوى حنان الله وأمانته (15/1 — 18/3). فيمكن التأمّل في حكمة الله التي هي الشريعة. ولا تُكتب الحكمة إلاّ بممارسة الشريعة (9/3 — 4/4). وأمّا الجزء الأخير، الذي تُذكرنا لهجته بأشعيا الثاني، فهو يُشجّع أورشليم ويُنبيئ بأنّ الله يمنحها نوره ورحمته، ثمّ تتمّ المصالحة (5/4 — 9/5).

يُمكنك أن تقرأ صلاة المجلّولين الرائعة (11/2 — 8/3) ولا سيّما التأمّل في حكمة الله: " **ظَهَرْتَ عَلَى الْأَرْضِ وَعَاشَتْ مَعَ الْبَشَرِ** " (32/3 — 1/4). ولن يُضيف يوحنا شيئاً على هذا حين يتكلم على يسوع.

الحكمة (قانونيّ ثان)

وُضِعَ هَذَا الْكِتَابُ بِاللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ فِي الإسْكَندَرِيَّةِ بِمِصْرٍ فِي حِوَالِي السَّنِينَ 50-30 ق. م. ، وَهُوَ أَحَدُ كُتُبِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ.

كَاتَبَهُ يُونَانِيٌّ طَوِيلُ الْبَاعِ فِي الْأَدَبِ الْيُونَانِيِّ، وَهُوَ يَهُودِيٌّ، عَاشَ بَعِيدًا عَنِ الْهَيْجَانِ الَّذِي عَرَفْتَهُ جَمَاعَةُ فِلَسْطِينَ حَوْلَ السَّلَالَةِ الْحَسْمُونِيَّةِ. فَمَارَسَ سِيَاسَةَ الْيَدِ الْمَمْدُودَةِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَفْكَرَ فِي دِينِهِ الْيَهُودِيِّ مِنْ خِلَالِ ثِقَافَتِهِ الْيُونَانِيَّةِ، كَمَا فَعَلَ بَعْدَهُ الْفِيلَسُوفُ الْيَهُودِيُّ فِيلُونُ الْإِسْكَندَرِيُّ، مَعَاصِرُ يَسُوعَ.

يُقَسَّمُ كِتَابُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

1 - الْمَصِيرُ الْبَشَرِيُّ بِحَسَبِ اللَّهِ (1 - 5)

مَا مَعْنَى الْحَيَاةِ؟ يَرَسُمُ لَنَا الْكَاتِبُ، بِكَثِيرٍ مِنَ الدَّقَّةِ النَّفْسَانِيَّةِ، مَوْقِفَيْنِ نَمُودَجِيَيْنِ. يَقُولُ الْبَعْضُ: وَلَدْنَا اتِّفَاقًا، وَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ، وَلَا شَيْءَ بَعْدَهَا. فَيُرِينَا الْكَاتِبُ إِلَى أَيِّ نَتَائِجٍ عَمَلِيَّةٍ قَدْ يَذْهَبُ بِنَا هَذَا التَّفَكِيرِ، مَنْ تَمَتَّعَ الْإِنْسَانُ بِالْحَيَاةِ وَسَحَقَ الْآخَرِينَ لِتَوْسِيعِ الْمَكَانِ لِنَفْسِهِ... يُضَيِّفُ الْكَاتِبُ أَنْ أَوْلَنِكَ هُمْ فِي الْوَأَقِعِ أَصْدِقَاءَ لِلْمَوْتِ، يَنْسُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ غَيْرَ قَابِلٍ لِلْفَسَادِ، إِذْ جَعَلَهُ صُورَةً لِلْمَوْتِ، وَمِنْ جِهَةِ أُخْرَى فَهَنَّا الَّذِينَ يَتَّكِلُونَ عَلَى اللَّهِ وَيَثْبِتُونَ فِي مَحَبَّتِهِ. أَجَلٌ، إِنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَتَأَلَّمُونَ وَأَحْيَانًا مَا يُضْطَهَدُونَ، وَلَكِنَّهُمْ، إِذَا مَا أَتَمَّوْا عَمَلَهُمْ، يُقِيمُونَ عِنْدَ اللَّهِ.

سَيُكْثِرُ الْمَسِيحِيُّونَ الْأَوْلَادُ مِنْ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ النُّصُوصِ الَّتِي تَعَكِّسُ بَعْضَ فِقَرَاتِ مِنْ أَقْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ، لِلتَّعْبِيرِ عَنِ مَوْتِ الْبَارِ عَلَى الصَّلِيبِ.

2- مَدِيحُ الْحِكْمَةِ (1/6 - 3/11)

سَنَعُودُ إِلَى إِحْدَى الْفِقَرَاتِ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ مِنْ قِرَاءَةِ كُلِّ هَذِهِ النُّصُوصِ حَيْثُ يُلَجُّ عَلَيْنَا الْكَاتِبُ أَنْ نَلْتَمِسَ حِكْمَةَ اللَّهِ الْمُحِبِّ لِلْبَشَرِ، كَمَا التَّمَسُّهَا هُوَ، وَأَنْ نَجْعَلَ مِنْهَا رَفِيقَةً لِحَيَاتِنَا، وَأَنْ نَعِشِقَ جَمَالَهَا... ثُمَّ إِنَّهُ يَتَنَاوَلُ، فِي صَيْغَةِ مِدْرَاشٍ عَجِيبٍ، بَعْضَ السَّاعَاتِ الْحَاسِمَةِ مِنَ التَّارِيخِ الْمَقْدَسِ، لِكَيْ يُبَيِّنَ أَنَّ مُسِيرَ التَّارِيخِ هُوَ الْحِكْمَةُ، فَهِيَ الَّتِي جَبَلَتْ أَدَمَ وَأَرْشَدَتْ سَفِينَةَ نُوحٍ وَسَاعَدَتْ إِبْرَاهِيمَ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَقْوَى مِنْ حِنَانِهِ لَوْلَدِهِ، وَقَادَتْ مُوسَى...

3- تَأَمَّلْ فِي الْخُرُوجِ (4/11 - 22/19)

تَكَادُ الْحِكْمَةُ تَخْتَفِي فِي هَذِهِ الْفُصُولِ. فَالضَّرِبَاتُ الَّتِي حَلَّتْ بِمِصْرٍ هِيَ عِقَابٌ لِلْبَعْضِ وَخِلَاصٌ لِلْبَعْضِ الْآخَرِ.

يسوع حكمة الله

عَلَى وَجْهِهِ مُبَسِّطٌ: سَاعَدَ الْأَنْبِيَاءَ الْمَسِيحِيِّينَ عَلَى اكْتِشَافِ رِسَالَةِ يَسُوعَ، أَيِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ. وَأَمَّا كُتُبُ الْحِكْمَةِ فَقَدْ سَاعَدَتْهُمْ عَلَى الشُّعُورِ بِكَيَانِهِ، أَيِّ بِمَا هُوَ.

ففى العهد القديم، تظهر حكمة الله أحياناً بمظهر شخص، ولكن ذلك مجرد صورة، كما الأمر هو عندما أقول: " عقلى فى القمر " (أى شارذ الذهن). إنى أجسد عقلى كما لو كان قادراً على التنزه بدونى، مع العلم بأنه ليس هو شيئاً آخر سواى، ففى إمكانى أن أنسب إليه صفاتى الحميدة وعبوبى. وكذلك حكمة الله ليست هى غير الله، بل هى الله بصفته حكيمًا. فلا بأس أن ننسب إليها صفات إلهية كثيرة، كالقدرة على الخلق، إلخ (حك 7).

وحين يقول المسيحيون أن يسوع هو حكمة الله، فذلك يُمكنهم أن ينسبوا إليه صفات هذه الحكمة، أى صفات الله نفسها.

(93)

▶ دَرَسْ نَصِّ: (حك 21/7 - 30)

من الصعب أن نقص نصًا معيّنًا، لأن الأفكار تتتابع، والأول أن يُدرس مجمل الفصول 6 - 10.

يتصرف الكاتب كأنه سليمان، الملك الحكيم، ويبيّن كيف أن كل ما كان عليه من صفات لم ينله بالولادة، بل لأنه صلى فحلّ عليه روح الحكمة. والذى علمه هو " مهندسة " كل شئ والتي نظّمته (22/7).

اقرأ هذا النص. كيف تظهر الحكمة؟ يُعرف لها بجميع الصفات الحميدة، كما يُعترف بها للحبيب أو للحبيبة (فى 22/7 — 23، ثلاث مجموعات لسبع صفات: أى صيغة التفضيل للكمال). بعض هذه الصفات مقصورة على الله فى الكتاب المقدس، والبعض الآخر كان منسوبًا عند الفلاسفة اليونان إلى المبدأ الإلهى الذى يسير الكون: بإمكانك أن تحاول الاهتداء إليها... ولكن بدون جدال، لأن الأمر غير واضح دائمًا وليس على جانب من الأهمية.

حاول خاصّة أن ترى، وأنت تنظر إلى تلك الصفات، ما هو وضع الحكمة بالنسبة إلى الله.

الآية 26 فيها كثير من الجرأة. فالصورة عند اليهودى تدل على نوع من التطابق وعلى الحضور.

حاول أن ترى، وأنت تنظر إلى هذه الصفات، ما هو دور الحكمة بالنسبة إلى خلق العالم وإلى البشر.

يُمْكِنُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْآنَ تَك 26/1 — 27 (خَلَقَ اللهُ لِلْإِنْسَانِ عَلَى صُورَتِهِ)
وَحِكْمَ 23/2. فَفِي تَك 26/7 الْحِكْمَةُ هِيَ صُورَةُ اللهِ. أَلَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ فِي
الْإِنْسَانِ نَسْخَةَ مَنْقُولَةٍ لِمَلَاخِ هَذِهِ الْحِكْمَةِ؟.

إِقْرَأْ 2 قُور 4/4 وَقُول 15/1، ثُمَّ 1 قُور 7/11 وَ 2 قُور 18/3 وَقُول
10/3. مَاذَا يُفِيدُنَا ذَلِكَ عَنِ الْمَسِيحِ؟ وَعَنْ دَعْوَةِ الْإِنْسَانِ؟.

بِمَاكَانِكَ فِي الْخَتَامِ أَنْ تُعِيدَ قِرَاءَةَ هَذِهِ الْفُصُولِ مُسْتَبَدَلًا فِي ذَهْنِكَ
كَلِمَةَ " يَسُوعَ " بِكَلِمَةِ " حِكْمَةَ " .

الترجمة السبعينية

يُطْلَقُ اسْمُ " السَّبْعِينِيَّةِ " عَلَى التَّرْجُمَةِ الْيُونَانِيَّةِ الْأُولَى لِلْعَهْدِ الْقَدِيمِ.

مصدر هذا الاسم أسطورة وردت في " رسالة أرسطي " وهو مؤلف
يوناني يرقى عهده إلى أواخر القرن الثاني ق. م. : يُقال أن 72 عالمًا
يهوديًا عملوا منفردين مدة 72 يومًا فوضعوا ترجمة واحدة في جميع
تفاصيلها! المُراد من ذلك أن تلك الترجمة كانت عجائبية وتمت بإلهام من
الله.

أما الواقع فإن هذه الترجمة تمت بين السنة 250 والسنة 150، عن
يد مترجمين مختلفين.

كانت جماعة الإسكندرية تتكلم اليونانية ولم تُعُدْ تفهم العبرية. وكما
أن النص العبري يُترجم في فلسطين إلى الآرامية (الترجوم: راجع
الصفحة 81)، فكذلك تُرجم هذا النص في مصر إلى اليونانية. ومن
الأرجح أن لهذه الترجمة أصلًا طقسياً وكثيراً ما هي تكيف أكثر مما
هي ترجمة. إنها قراءة جديدة للكتب المقدسة لجعلها حالية. هناك مثل
مشهور: أعلن أشعيا: " **إِنَّ الْمَرْأَةَ الْفَتِيَّةَ تَحْبِلُ وَتَلِدُ عَمَّائُونِيلَ** " (أش
14/4)، فترجمت: " تحبل العذراء "، وهذا ما حمل المسيحيين على
تطبيق هذا النص على مريم (متى 23/1).

هذه الترجمة على جانب كبير من الأهمية.

إنها أولاً ساعدت على أقلمة الإيمان اليهودي للفكر اليوناني فكوّنت
لغة للتعبير عنه. ذلك بأنّها استخدمت اللغة اليونانية المشتركة، ولكنها
صبغتها بعدد كبير من التراكيب المأخوذة من العبرية. وقد أكثر العهد
الجديد من استعماله هذه اللغة.

أصبحت " كتاب المسيحيين المقدّس " فهمّ تبثّوا لانحة كتبها 0
راجع " قانونية ثانية " في الصفحة 86) وكثيراً ما تبثّوا طريقة
تفسيرها للكتب المقدّسة. فكانت حلقة حاسمة مهّدت إلى التعبير الذي

(94)

8 - المزامير

نُهى " دورتنا السياحية " فى أنحاء العهد القديم بسفر المزامير.

لماذا نجعلها كلها فى فصل واحد؟ اجتهدنا حتى الآن أن نقرأ النصوص فى الحقبة التاريخية التى نشأت فيها. لماذا نعامل المزامير على خلاف ذلك؟. السبب بسيط، وهو أن تأريخ المزامير أمر شبه مستحيل. فالصلاة هى هى فى جميع العصور، والنصوص جُددت كتابتها. فالأفضل أن ندرسها جميعها فى وقت واحد.

سيساعدنا ذلك على أن نعرف كيف كان إسرائيل يُصلى، وسنجد فى ذلك ملخصاً مفيداً لرحلتنا: فلقد عبّر الشعب فى صلاته عن جوهر ما عاشه واكتشفه عن الله وعن وضعه الخاص فى العالم.

فالمزامير فى جوهرها صلاة وهى جواب الإنسان إلى الله الذى يناديه، فى كل وضع من أوضاع حياته.

صراخات بشرية

كتب الشاعر اليهودى شوراقى: " نولد وهذا الكتاب فى أحشائنا. كتاب صغير: 150 مزموراً، 150 درجة سُلم مشيدة بين الموت والحياة، 150 مرآة لتمرّداتنا وأماناتنا، لاحتضاراتنا وقياماتنا. إنه أكثر من كتاب، فهو كائن حى يتكلم - يكلمك - ويتألم ويئن ويموت ويقوم من بين الأموات ويغنى، على عتبة الأبدية...".

جميع صراخاتنا البشرية، من نشيد إعجاب أمام الطبيعة أو أمام الحب البشرى، وضيق أمام العذاب والموت، وانسحاق عن يد المجتمع، وتمرد أمام لا معقولية العالم أو صمت الله، جميع هذه الصراخات البشرية - صراخاتنا - نجدها فى هذا الكتاب، مقدّمة لصوتنا كـ " كلمة الله "! وهى تعلمنا أن الله حاضر، حتى فى أحلك وضع من تمرّدنا، وأنه يصرخ معنا وبنّا، وأن التسيب والتجديف قد يكونا صلاة، إن كانا حقيقيين وإن عبّرنا عما نعيشه.

أسلوبان لغويان

يُمكننا بالاختصار أن نُميِّز بين لغة الإعلام أو العلم ولغة العلاقة. إليك مثلاً: الولد في السرير وينادي أمّه: "ماما، أنا عطشان". من أيّ طراز هذه الجملة؟ لعلمها من طراز الإعلام، أي أنّ العبارة "أنا عطشان" تصف الوضع بدقة. فالأمّ تجيب باللهجة نفسها وتقول: "تقوم وتأخذ كوب ماء"، والولد ينام. إن كانت الجملة من طراز العلاقة، فالولد يعود فيقول بعد أن يشرب: "ماما، أنا عطشان" أو "أشعر بالحر". فعبارة "أنا عطشان" تعنى فى هذه الحال: "أنا عطشان إليك، إلى حضورك".

فى اللغة العلميّة أو الإعلاميّة، تُعبّر الكلمات عمّا تعنيه. أمّا فى لغة العلاقة، فالكلمات تعنى شيئاً آخر. أمّا فى لغة العلاقة، فالكلمات تعنى شيئاً آخر. إنّ العاشق الذى ينادى "عينه" أو "روحه" لا يُعبّر عن وضع من الأوضاع، بل عن طراز علاقة، كما أن صاحب المزامير يسمّى إلهه "صخرتى وحصنى".

هذا الفرق بين هذين الطرازين للغة أمر هامّ لصلاة المزامير، وبوجه أشمل، لقراءة الكتاب المقدّس. فكلمة الله هى عادة من طراز العلاقة، لا من طراز الإعلام. أجل، إنّ الكتاب المقدّس يريد أن يُعلّمنا بعض الأشياء، ولكنّه يريد، قبل كلّ شئ أن يُدخّلنا فى علاقة شخصيّة مع الله. الكتاب المقدّس ينادينا. فإنّ لغة الإعلام تُخاطب عقولنا، لكنّها كثيراً ما لا تُغيّرنا شخصياً. إنّ كان الولد عطشان فى الحقيقة، فالأم لا تضطرب. أمّا لغة العلاقة، فإنّها تُغيّرنا. وعبارة "أنا عطشان" تحمل الأم على التحرك وتنادى غريزتها الأموميّة.

أمام شئ من الأشياء أو حركة من الحركات، يحملنا عقلنا العلمى على التساؤل: "ما هذا؟" والشاعر أو إنسان الكتاب المقدّس يسأل: "ما معنى هذا؟". إنّ أرى أستاذ العلوم الطبيعيّة زهرة لإحدى تلميذاته، يكون السؤال طبعاً: "ما هذه؟ من أى نوع هى؟" ولكن، إنّ كان مقدّم الزهرة للنبات نفسها صبيّاً، يكون السؤال مختلفاً تماماً...

(95)

فمن الجوهرىّ إذا، عندما نفتح سفر المزامير، بل الكتاب المقدّس كلّهُ، أن نتذكّر هل نحن أمام لغة العلاقة. هناك صور أو عبارات يجب ألا نحاول أن نفهمها كخبر بالمعنى العلمى، بل أن نحلّ رموزها كمناداة. وهى تحدّثنا بالنسبة إلى خبرتنا الشخصية. فالكلمة الواحدة تعنى شيئاً للفلاح الذى تكسرت سكة محراثه على "صخرة" بارزة، وشيئاً آخر لمتسلق الجبال الذى، بعد أن ارتعب على صخرة متفسّخة، وصل أخيراً إلى صوّان متين المسكة. نجد هذين الوجهين فى الكتاب المقدّس: فالله هو "الصخرة" التى يتحطّم عليها الإنسان إن لم يراعها، وهو أيضاً "الصخرة" الراسخة التى يجد الإنسان فيها الأمان.

لغة خاصة بحقبة معينة

تتغير الصور الشعرية مع الحضارات. كانت " حركة الزارع الجلييلة " من الأمور التي تهزّ مشاعر أجدادنا. أمّا اليوم ونحن في عصر المزرع الميكانيكي، فلم يعد لها معنى.

والكتاب المقدس يُعبّر عن كلّ شيء في ثقافة زمنه. وهذه الثقافة لم تعد ثقافتنا، وهذا ما يُشكّل أحياناً صعوبة كبيرة. لكنّ الحواشي والفوائد التي قد تجدها في كتابك المقدس تساعدك على إدراك معنى بعض الرموز.

والأساليب الشعرية تختلف هي أيضاً. ولقد سبق أن ذكرنا شيئاً عنها (الصفحة 30). وهذه الأساليب قد تروقك أو قد تضايقك... ولكن لا بقدر أكثر ولا بقدر أقل من بعض القصائد العصرية.

ترقيم المزامير

للكتاب المقدس اليوناني، ومن ثمّ للترجمة اللاتينية والترجمة العربية القديمة، ترقيم يختلف عن ترقيم الكتاب المقدس العبري، وهو ترقيم اتبعته أكثر الكتب المقدسة العصرية... فحيثما يختلف الترقيم، فذلك بأن رقم الترجمة العربية القديمة متأخر بعدد واحد.

فانتبه إذا عندما تُحال إلى أحد المزامير.

وفي أيامنا يزداد عدد الكتب المقدسة العصرية التي تتبني ترقيم الكتاب المقدس العبري (وهو الذي نتبعه في هذا الكتاب).

الفنون الأدبية

اجتهد أهل الاختصاص في تحديد مختلف الفنون الأدبية في المزامير. وهذا أمر هامّ لمن يُريد أن يفهمها، وبالأحرى لمن يريد أن يُصلّيها. مَنْ اطّلع على الفن الأدبي في مزمور من المزامير، علم كيف يستعد لملاقاة الله.

أمّا التبويبات التي يقترحها أهل الاختصاص، فهي تختلف في تفاصيلها، ولكنها تتوافق في خطوطها العريضة. ولعلك تجد في المدخل إلى سفر المزامير في كتابك المقدس تبويباً وتوزيعاً للمزامير بحسب هذه الفنون.

هذا الفصل يساعدك خاصّة على الدخول في صلاة المزامير. ولذلك تجدها مقسّمة إلى مواضيع أكثر ممّا هي مقسّمة إلى فنون أدبية (ولكن كثيراً ما يتوافق التقسيمان).

لا نطمح إلى درس وافٍ لمجموعة المزامير، بل أننا، ونحن نقرأ عدداً من المزامير بعضها للاستمتاع وبعضها الآخر نظراً لأهمّيّتها

اللاهوتية ولصعوبتها، نجتهد أن نكتشف كيف أن هذه الصلوات القديمة لا تزال صلواتنا.

بعض مواضيع الصلاة

- صلاة تسبيح الله المخلص والخالق.
- صلاة تسبيح الله القريب: يسكن عند شعبه (أورشليم، الهيكل) ويسكن في شعبه (الشرعية).
- صلاة رجاء. إن الله ملك وسيقيم ملكه العادل. بفعل ذلك عن يد ملكه المشيخ المتمثل بالملك الأرضي.
- صلاة طلب وشكر. لا فصل بين الوجهين في نظر إسرائيل.
- صلاة للعيش. تضم هنا عدة مواضيع نشأت عن تفكير الحكماء: كيف يعيش الإنسان وضعه البشري الشاق؟.

وقبل ذلك، تساعدنا مزامير المراقى على أن نكون لأنفسنا تصورًا أوليًا للمزامير.

وستجد لكل موضوع بعض المعلومات العامة على صفحة ودعوات إلى قراءة بعض المزامير في الصفحة التالية.

(96)

مزامير المراقى (مز 120 إلى 134)

في كتاب المزامير تبرز مجموعة صغيرة رائعة، وهي عبارة عن 15 مزموراً قصيرة كلها نضارة، تحمل عنواناً واحداً وهو "نشيد المراقى"، لأنها تُنشد أثناء الصعود إلى أورشليم لأعياد الحج الثلاثة. هي المزامير 120 إلى 134 (لكن المزمور 132، وهو يختلف عنها، ليس واحداً منها).

تنتمي هذه المزامير إلى فصائل مختلفة. وستساعدنا على التعرف إلى هذه الفصائل وعلى اكتشاف الشعر العبري ولا سيما مشاعر الكتاب الدينية.

ابدأ بقراءة هذه المزامير، للاستمتاع فقط.

ويمكنك بعد ذلك أن تعود إليها لدرسها من مختلف الوجوه.

الفنون الأدبية

في آية فصيلة تضع كلاً من هذه المزامير؟

تجد فيها صلوات اتكال، استغاثات فردية أو جماعية، صلاة عرفان جميل، نشيد من نوع نشيد صهيون، عدة مزامير تعليم ومزمورًا طقسياً.

حاول أن تهتدي إلى بعض الملامح لكل من الفصائل، مع العلم بأن الحدود دقيقة أحياناً: فقد تنتقل في صلاة واحدة من التوسل إلى التوكل.

الشعر العبري

• الإيقاع. في الشعر العربي، أبيات القصيدة تكون كلها من بحر واحد، ولكل بحر وزن معين. أما في العبرية، فالمبدأ يختلف. وذلك بأن الصوت يرتفع وينخفض على بعض المقاطع الصوتية، ولا يؤخذ بعين الاعتبار إلا عدد ارتفاعات الصوت هذه. فقد يكون لها عدد واحد في جميع الأبيات (مثلاً 3 + 3) أو يختلف عددها (مثلاً 2 + 3). إليك مثلاً:

وشكواي تَبِين (2)
يا ملكي و إلهي. (2)

إلى أقوالِي ياربِ إصْنَع (3)
إنصتِ إلى صوتِ نِدائِي (3)

في هذا المقطع الشعري يرتفع الصوت على المقاطع الصوتية التي تحتها خط مزدوج. ففي البيت الأول 2 + 3 وفي البيت الثاني 2 + 3.

• التوازي. أن الأسلوب القائم على تكرار الشيء الواحد على مرتين بصورة مختلفة هو أسلوب مألوف جداً في الشعر العبري. حاول أن تجد أمثالا في هذه المزامير (مثلاً 8/122 - 9).

• الكلمات - العلاقات. قد تبدأ كل جملة من الجمل بإحدى كلمات الجملة السابقة. فكأن الجملة تتعلق بالكلمة. راجع المزمور 121 مثلاً.

كيف نصلي معاً انطلاقاً من مزمور؟

من الواضح أن ليس هناك وصفات، وأن على كل واحد، بمفرده أو مع فريق، أن يبتدع طريقته. نكتفي هنا بذكر ما يمارس هنا وهناك.

يجتمع الفريق (المحيط له أهميته: طريقة الجلوس، الأيقونة ...) يقوم أحدهم بقراءة المزمور بصوت عال، ثم يعيد كل منهم قراءته بصمت، مرة، مرتين، عشر مرات، مستوعباً إياه. وبعد زمن يختلف طوله من هذه الصلاة الصامتة، يكرر الواحد ثم الآخر إحدى الآيات التي أثرت فيه، معيداً قراءتها أو معبراً عنها بكلماته الخاصة. وهناك كثير من آيات المزمور وألفاظه وصوره، إذا ما أعيدت قراءتها أو كابتها،

وامتلات من حياة كل من أعضاء الفريق، تتخذ معنىً جديداً وتُنعش صلاة كل واحد منهم. لا تخف من أوقات الصمت، فليست أوقاتاً عقيمة، بل هي لحظات تُصبح فيها كلمة الكتاب المقدس كلمة أخ فتدوى وتوقظ كلمتنا.

من الممكن أحياناً أن تُشدد عفويًا لازمة ترتيبية معروفة. ومن الممكن أحياناً أيضاً أن يُستشهد ببعض الآيات الإنجيلية، وهذا ما يُعبر عن التيقن من أن المزامير هي صلوات المسيح أيضاً.

(97)

الصور

بإمكانك أن تدرسها على صعيدين.

أيا هي؟ عن أي بيئة اجتماعية واقتصادية وثقافية تكشف؟ فهي توحى، على سبيل المثال، بالحياة العائلية (أم / ولد وسيدة / خادمة)... والحياة القروية المتصلة بالطبيعة (حارس وأسهم وبناء بين وحصاد ...) ودهش رجل الريف، عندما يكشف المدينة الواسعة ذات المباني الضخمة والمتينة! وهذه الصور تُظهر لنا قريحة شعبية عن الواقع: " كادوا يبتلعونا أحياء...".

حاول أن تعرف ما " تعنى " هذه الصور:

- أي وجه لله يظهر في هذه المزامير؟ ما هي صلته بالإنسان؟ ربّ عبارة بسيطة مثل " **الرّب يحفظك في ذهابك وإيابك من الآن وللأبد** " (8/121)، تُعبّر بطريقة رائعة عمّا نسميه " العناية الإلهية "، عن وجود الله في المكان والزمان اللذين يقوم عليهما التاريخ البشري.
- ما هو جواب الإنسان لمحبة الله هذه في الحياة العادية والمحن اليومية والشدة؟ أي شعور بالخطيئة يُعبّر عنه؟ أنظر كيف أنه، في جميع لحظات حياته العائلية والمهنية، يعيش متّحداً بالله: فكلّ شئ يُشير إلى الذي يُحبه.
- ما معنى الحج وأهمية أورشليم والهيكل، وهما المكان الذي يحضر فيه الله؟.

الارتباط بالكتب المقدسة

يُمكننا أن نرى كيف أنّ هذه المزامير تتناول روحانية حزقيال والتاريخ الكهنوتي (تقوى مركزة على حضور الله في هيكله) وكيف أنها تتفق مع سفر تثنية الاشتراع الذي يُعبّر عن حضور الله في الحياة اليومية العادية وكيف أنها تتناول بطريقة أبسط وبالصور إيمان أشعيا الثاني بالله الخالق والقريب من الإنسان بمحبته، أو تلك النظرة في صلاة الشكر عند طوبيا...

على صعيد العمق، تُعزف أناشيد المراقى هذه على مَدَى رُباعى: يُحتفل بالصعود الحالى إلى أورشليم - وهذا الحج هو أيضًا لإحياء ذكرى الصعود الأوّل من مصر عند الخروج - والصعود من بابل فى نهاية الجلاء - والصعود الحالى هو صعود مُسبق للشعوب إلى أورشليم فى نهاية الأزمنة (راجع أش 60 - 62).

صلاة مسيحية

كيف استطاع يسوع أن يُصلى هذه المزامير؟
كيف نستطيع أن نُصليها اليوم؟.

مساكين الله

للفقر فى الكتاب المقدس معنيان يجب التمييز بينهما.

الفقر هو أولاً وضع ملموس من الحرمان. وهو شرّ، لا بل حجر عثرة، لأنّه يدلّ على أنّ ملكوت الله لم يأتِ حتّى اليوم، إذ لا يزال هناك بؤساء وأناس يُعانون اللا عدالة. إنّ أنبياء زمن الجلاء خاصّة يُبنون بحلول ملكوت الله: وعندئذ لن يبقى فقراء (راجع الصفحة 67). من هذه الوجهة يجب أن ننظر إلى التطويبات الواردة فى إنجيل لوقا.

ويُنظر أحيانًا إلى الفقر كموقف روحى، أى كموقف الذى يُسلم أمره إلى الله، بعد أن اختبر عجزه وفقره، وهذا الفقر هو الفقر الباطنى. وهؤلاء الفقراء أو المساكين، هؤلاء " العناويم " (جمع " عنو " أى فقير)، هم الذين تُصرّح التطويبات الواردة فى إنجيل متى بأنهم سعداء.

يظهر هذا المثال الأعلى للفقر الروحى بوضوح فى سفر صَفَثيا (راجع الصفحة 61) وسينمو عند العودة من الجلاء ويدلّ على طبقة من الناس البسطاء والمتأصلين فى الإيمان والبعيدين عن المسائل السياسية الدينية التى كان عظماء الكهنة ينصرفون إليها، ومن أمثال أولئك المساكين زكريّا وأليصابات وسمعان وحنّة ومريم...

أنّ مزامير المراقى، هى التى ألفت بعد الجلاء، تُعبّر تعبيرًا وافياً عن هذه الروحانية.

كانت حياة ذلك المسكين، ذلك الوضع والفقير بالروح، حياة بسيطة جدًا. كان قرويًا قريبًا من الطبيعة، يتمتّع بأوضاع أفراح العائلة وبالصدافة بين الإخوة والسلام. لم يكن قادرًا على التعبير عن مشاعره بكلمات عويصة، وكانت صورته تكشف عن عمق شعوره الدينى. فكلّ شئ كان يحدثه عن الله ويُبلّغه محبته. سيتكلم يسوع على هذه الطريقة فى الأمثال.

كان ذلك الإله إلهًا شخصيًا، قريبًا من الإنسان، يحميه فى جميع نشاطاته ويسهر عليه ويصفح عن خطاياهم. وكان المسكين يتجاوب معه

كان ذلك الإله يسكن فى وسط شعبه، فى هيكله فى أورشليم. فكانت حياة كلّها حجاً. كان إسرائيل شعباً يسير إلى المكان الذى يسكن فيه إلهه. كان يسير منذ الخروج من مصر، لأنّ الله حرّره، منذ الخروج من بابل. كان يسير حتّى ذلك اليوم الذى تلتقى فيه جميع الشعوب فى وحدة الإيمان وفى فرح الإله الواحد والاتحاد به.

(98)

صلاة تسبيح للإله المخلص والخالق

فى حياتنا نرغب فيها أن نغتنى، لأنّ العالم جميل أو لأنّ أحدًا يحبّنا أو لأنّ صديقًا يصفح عنا فيرفع عنا عبئًا ثقيلًا يفوق طاقتنا... وفى حياة شعب ساعات ابتهاج يُشرّع فيها الغناء: مثلاً حين مشى أول إنسان على القمر... قد يكون التسبيح غناءً شخصياً أو انفجار ابتهاج جماعى تتردّد فيه اللزمات والشعارات، يبقى أنّه يرافق جميع الأعياد فى جميع العصور، مهما اختلفت مظاهره.

وفى إسرائيل، يبرز أو ينفجر التسبيح فى معظم المزامير، وهو يظهر فى الأناشيد فى وضعه الخالص، ولكنّه حاضر فى ترانيم الشكر ومزامير التعليم وحتّى الصلوات الابتهالية. وهذه إحدى الميزات الجوهرية التى يمتاز بها إنسان الكتاب المقدّس أمام إلهه. فمهما كانت أوضاع المؤمن الملموسة، سواء أكان فى الفرح أم فى الحزن، سواء أكان فى حالة الألم أم فى حالة الخطيئة، فإنّه يحيا حياته فى حضرة إله لا يسبّغه إلا أن يتغنّى بجماله ورأفته.

لا ينشأ التسبيح نتيجة للتفكير، بلّ هو عبارة مندهشة عن سرور الإنسان الذى يعرف أنّ الله يُحبه ويقول له: " **إِنَّكَ عَزِيزٌ فِي عَيْنِي، وَلكَ وَرَنٌ لَأَنّى أَحَبُّكَ** " (أش 4/43).

الإله المحرّر

سبق لنا أن رأينا أن إسرائيل اختير أولاً التحرّر والخلص وأنّ إلهه هو الإله الذى ينشله من العبودية. حفظت لنا كتب غير سفر المزامير بعض الأغاني العريقة فى القدم، منها اللازمة الوجيزة التى أنشدتها مريم وهى ترقص لفرح الشعب عند الخروج (خر 21/15). أو الترنيمة الرائعة التى أنشدتها دبورة النبية وهى تتغنّى بالانتصار المحرّر فى حوالى السنة 1225 فى سفح جبل تابور (قض 5).

وعندما كان الشعب يُشيد بعجائب الله أثناء الأعياد الطقسية، كان يجددها ويجعلها حالية ويشترك فيها. كان يُحيى شعوره بأنه الشعب الذى اقتناه الله ويُجدد إيمانه بالعهد ورجاءه. فإنه كان يذكر الله بتحريراته الماضية ويدعوه إلى أن يكملها بتحريرات جديدة.

الإله الخالق

واكتشف إسرائيل بعد ذلك أن الله يستطيع التدخل فى التاريخ، لأنه سيده ولأنه هو الذى خلق العالم. سبق لعاموس النبى أن استشهد بترنيمية جميلة للإله الخالق (عا 13/4 و 9-8/5 و 6-5/9، راجع الصفحة 47). وسيجعل أشعيا الثانى من ذلك قاعدة تفكيره اللاهوتى.

بنية هذه الصلوات

بنية هذه المزامير بسيطة جداً. تبدأ المزامير بدعوة. وهى حث على التسبيح. يليها التوسيع (ويبدأ بـ " فإن " أو " هو الذى... ") الذى يُعلن العجائب التى صنعها فى التاريخ أو صفاته. وأما الخاتمة، فإنها تتناول الدعوة مرة ثانية، بصورة واسعة أو شخصية، وكثيراً ما تنتهى ببركة أو بهتاف: " هللوا " (سبحوا الله) للأبد.

صلواتنا

لن يصعب علينا أن نصلى هذه المزامير. قد تكون الصعوبة الوحيدة على الصعيد الثقافى، فإننا نستغرب بعض الصور (لكن روايات خلق العالم قد عودتنا هذا النوع من الصور)، ولا شك أن بعض التلميحات إلى أحداث تاريخية سنُخفى علينا. ولا بأس، فإذا كنا نجهل بعض التفاصيل عن حياة أجدادنا، فلا يعنى هذا أننا لسنا متضامنين معهم. وكذلك فمن شأن هذه الأناشيد، أيا كانت التفاصيل، أن تُرسخ فىنا اليقين من أن تاريخ شعب الله هو تاريخنا، ومن أننا متواصلون فى عجائب الله هذه، من الخروج من مصر إلى الخروج الجديد فى المسيح يسوع.

عناوين المزامير

فى مطلع معظم المزامير معلومات عن تأليف وعن الفن الأدبى، وكثيراً ما يصُغّب علينا فهم معناها.

المؤلف. يعنى حرف الجر الذى يسبق الاسم أن المزمور يُنسب إلى هذا المؤلف أو أنه ينتمى إلى مجموعة مزامير تحمل هذا الاسم. ذلك بأنهم، حين جدّوا قراءة المزامير، شعروا بميل إلى إدخالها فى سياق حياة الشخصيات الكبرى.

وكثيراً ما حدّوا على أية آلة تُعزّف، وهذا ما يُرشد إلى فنّها الأدبى.

◀ إله الخروج (مز 114)

- الدعوة: هليلويا! سبحوا الله.
- التوسيع: الآيتان 1-2: هدف الخروج الأول: يريد الله أن يجعل من الشعب مقدّسه، يريد أن يسكن في شعب مؤمنين (راجع حزقيال في الصفحة 66 وناتان في الصفحة 42).
- الآيتان 3-4: عجائب الخروج الأول.
- الآيتان 5-6: يتدخّل الكاتب ويحثّنا على التساؤل عن هذه العجائب.

الآيتان 7-8: عجائب الخروج الثاني: التحرّر من بابل، وهو على الأقلّ معنى محتمل. فالكاتب يستوحى من أشعيا الثاني (أش 15/41 و 15/42 و 20/43 ...) فيتغنّى بالخروج الجديد.

- صلاة يسوع: كان من السهل على يسوع أن يستشهد بهذا المزمور للكلام على " **خروجه الذي سييتمّ في أورشليم** " (لو 31/9).

† الصلاة المسيحية: كيف نستطيع اليوم أن نصلى هذا المزمور؟ لقد عبّر العهد الجديد (يو و 1بط و رؤ) عن حياتنا وكأنّها خروج: أى معنى يتخذ وجودنا على الأرض من هذا التعبير؟ وفي إمكاننا أيضاً أن نصلى إلى المسيح صخرتنا وينبوع ماء حىّ (راجع 1قور 4/10).

◀ إله المظلومين (مز 113)

- الدعوة: الآيات 1-3: من المدعوّ إلى التسبيح؟ وأين؟
- التوسيع: الآيتان 4-6: على أى صفات يُسبّح الله؟
- الآيتان 7-9: قارن بين هذه الآيات وآيات 1 صم 1-2/10 المحتوية على " البشرى " الذى أعلنها أشعيا الثاني (راجع الصفحة 67) والتطويبات. بماذا تُنبئ هذه الآيات؟
- صلاة يسوع: هذا المزمور هو الأول لمجموعة (مز 113-118) تُسمّى " هلل " (تسبيح) والتي كانوا ينشدونها فى طقسوس الأعياد الثلاثة الكبرى. فلا شك أن يسوع قد أنشدها مساء الخميس المقدّس (مز 26/14). كيف كان فى إمكانه أن يجعل منها صلاته؟
- الصلاة المسيحية: كيف يريد الله أن يظهر عظّمته؟ كيف نعبر اليوم عن الآيات 7-9 (كرامة الفقير والمظلوم)؟ هل نستطيع أن نصلى هذا المزمور دون أن نحاول بأعمالنا، أن نكون صادقين فى طلبنا؟

◀ مجد الله الإنسان الحىّ (مز 8)

- الدعوة: الآية 2: وتكرّر في الختام الآية 10
- التوسيع: الآيتان 3-5: يتغنّى الكاتب بعظمة الله. قد يجب ترجمة المطع على الوجه التالي: أريد أن يكون غناني بمجدك فوق السماوات أفضل من غناء الأطفال والرُضّع. لا شك أن هؤلاء الأطفال هم الكواكب التي تغنّى في صباح العالم (أي 6/38 و 35/3). فإشادة الإنسان بالله أفضل من إشادتهم. و " مأوى " الله هو السماء. والكاتب يتصور خلق العالم كأنه انتصار على الخوى، كما جاء في تك 1. الآيات 6-9: أدخل الإنسان في الآية 5، فأصبح الآن في المركز. لكن الله يبقى الفاعل لجميع الأفعال. فالمناداة بعظمة الإنسان هو مناداة بعظمة الله. وفي هذا النشيد نكون في منتصف الطريق بين روايتي خلق العالم (تك 2 و 1).
- سيُستشهد أكثر من مرّة بهذا المزمور في العهد الجديد (أنظر إلى المراجع في هامش كتابك المقدّس).

◀ الخليفة مجد الله (104)

يستوحى الكاتب من نشيد مصرى إلى الإله الشمس، المؤلّف في حوالي السنة 1350. وستساعدك المقطعات الواردة في الصفحة 18 على المقارنة بينهما. فمن الممكن للصلاة البشرية أن تُصبح صلاة إلى الله الحي، كما أنه يُمكن للخبز اليومي أن يصبح جسد المسيح. لكن صاحب المزمور يُعيد التفكير في صلاته بالنسبة إلى إيمانه وإلى رواية خلق العالم (تك 1).

- الدعوة: الآية 1.
- التوسيع: الآيات 2-30.
- إقرأ أولاً هذا النصّ للاستمتاع. ثمّ قارن بينه وبين النشيد المصرى: ما هي الصلات التي تراها بينهما؟ قارن بينه وبين رواية تك: 1 هل ترى كيف يتّبع أيام خلق العالم؟
- الخاتمة: الآيات 31-35: التسبيح الشخصي في الفرح والطموح إلى عالم يكون في آخر الأمر محرراً من الشرّ.
- الصلاة المسيحية: بالمسيح ومن أجله خلق الله كلّ شئ (قول 15/1-18). وبنسبته وروحه يهب لنا الحياة. ويُصبح الخبز والخمر رمزاً إلى عالم أعيد خلقه في الروح.

(100)

صلاة تسبيح للإله القريب جداً

إنّ الله هو الإله " المُختلف " عن كلّ شئ، سيّد التاريخ والخالق. ولكن هناك عجيبة لا ينقطع إسرائيل عن الافئتان بها، وهي أنّه جعل نفسه قريباً جداً من الإنسان. فهو يسكن عند شعبه: في أورشليم وفي

هيكله: وهو مكان حضوره الذى يصعد اليهود إليه حاجين. وهو يسكن فى شعبه: " لَيْسَتْ الشَّرِيعَةُ بَعِيدَةً عَنْكَ وَفَوْقَ طَاقَتِكَ، بَلَّ الْكَلِمَةَ فِي قَلْبِكَ لِتَعْمَلَ بِهَا " (تث 11/30 ت). نجمع هنا بعض المزامير التى يقسمها أهل الاختصاص إلى فنون مختلفة: مزامير صهيون ومزامير الحج ومزامير التعليم...

عمانوييل: الله معنا

هناك مزامير تُشيد بسعادة الإنسان أن يكون مدعواً عند الله ويكون ضيفه ومن مقرّبه. لا بد من الانتباه إلى هذه العبارات: كان مع، معك، كان ضيفك، سكن فى بيته، كان فى كنف الله، الله أمامى، تحت جناحك... يمكننا أن ندرس المزمور 139.

الله حاضر فى هيكله

إنّ أورشليم - أو صهيون وهو الجبل الذى بُنيّت عليه المدينة - والهيكل هما المكان الذى يحضر فيه الله لشعبه. عندما قرأنا دعوة أشعيا (الصفحة 42) أو النصوص الكهنوتية فى حضور الله على تابوت العهد (الصفحة 71)، أدركنا ما أعظم الانطباع الذى كان الشعب يشعر به أمام هذا الحضور.

كانوا يصعدون إلى أورشليم ثلاث مرّات فى السنة، فى أعياد الحجّ (الفصح والعنصرة ولا سيما الأكواخ) فكانوا يختبرون هكذا الاختبار الجماعى حول الله. ولكن كان هناك خطر يهددهم، وهو أن يجعلوا من حضور الله شيئاً سحرياً يُغنى عن السير بحسب البرّ. كان بعض الأنبياء، مثل إرميا، قد لفتوا نظر الشعب إلى خطاياهم (الصفحة 62) وكان الجلاء وما رافقه من خراب الهيكل قد ساعد الشعب على أن يفهم أنّ هذا الحضور الإلهى ليس هو مضموناً تلقائياً، فالله لا يسكن أولاً فى مكان، بل فى شعب مؤمنين.

† الصلاة المسيحية. أصبح حضور الله حضوراً حقيقياً فى يسوع المسيح، هيكلنا الحقيقى. وأمّا الكنيسة فهى جسده المنتعش بروحه. وهذه الصلوات تذكّرنا بأنّ الكنيسة هى شعب يسير إلى أورشليم السماوية، تلك المدينة النهائية التى يزول عنها الشرّ لأنّ الله يكون كلّ شئ فى جميع الناس.

الله حاضر بشريعته

للشريعة سمعة سيئة فى أيامنا، وللطاعة كذلك. لم تكن الشريعة فى نظر إسرائيل أوامر ووصايا، بل كانت كلمة، كلمة رقيقة كابتسامة امرأة تجيب على الحب، صارمة ككلمة رئيس فريق يوزع العمل المشترك، ودقيقة ككلمة الدليل الجبلى الذى يُلفت النظر إلى المسكة المتينة الوحيدة الموجودة على صخرة هشّة. وهذه الكلمة " إسمع يا إسرائيل . إسمع وأطع يا إسرائيل " لا تختلف عن " أحبّك ... وأنت؟ "

الطاعة هي الوقوف تجاه الذى ينادى للإصغاء إليه، وهي التأهب من صميم القلب لتقبّل كلمته، لكى تدوى هذه الكلمة فى قلب الإنسان فتبعث منه جواباً يأتى من صميم القلب. وبهذا المعنى، فالحوار بين حبيبين هو " طاعة " متبادلة.

من الأمور الجوهرية أن نتذكر ذلك لنتمكّن من تبني " صلوات الطاعة " هذه ونفهم كيف استطاع أولئك المؤمنون أن يتغنّوا بالشرعية بمثل هذه الرقة، كما الأمر هو فى المزمور 119.

✠ الصلاة المسيحية. أصبح سهلاً علينا الآن أن نصلى هذه المزامير. فإن الشريعة عندنا صارت أحداً: يسوع المسيح، كلمة الله التى يودعها الروح فى قلوبنا. ومن شأن تلك الكلمات القديمة أن تساعدنا على أن نُعبّر له عن الحبّ الذى يوحى به إلينا.

صلاة من الليتورجية اليهودية

" أحببتنا حباً وافراً، أيها الربّ إلهنا، ورحمتنا رحمة عظيمة فائضة، يا أبانا وملكنا. من أجل اسمك العظيم ومن أجل آباتنا الذين جعلوا ثقتهم بك والذين علمتهم وصايا الحياة، سامحنا نحن أيضاً. يا أبانا الرحيم، ارحمنا وضع فى قلوبنا أن نفهم ونسمع ونتعلم ونعلم، وأن نسهر بمحبة على العمل بكل ما فى توراتك من أقوال تعليم. أنر عيوننا بوصاياك، ولتلمّز توراتك قلوبنا ولتتحد قلوبنا فننقى اسمك... اخترتنا من جميع الشعوب وقربتنا من اسمك العظيم فى الأمانة. تباركت، يا ربّ، أنت الذى اخترت شعبه إسرائيل فى المحبة ".

(101)

◀ يا ربّ، إنك تعرفنى.. (مز 139)

من لم يحلم بأن يكون معروفاً كما هو، بخصاله الحميدة ونقائسه، وأن يكون محبوباً كما هو؟ والمؤمن يعرف أنه معروف ومحبوب عند الله على هذا الوجه.

لكنّ هذه الألفة ليست بالأمر المريح. فقد يشعر الإنسان برغبة فى الهرب من تلك الكلمة التى يفوق ثقلها طاعة الإنسان، كما حدث لإرميا (الصفحة 62).

• الأبيات 1-18: لاحظ الصُور والعبارات المعبّرة عن القُرب والألفة. ومن معانى التواضع أيضاً أن يعترف الإنسان بأنه أروع هدية يُعطينا الله إيّاها: " أَحْمِدُكَ يَا رَبَّ عَلَى أَنَّكَ جَعَلْتَ مِنِّي هَذِهِ الْعَجِيبَةَ الْمُدْهِشَةَ ".

- الآيات 19-22: تبقى هناك مسألة تؤلم ذلك المؤمن: لماذا الشر؟ أنه يسأل الله، بصورة قد نجدها ساذجة، أن يُدمر كل ما يقاوم إرادته.
- الآيات 23-24: ولذلك تأتي صلاته الأخيرة محرّكة لمشاعرنا، إذ نراه يعترف بأنه غير متأكد من السير على الطريق المستقيم ومن الثبات فيه، فيسأل الله أن يرعاه.
- † الصلاة المسيحية. قد غمرنا الله بكلّ نعمة فى ابنه الحبيب (أفسس 6/1). فيه نستطيع أن نصبح أبناء ونعرف شيئاً عن ألفته بالأب، والروح الذى يجعلنا نصلى فنقول: " يا أبته ". ونحن نعلم بأن الابن يحفظ الذين أعطاه الأب إياهم (يو 17).

◀ كيانى كله يصرخ فرحاً (مز 84)

هذا النشيد الذى يُنشده حاجّ وصل إلى هيكَل أُورشليم يُعبّر عن شغفه بالله.

- إبحث عن الصُور والعبارات المُعبّرة عن السير، والسكنى (المنزل والبيت والعش...). والسعادة (الفرح والسور والترس...). بإمكانك أن تبحث عن الصور التى تُعبّر لنا عن تلك الحقائق نفسها، فتكون فى طريق تأليف صلاتك لليوم.
- † الصلاة المسيحية. أصبح الهيكل الحقيقى جسد يسوع الذى قام من بين الأموات. فبإمكاننا أن نحتفل به بتلك الكلمات نفسها.

وأما كنيسته فهى جسده طوال التاريخ. بإمكاننا أن نتغنى بفرح العيش كإخوة، وتسأل فى الوقت نفسه أن تتطهر هذه الكنيسة فتُصبح أشدّ مطابقة لما يجب عليها أن تكون، وأن يساعدنا الله على الاشتراك فى هذا العمل.

◀ إنى عطشان إلى الله... (مز 42 - 43)

- هذان المزموران هما فى الحقيقة مزمور واحد تقسّمه لازمة (6/42 و 12، و 5/43) إلى ثلاثة مقاطع شعرية.
- هناك خادم من خدَم الهيكل منفى إلى لبنان ويصرخ ألماً. وفى منفاه لا يأسف إلا لأمر واحد وهو بعده عن الله.
- 2/42-6: ما هى رغبتة؟ (راجع خر 23/34). ما هو ألمه؟ ما هو الأمر الذى يُشدّد عزمته؟
- 7/42-12: يُصلى إلى الله من مكان اغترابه (وكلّ إنسان يستطيع من مكان اغترابه أن يُصلى إلى الله). وهو يُصلى بعبارات وصور تقليدية.

إبحث عن الصُور والعبارات التى تُعبّر عن الحنين (العطش وخور العزيمة ...) والماء والنور والفرح والخلص.

◀ عجائب شريعتك... (مز 119)

176 آية ! 176 آية تقول شيئاً واحداً: " يا رب، أحبّ شريعتك !"
22 مقطعاً شعرياً، بحسب عدد أحرف الأبجدية العبرية. تبتدئ
الآيات الثمانية كلها من كل مقطع بحرف واحد هو التتابع كل حرف من
أحرف الأبجدية العبرية. وفي كل من الآيات الثمانية يظهر اسم من
أسماء الشريعة الثمانية: الشريعة والأحكام والوصايا... من الأفضل أن
يُصلى هذا المزمور على دفعات صغيرة. وهو خلاب كالنشيد العاطفي،
فكما أن العاشق يُكرّر حبه للحبيب على ألف وجه، فصاحب المزمور
لا يملّ من قوله لله إنه يحبه، الله الذي جعل نفسه قريباً جداً بكلمته: "
وأنت يا رب قريب جداً... " (الآية 151).

وفي حوار الحب هذا بين الله المتكلم والمؤمن المصغى، يُمكنك أن
تبحث عن الصور والعبارات التي تصف الله: الشريعة هي الله الذي
يجعل نفسه قريباً (تصدر عن فمه وهو يُعلمنا إياها...)، ولكنها تبقى
سراً.

ويُمكنك أن تبحث عن الصور والعبارات التي تصف الإنسان وموقفه: إنه
يُتجه نحو الله (يتفحص الشريعة ويتأمل فيها ويهوها وينظر فيها)
وهو يُطيع ويسير ويبحث... ويعود إلى الله، لأنه خطئ فيما مضى.

† الصلاة المسيحية. يُمكنك أن تُصلى هذا المزمور فتضع يسوع
مكان الشريعة، وهو كلمة الله التي جعلها الروح في قلوبنا، وهو
" الطريق والحق والحياة ".

(102)

صلاة رجاء. الله ملك. الملك الأرضي

نضمّ هنا فئتين مختلفتين من المزامير، يجمع بينها أنها تُشيد
بالملكية، بعضها بملكية الله وبعضها الآخر بملكية الملك الأرضي، وأنها
توجهنا نحو المستقبل، نحو ذلك اليوم الذي يتجلى الله فيه أخيراً كما هو
في الحقيقة، أي كملك أمين عادل، بواسطة ذلك الذي سيُقيم ملكاً
مشيحاً.

الربّ ملك

في إسرائيل لا ملك إلا الله. فالملك الأرضي إما هو يُقيم مقامه. ذلك
هو إيمانهم منذ القدم.
في أثناء الجلاء إلى بابل وبعده، لم يعد هناك ملك. فتوسّعوا إذا في
الإيمان بملكية الله. يُبين أشعيا الثاني أن الله ملك لأنه خالق (أش
12/40 - 13) ومحرّر إسرائيل (أش 21/41 و 15/43 و 6/44 ...).
ويدعو النبي جميع الشعوب إلى أن تعترف بأن الله ملك وتُشيد به (10/42 - 12).
ويُنبي بأن الله سيأتي أخيراً ويُقيم ملكه (7/52).

هناك خمسة مزامير متشابهة جداً تتغنّى بِمُلك الله: مز 93 و 96 و 97 و 98 و 99.

ينفجر فيها الابتهاج وكأَنَّنا فى يوم تتويج، فإسرائيل وأبعد الشعوب (الجُزر) وجميع عناصر الكون تشترك فى هذا الفرح الشامل. تتناول هذه المزامير موضوع البُشرى الوارد ذكرها فى أشعيا الثانى فتنبئ باليوم الذى يحو الله فيه كل شقاء وكل فقر (الصفحة 67).

هذا مصدر المزمور 47. أما المزمور 10-7/24 فلعله يرقى إلى عهد قديم، إذ أنه يتغنّى بدخول تابوت العهد إلى أورشليم فى أيام داود. والآيات 1-6 التى أضيفت بعد الجلاء تُضفى على كامل المزمور طابعاً شمولياً.

نشأت هذه المزامير فى الليتورجية. فإن مُلك الله للأبد يُصبح فعلياً على الأرض بفضل العبادة.

† الصلاة المسيحية. لما أعلن يسوع التطويبات، ولما أجرى المعجزات من أجل الفقراء، أظهر أن مُلك الله هذا قد بدأ فى شخصه ولكنه بدأ فقط، إذ على تلاميذه أن يحققوه. فهذه المزامير تُعزّز انتظارنا (ليأت ملكوتك) وتدعونا إلى العمل لتحقيق الملكوت.

" ولادة " الملك "

سبعة مزامير (2 و 21 و 45 و 72 و 98 و 101 و 110) وربّما بعض المزامير الأخرى تُشيد بِمُلك إسرائيل. لم يؤلّه إسرائيل ملوكه، بخلاف ما جرى لشعوب أخرى. ومع ذلك فهؤلاء الملوك يصبحون، كما أعلنه ناتان النبى لداود (الصفحة 42)، أبناء الله بمعنى خاص، يوم تنصيبهم. وفى يوم ولادتهم كملوك، وألّوا كأبناء لله.

قد يكون بعض هذه المزامير قديماً. عل كل، فإنّه قد جُددت بعد الجلاء، فى زمن لم يُعد فيه ملك. فيُصبح حامل رجاء جديد إذ يُرسل الله ملكه المسيح يوماً ليقيم ملكه.

† الصلاة المسيحية. يرى المسيحى فى يسوع ذلك الملك المسيح. فإنّه مدعو إذا لتكريمه وللصلاة لكى تزداد سيادته على البشرية صدقاً يوماً بعد يوم.

المزمور 2 فى العهد الجديد

ساعد هذا المزمور على فهم ما يلى والتعبير عنه:

- قيامة المسيح: هى الساعة التى وُلد فيها كابن الله والملك المسيح وسيد الكون (رسـل 32/13 وروم 3/1 وعب 5/1 و 5/5 و رؤ 5/12). فليس المقصود هنا ميلاده فى بيت لحم، كما أن العبارة "ابن الله" ليس لها المعنى الذى نحملها إياه، فهى لا تدل على ألوهيته فقط، بل على إقامته ملكاً وسيّداً للكون.
- موت المسيح: بُدّ يسوع من قبل رؤساء الشعب. فهم إذا المسمون "أشراراً" فى المزمور ومرتدين على الله وعلى مسيحه (رسـل 31-23/4 وعلى الأرجح متى 4-3/26).

- مجيئه في نهاية العالم: سيُنصَّب يوماً وبصورة كسيد للكون (رؤ 15/19 و 1/21-5). هذا هو الأساس النهائي لرجائنا، ويعيدنا يوحنا بأننا سنشاركه مجده (رؤ 7/21 و 26/2).

(103)

◀ الرب قد ملك (مز 96)

- يُمكنك أن تبحث كيف أن هذا المزمور (وسائر مزامير الملك) تحول رسالة أشعيا الثاني إلى صلاة. إليك بعض المقارنات:
- الآيات 1-3: دعوة الأرض كلها إلى نشيد جديد (أش 10/42). حين حرر الله من الجلاء، أظهر خلاصه وبره ومجده أمام الأمم (أش 14/45-25 و 10/52).
- الآيات 4-6: يدل ذلك على أن الله هو الله وعلى أن سائر الآلهة هي لا شيء (أش 21/41-29 و 9/43-13).
- الآيات 7-9: جميع الشعوب مدعوة إلى تسبيح الله (أش 14/45).
- الآيات 10-13: تُعلن الآيتان 11-12 أن الله خالق (أش 8/42) فثبين لماذا يستطيع الله أن يملككم كامل (الآيتان 10 و 13).

◀ اجلس يا ابني عن يميني (مز 2 و 110)

من المفيد أن نبدأ بقراءة نبوة ناتان إلى داود (2 صم 7، راجع الصفحة 42).

- † **مزمور 3-1/2**: يتأمر " الأشرار " من ملوك وشعوب على الله وعلى مسيحه: فقضيتهما مشتركة (كما في 1 أخ 14/17).
- الآيات 4-6: أن الله يسخر منهم. فإن أولئك المتمردين لا قدرة لهم على تغيير تدبيره.
- الآيات 7-9: يذكّر الملك المسيح بهذا التدبير، وهو أن الله، يوم ارتقائه العرش، جعل منه ابنه. لكن هذا الملك يتجاوز حدود إسرائيل، فهو يشمل جميع شعوب العالم، فلم يعد الكلام مقتصرًا على ملك أرضي.
- الآيات 10-12: إنذار إلى المتمردين: عيشوا في سلام!

- † **مزمور 110**: يتناول هذا المزمور، بعبارات مختلفة (وأحيانًا غامضة)، المواضيع نفسها.
- اجلس عن يميني: تنطلق الصورة من وضع حي، فإن قصر الملك كان إلى يمين الهيكل. وهي تشير إلى وضع فريد وشبه إلهي وهب لهذا الملك.
- أنت كاهن...: في إسرائيل وفي سائر الشعوب، كان الملك كاهنًا. كان في الواقع ولي الكهنة خاصة، وسيميلون إلى الفصل بين هاتين الوظيفتين.

† الصلاة المسيحية: راجع النصّ المحاط بإطار: مز 2 و100 فى العهد الجديد.

المزمور 110 فى العهد الجديد

أمام المجلس اليهودى، يُطلق يسوع على نفسه هذا المزمور (و دا 7 فى ابن الإنسان).

يسوع جالس عن يمين الله: هذا التأكيد الوارد فى قانون الإيمان، يُعلنه بطرس يوم العنصرة للتعبير عن حدث الفصح (رسل 34/2).
وكثيراً ما يكرره العهد الجديد: رسل 31/5 و 55/7 و روم 34/8 وقول 1/3 وأف 20/1 و 1 قور 25/15 و 1بط 22/3.

وستجعل الرسالة إلى العبرانيين من الآية (4) قاعدة إقامة برهانه: يسوع هو عظيم الكهنة (عب 6/5).

◀ الإيمان بالإله غير الأمين! (مز 89)

قال بعضهم: " تلك الساعة الهائلة التى لا يكون الله فيها صادقاً والتى لا أزال أحبه فيها مع ذلك ". يسرى هذا القول على الأوضاع الشخصية (كوضع أيوب، راجع الصفحة 82) كما أنه يسرى على أوضاع جماعية كالوضع الذى نحن فى صدده.

زالت الملكية فى السنة 587 ق. م. ، مع أن الله كان قد إلتمزم بأن يحفظ على الدوام سلالة داود... أفتراه يكون غير أمين ويحنث فى يمينه؟.

- الأيتان 2-3: هذا التسبيح لمحبة الله وأمانته هو فعل إيمان تام، فى الظلام. فإن الظواهر تُخالف كل ذلك! ولذا يتمسك الكاتب بهاتين الكلمتين اللتين لا يكف عن تكرارهما: رحمة وأمانة فى الأيات 2 و 3 و 9 و 15 و 25 و 29 و 34 و 50. (راجع مفردات الحب فى الصفحة 49).
- الأيتان 4-5: يُذكر الله بوعدده لداود.
- الأيات 6-19: إن الله خالق وهو مالك، فهو قدير. فلا عذر عنده لعدم احترام وعده!
- الأيات 20-38: تذكير مُفصل بما وعد الله به داود وذريته.
- الأيات 39-46: يبين الكاتب لله، بجرأة يستمدّها من إيمانه، أنه غير أمين!
- الأيات 47-52: نداء ملح إلى الله لكى يُباشر العمل!
- الآية 35: ابتدأت الصلاة بالإيمان المجرد، وتنتهى بالشكر... على عمل لم يقم به حتى الآن.

† الصلاة المسيحية: يتعلم الإنسان أولاً ما يجب لأن يكون موقفه: موقفه أن يعيش التمرّد في الصلاة والإيمان المُجرّد والثقة، تجاه أوضاع تُكذّب الله. في إمكاننا أن نعيش الآن هذا الموقف، في يسوع الذي يُصلّي في جسيماني وعلى الصليب.

(104)

صلاة طلب وشكر

تُشكّل صلوات الطلب والابتهال والاستغاثّة أكثر من ثلث سفر المزامير. يُميّز أهل الاختصاص بين الابتهالات الفردية والابتهالات الجماعية.

تتضمّن هذه الصلوات أربعة أقسام عادة (قد يخلتف ترتيبها):
الابتهال إلى الله والصرّاح إليه وعرض الأوضاع والدواعى إلى الاستجابة (خاصّة محبة الله وأمانته ومجده، وكذلك ثقة المُصلّي) والخاتمة وهي كثيراً ما تكون صلاة ثقة وشكر، لشدة التيقّن من الاستجابة، ووعد بتقريب ذبيحة شكر.

وأما الأوضاع التي من شأنها أن تحمل على الصلاة فهي متنوّعة. إليك أهمّها:

- صلوات مرّضى يرون أنفسهم على حافة القبر.
- صراخات مساكين يسحقهم الظلم.
- صلاة مُباعدين عن وطنهم.
- صلاة لانتصار جيوش إسرائيل.
- دعاء على الأعداء. تثير مزامير اللعنة هذه مشكلة خاصّة ندرسها على أفراد.
- الاعتراف بالخطايا.

† الصلاة المسيحية: الصلاة بواسطة هذه المزامير أمر سهل وصعب علينا في آن واحد.

من السهل أن نعود إليها، لأنها تُعبّر عن أوضاعنا الخاصة في يتوم من الأيام.

أما الصعوبة فإنها تأتي من عدّة جوانب.

- ترتدى هذه الصلوات صوراً كثيراً ما نستغربها. أحياناً ما نجد في كتبنا المقدّسة حواشي تفيدنا، علماً بأنّه ليس من الضروري أن نفهم كلّ شيء في حقل الشعر.
- لسنا دائماً (والحمد لله) في مثل تلك الأوضاع، فالمزامير، وهي صلوات جامعة، تحملنا على الخروج من أنفسنا والصلاة مع جميع الذين في مثل هذه الأوضاع. و"أنا" المزامير تكاد

تكون دائماً " أنا " جماعية: فإننا فى المزامير صوت البشرية المتألّمة.

• تزعجنا صلاة الطلب، فليس الله " مَسَدًا " لأنواع عجزنا. هذا صحيح. لكنّ الحب بين كائنين قد يُعبّر عنه بالطلب أيضاً، مع العلم عندئذ بأنّ ذلك لا يُعفينا من العمل، بل إننا نستمدّ من حبّ الآخرين قوة على الصراع.

إنّ الصلاة المقتصرة على الشكر أو التوكّل نادرة، وذلك لأنّ هذه المواضيع تُرد فى جميع مزامير الايتھال تقريباً. هذا وأننا نجد فيها الأقسام نفسها، ولكن كثيراً ما تُضاف إليها العبرة المُستخلصة من الحدث: " أنظروا إلى قدرة الله ومحبّته القادرتين على إنقاذى أنا الخاطئ من هذا الوضع الذى لا خلاص منه".

مزامير اللعنة

تُشكّل بعض مقاطع من المزامير، لا بل مزامير بجملتها، حجر عثرة لنا: فكيف نطلب إلى الله أن يقتل أعدائنا ويُدمرهم...؟ لعلّ هناك طريقتين لصلاة هذه المزامير.

قد تكون أحياناً الصلاة الصادقة الوحيدة التى أستطيع أن أصليها. إن كنتُ غير قادر على وجود مكان لى فى العهد الجديد (أبت، اغفر لهم...)، ففى إمكاني على الأقلّ أن أكرّر هذه الصلوات التى تسير إليه. فلقد تكون صلاة هذه المزامير بتواضع طريقة تساعدنى على أن أدع الكتاب المقدّس يُضرم قلبى، لكى تعود بى يوماً كلمة الله إلى قدمى الصليب.

لكنّ هذه الصلوات تُغيّر معناها مع المسيح فأصبحت صلوات تكريس. إقرأ القصيدة الهائلة فى قاطف العنب الإلهى (أش 1/63 - 6 وراجع الصفحة 77): يسحق الله جميع أعدائه وينتضح دمهم على ثيابه... وحين يستشهد سفر الرؤيا بهذه القصيدة فيُرينا المسيح فى ثياب مُلطّخة بالدم (رؤ 13/19)، نفهم عندئذ أن يسوع قد أخذ على عاتقه خطيئة العالم كلّها (2 قور 21/5) وأنّ الدّم الذى يسيل أصبح دمه.

إنّ المسيح يُصلى اليوم هذه المزامير فىواصل الاضطلاع بخطيئة العالم والتألّم منها حتى الموت والقضاء عليها بالتعزيم عليها بمحبّته.

ونحن أيضاً نصلى هذه المزامير مع المسيح فكأننا نقول لله: اجعلنى على الصليب مع ابنك وممّس كلّ ما يبرز، كلّ هذه الخطيئة التى فى كلّ خطيئة العالم التى أشترك فيها. أكرّس نفسى مع ابنك لكى يكون الجميع مكرّسين بالحق.

◀ يا ربّ، لماذا تركتني؟ (مز 22)

- الأيتان 2-3: دعاء إلى الله وصراخ إليه.
- الآيات 4-12: يبدأ المؤمن بعرض الدواعى إلى أن يُستجاب. فالله قريب، وقد أنقذ الأجداد وحمى المؤمن منذ مولده...
- الآيات 13-22: عرض للأوضاع باللجوء إلى صورة تعبيرية.
- الآيات 23-27: شكر. فإنّ لمؤمن قد استجيب بالفعل أو بالرجاء. فيلجّ على الشعب بالانضمام إليه للتسبيح، ويدعو الفقراء إلى الاشتراك في وليمة الذبيحة التي يُقيمها.

كانت هذه الصلاة الفردية تتوقّف هنا. ولمّا أصبحت صلاة جماعية بدخولها في مجموعة المزامير، أضيفت الآيات 28 - 32. يرتبط إعلان اهتداء الشعوب ومُلك الله برسالة أشعيا الثانى ويُوافق مزامير مُلك الله. ولا شكّ أنّ الآية 30 التي تُشير إلى العبادة التي يؤدّيها الأموات إلى الله ترتبط بدانيال (راجع الصفحة 91). فالصلاة تُصبح بذلك انتظاراً للحياة الأخيرة.

† الصلاة المسيحية: جاء في الإنجيل بحسب متى ومرقس أن يسوع عبّر عن قلقه باستشهاده بالآية الأولى. وهناك عدّة صور من المزمور وردت في رواية الآلام. فبعد أن أصبح هذا المزمور صلاة صلاها المسيح، فمن شأنه أن يُصبح صلاتنا، مع المسيح وبه.

◀ يا ربّ، اقتلهم جميعاً (مز 109)

لا شكّ أنّ هذا المزمور أهول مزامير اللعنة. حاول بعضهم أن يُخففوا من حدّته فجعلوا الأدعية الواردة في الآيات 6 - 19 على لسان أعداء المؤمن. الأفضل أن نقبلها كما هي، فإنّ هناك قديسين، أمثال إرميا، كانوا يستسلمون لمثل هذه " الصلوات " (إر 18/17 و 21/18 - 23 و 11/20 - 12). من السهل أن نهتدى إلى أقسام هذا المزمور المختلفة.

† الصلاة المسيحية: تذكر أولاً بأن يسوع قد صلى هذا المزمور كما صلى سائر المزامير. فمن الممكن أن نجعل منه صلاة مسيحية! اقرأ النصّ المحاط بإطار في الصفحة السابقة أو غيره من النصوص. فلا يجوز حذف هذا المزمور وأمثاله من الاستعمال الطقسيّ، فإنّها هي أيضاً كلمة الله.

◀ ارحمنى يا ربّ (مز 50 أو 51)

- الأيتان 3 - 4: دعوة إلى الله واستغفار.

- الآيات 5 - 8: خطت إليك...
- الآيات 9 - 14: طلب لتصفية القلب.
- الآيات 15 - 19: وعد بالشكر، فالذبيحة التي سيقربها هي هو نفسه بكبريانه المحطم.
- الأيتان 20 - 21: صلاة لأجل أورشليم. ثلاث مجموعات رئيسية من المفردات تساعد المؤمن على حياة اعترافه: مجموعة مفردات الخطيئة (راجع النصّ المحاط ببطار في هذه الصفحة) ومجموعة مفردات الأظهار ومجموعة مفردات المحبة (راجع الصفحة 49. حنان ومحبة ونعمة في الآية 3). حاول أن تكتشفها. أي طابع تضيفه على هذه الصلاة؟.

يُمكنك أيضاً أن تكتشف كيف أن هذا المزمور يتناول موضوع رسالة حزقيال: فالمؤمن يشعر بأنه ينتمي إلى شعب خاطئين (حز 16 و 20 و 23)، ويعرف أن الله وحده يستطيع أن يرد قلبه طاهراً (حز 26/36 ت)، وهذا هو عمل الروح القدس (حز 26/36 ت و 14/37 و 29/39 والفصل 47).

ما هي الدوافع التي يعتمد عليها الخاطي لنيل الغفران؟.

† الصلاة المسيحية: إذا لم يكن في إمكان المسيح أن يتلو هذه الصلاة إلا تضامناً معنا، فسهل علينا نحن أن نتلوها. والمحبة التي تجلت تماماً في يسوع المسيح والروح القدس الذي أفيض في قلوبنا يساعدنا على أن نتلوها بثقة تامة.

مفردات الخطيئة

- خطيئة: أصل هذه الكلمة يعنى " أخطأ الهدف ". فمن خطئ أخطأ الله وأخطأ بالتالى السعادة (الآيات 4 - 7 و 9 و 11 و 15).
- تمرّد: المقصود هنا التعدى المتعمد على حقوق الآخر، حقوق الإنسان أو الشعب أو الله. كثيراً ما استعمل الأنبياء هذه الكلمة لتوبيخ الشعب على رفضه أن يطيع الله (الآيات 3 و 15).
- الفساد: أصل هذه الكلمة يعنى " الالتواء والانحراف ". فالخاطي هو القلب الملتوى المدعو إلى التوبة (الآيات 4 و 7 و 11).
- شر: هذا أبذل أسماء الخطيئة وهو يدل على المصيبة والشر الأخلاقى (الآية 6).

صلاة للعيش

لقد كان تفكير الحكماء بعد الجلاء سبباً للتعمق في مواضيع جديدة، إن لم يكن سبباً لظهورها، كمديح البار أو مديح الشريعة، أو كمشكلة المكافأة العويصة.

كل هذه المواضيع نجدها في الصلاة.

مديح البار أو التعبّد للقديسين

يكفينا أن نطالع وصف ربة البيت الكاملة (مثل 10/31 - 31) أو نطلع على مجموعة أجداد ابن سيراخ (سي 44 ت) لنعرف أن الحكماء يحبون هذا النوع من الوصف.

اقرأ المزمور 111. إنه مديح جميل لله (كل بيت من أبياته يبتدئ بحرف من حروف الأبجدية بالترتيب). ثم اقرأ المزمور 112 (مؤلف على الطريقة نفسها): ألا نستغرب أن يطبق على البار كثير من المدائح التي تصلح لله؟ أو خذ المزمور 1 أو 26 (" في الطهارة أغسل يدي... ") : كيف يمكننا أن نصلى هذه الصلوات في الحقيقة؟ قد يكون هناك طريقتان:

- ببساطة، كما فعلت مريم حين طربت لهما صنعه الربّ فيها فقالت " الربّ صنع إلى أموراً عظيمة... ". ليست الخطيئة في اعتراف الإنسان بخصاله الحميدة، بل في عدم رؤيتها أو في الامتناع عن حمد الله عليها.
- بتواضع ايضاً. لا يخفى على أتى قصرت كثيراً في تسليم أمرى لله لكي يحقق في ما حلم به لأجلي. فالذي يقرأ هذه المزامير يضع نصب عينيه مثلاً أعلى معترفاً بأنه لم يصل إليه وطالباً إلى الله تعالى أن يقوده إليه.

عبادة الشريعة

سبق لنا أن قرأنا المزمور الرائع 119 بأياته الـ 176 التي تتغنّى بالشريعة. يمكنك الآن أن تقرأ المزمور 19 أيضاً. رأينا كيف أن الشريعة هي، في نظر اليهودي، كلمة الله وحكمته (سي 24 وبأ 1/4). وإذا انتقل بولس من " حياتي هي الشريعة " إلى " حياتي هي المسيح "، فإنما يطلق على الحقيقة نفسها اسمها الصحيح. يعتقد المسيحي (وسنعود إلى ذلك في الصفحة 109) أن الشريعة لم تسقط. فبعد أن أعطانا المسيح أن نفهمها (لو 25/24)، فهي تبقى الطريق الذي تؤدي بنا إليه، مضمرة قلوبنا شوقاً إلى معرفته.

مشكلة المكافأة

" إن صنعت الخير تكافأ، وإن صنعت الشرّ تُعاقب ". لا غبار على هذا المبدأ الذي يذكر به سفر تثنية الاثتراع بالحاح... سوى أن

الوقائع كثيراً ما تكذبه! نفوس كريمة تحاول اليوم أن تُدافع عن هذا المبدأ باللجوء إلى حقيقة السماء، حيث يُعاد التوازن بعد الموت. هذا أمر قابل للبحث، لكنه كان غير معقول في إسرائيل، إلى أن توصلوا، في وقت متأخر، إلى الإيمان بوجود حياة بعد الموت. وكانوا، قبل ذلك، يتعزّون راجين البقاء في أولادهم، أو ناسبين مصائبهم الحاضرة إلى التضامن الجماعي. من السهل أن نقول لمن يتألم دون سبب: " الحق على جدك الذي خطئ! " وسيكذب حزقيال (حز 18) ثم أيوب والجامعة هذه العلاجات الموقته تكذيباً باتاً.

هناك نحو عشرين مزموراً تخوض هذه المشكلة. يمكننا أن نرى فيها أربع مراحل رئيسية للتعمق في الإيمان.

1- السلام اللاواعي: يقتصر الأمر على تأكيد العقيدة التقليدية (المزمور 138 مثلاً). إن نقلنا الخيرات المرجوة إلى ألفاظ روحية، قد يمكننا أن نعبر عن رجاء السماء؟.

2- العذاب المذهش: " لو كان الله موجوداً، أتراه يدع الأولاد الأبرياء يموتون؟ " هذه المزامير (10 و 94 مثلاً) تطرح السؤال بألم ولا تحصل على جواب. لعلّ هذه الصلاة تكون صلاتنا في بعض الأحيان. على كل، فهي صلاة الكثير من الناس. من حسن الحظ إن هذه المزامير قد تلقى الاضطراب في قلوبنا المطمئنة بفضل الإيمان والتي لا تتردد في الجواب عن أي سؤال.

3- السلام في الإيمان: أمام نجاح الكافرين، يصرّحون بأن الخير الحقيقي ليس في هذا النجاح. فكرامة الإنسان تختلف عنه. ولا شك أن الله سينتصر على المحن الحاضرة (مز 49 و 91 و 139).

4- الفرح في المحبة: إن المزمور 73 الذي ستقرأه هو بمثابة ذروة لا يشرح فيه الكاتب شيئاً، بل يتكل أتكالاً تاماً على الله لأنه لا يشك في محبة الله ولا في محبته هو. ونحن لا نجد الفرح إلا في فعل الإيمان الرائع هذا، وفي تسليم أمرنا لله لتأكدنا من محبته، بالرغم من كل شيء.

(107)

◀ البشرية، ماشية للذبح (مز 49)

لا بد من قراءة سفر الجامعة قبل أن نُصلى هذا المزمور. نجد فيه اللهجة المخيبة نفسها وصبّ الزّاج نفسه على أفكارنا العظيمة وأوهامنا: " يُشبه الإنسان الماشية التي تُقاد إلى الذّبح... " (الأيتان 13 و 21).

يُشكل هذا مزمور مُوازنًا جيّدًا للمزامير التي تمدح البار. فإنه يدعونا إلى البحث عن كرامة الإنسان في غير النجاح البشري. امتاز كاتب سفر الجامعة برفضه الحلول الكاذبة، وإن لم يكن عنده ما يقترحه

من الحلول الأخرى، فالإنسان أسمى من جميع الزخارف التى يتزين بها. إنه لدرس قاس من قبل مؤمن، إنه لدرس لا غنى عنه.

† الصلاة المسيحية: لا تُسرّع إلى الاعتقاد بأننا أكثر علمًا وبأن المسيحي له جواب عن كل شيء. عاش يسوع وضعنا البشرى فعلمنا أننا نستطيع أن نُعطيه معنى. لكنّه عاشه فى كلّ قساوته دون مخدّرات. وهو يدعونا أن نمارس معه مهنتنا البشرية بشجاعة.

◀ أنا معك دائماً ... (مز 73)

كاتبه مؤمن نزيه لا يغشّ فى مسألة عثار الإيمان، وهو يقول ذلك ببساطة: " أوشكت قدمى أن تزلّ...".

عثاره: لأنه يؤمن بالله ويحبّه، فهو يُتهك نفسه ليسير سيرة نزيهة. والنتيجة؟ إنه فقير ومحتقر، فى حين أنّ الذين لا يؤمنون بشئ أبدانهم سمينة وأموالهم كثيرة! فما الفائدة فى المواظبة على النزاهة؟ (الآية 13).

كلّ ذلك مؤلم فوق الطاقة ومن الصعب جداً أن يُسلم به. وإذا به يكتشف نفسه بهيمة أمام الله.

وأما ما أدركه الآن فهو: " أنا معك فى كلّ حين. وأنت أخذت بيدي اليمنى. بمشورتك تُهدينى، ومن بعدُ إلى المجد تأخذنى. فماذا أبغى وأنت معى؟"

نحن هنا فى ذروة: الكلمة الأخيرة هى المحبّة، وأنّ لم تلفظ هذه الكلمة. ليس عند المؤمن من تفسير، لكنّه يحبّ ويعرف أنّه محبوب. وهذا ما يساعده على الثبات، فى الفرح، فيقول لله بكلّ تأكيد " لا أعلم ماذا يكون من بعد، لكنّ حبّى لك الآن هو أكبر من إمكاني أن أحبّك فيما بعد أيضاً".

فى نهاية الرحلة

(108)

هنا تنتهى سنة " العطلة " هذه فى أنحاء العهد القديم. هناك جزء ثانٍ شبيه بهذا الجزء الأوّل يدعوك إلى رحلة مماثلة فى أنحاء العهد الجديد

فى نهاية المسيرة، يحسن بنا، قبل أن نفترق، أن نتبين الوضع عن كل ما اكتسبناه. لا شك أنك، فى أثناء الطريق، طرحت على نفسك بعض الأسئلة. فلا بد من معالجتها. من هذه الأسئلة: لماذا نقرأ العهد القديم، بعد أن صار عندنا العهد الجديد؟ هل الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمات بشرية؟.

وأخيراً، فأستعمل صيغة المتكلم لأحاول أن أقول ما أود أن نكتشفه فى هذه المسيرة وما أوجزه بكلمة " الشكر " .

1- فى نهاية المسيرة

دخلت فى عالم الكتاب المقدس هذا، وتعرفت إلى التاريخ، تاريخ إسرائيل وتاريخ شعوب أخرى، ولاقيت شخصيات عديدة، معروفة أو غير معروفة، وقرأت قراءة طويلة أو خاطفة نصوصاً وكتباً وكدت لو أمكنك التوقف عندها... وعند وصولك إلى النهاية، تشعر، ولا شك بأنك رأيت أشياء كثيرة وأنك... نسيت كل شئ. هذا أمر عادى، لكنه غير صحيح.

نسيت كثيراً من الأحداث والتواريخ، ولم تعد تعرف فى أى زمن ألف هذا الكتاب أو ذاك النص... الأمر غير خطير، فإتاك، يوم تحتاج إلى هذه المعلومات، تجدها بسهولة فى هذا الكتاب أو فى كتابك المقدس.

ذلك بأنك - وقد تكون هذه الفائدة الأولى - تعلمت أن تستعمل كتابك المقدس وتتهدى إلى النصوص وتستعمل المداخل والحواشى.

لقد وضعت خلفية معينة فى مكانها. وأما بعض التواريخ ولا سيما أهم ساعات تاريخ إسرائيل، كما أخصت فى لوحة الصفحة 22، فإتتها ثمكنت الآن أن تضيف بعض الكثافة على حياة إسرائيل وأن تُحدد فيها بسهولة وضع كتاب من الكتب.

ولعل هناك أمراً أهم، وهو أنك اكتسبت طريقة معينة للدخول فى الكتاب المقدس. لا شك أنه لن يكون فى إمكانك بعد اليوم أن تنظر إلى الكتاب المقدس نظرة ساذجة ظريفة. ولكنك تشعر الآن طبعاً بأن قراءتك قد ازدادت صدقاً. لقد أدركت أن الكتاب المقدس ليس بتحقيق صحفى مباشر عن تاريخ شعب، بل إنه تفسير هذا التاريخ عن يد مؤمنين. ولقد اكتسبت بعض ردود الفعل. فإذا طالعت نصاً، لم تعود تتساءل أولاً: " ماذا جرى؟ " بل بالأحرى: " ماذا يقول المؤمنون إنه جرى؟ وبأى كلمة لله شعروا؟ " لن تعود تضع نفسك أولاً على صعيد الحدث، بل على صعيد تدوينه خطياً.

وهناك اكتشافات أخرى كثيرة يُمكننا أن نذكرها بالتفصيل: من نصوص أصبحت قريبة وشخصيات أصبحت صديقة ووجه جديد لله

وطريقة جديدة للنظر إلى العالم... نترك لك التمتع باستعراض هذه النتائج بنفسك، وتناول بعض الأسئلة التي قد تطرحها على نفسك.

(109)

2- لماذا نقرأ العهد القديم

هل من حاجة إلى التوقف عند هذا السؤال؟ لا شك أن مسيرتنا قد أقنعتك بفائدة العهد القديم. فمن الكافي أن نجمع هنا ما اكتشفته أنت بنفسك.

لماذا نقرأ العهد القديم؟ لأسباب رئيسية ثلاثة: نحتاج إليها لفهم العهد الجديد - إنه مرآة حياتنا - الوعد الذي يُخبر به لم يُحقق إلى اليوم.

1. العهد القديم ضروري لفهم العهد الجديد

من المفيد دائماً أن يستهل الإنسان قراءة كتاب من الكتب بإلقاء نظرة إلى الفهرس. وإن كان هذا الفهرس مُتقناً، نستخلص فوراً من مطالعته فكرة إجمالية عن المواضيع التي يتناولها الكتاب. يبقى من الواضح أن كل عنوان من عناوين الفصول يكون أشد إحياء بعد قراءة الفصل المناسب

✘ العهد الجديد فهرس العهد القديم

هذا شأن الكتاب المقدس. في العهد الجديد ألفاظ كثيرة غير مشروحة لأنها من ألفاظ ثقافة المعاصرين. حين تُذكر أمامنا كلمات كـ "كفروز" أو "الكرسي الرسولي" أو "شم النسيم" فإنها توحى إلينا بغير اسم علم مؤنث وبغير كرسى (يوصف بأنه رسولي!) أو بتنشق الهواء، لأن هذه الكلمات جزء من ثقافتنا ولأنها تُعبر عن إطار اجتماعي وعن تاريخ طويل.

وكذلك فالكثير من الكلمات التي استعملها يسوع أو تلاميذه كان جزءاً من الثقافة الدينية في ذلك الزمان وهو يوحى بغير ما يبدو أنه يوحى به. والحال أن جوهر هذه الثقافة كان قائماً قبل كل شيء على الكتاب المقدس (العهد القديم). فهناك ألقاب تُطلق على يسوع (مشيح أو مسيح وابن داود وابن الله وابن الإنسان والعبد المتألم والنبى...) وعبارات كثيرة كالكرمة والزواج وصهيون والماء والنسمة... تبدو أنها "عناوين فصول" مليئة بمضمون إختمر طويلاً في تاريخ إسرائيل.

لكنّ الكلام على " فهرس " أمر له طابع مادى، والحال أن الكلام يدور بالأحرى على علم من الرموز.

✘ عالم الرموز

سبق لنا (الصفحة 94) أن ميّزنا بين لغتَيْن: لغة العلم التى تأتى بمعلومات، ولغة العلاقة التى تستخدم الرموز. لنُعَدُّ ونحدّد، بواسطة مثل مُبسّط، وضع هاتين الطريقتين فى التعبير.

إن قلتَ لطفل: " هذا رجلٌ شجاع "، استخدمتَ لغة العلم والإعلام. فللمة " شجاع " معنى دقيق مُحدّد فى المُعْجَم، وأنا أنسبه إلى هذا الرجل. هذه الكلمة تُلخّص ما هو معروف عنه، لكنّها لا تُعنى معرفتى له. وإن قلتُ: " هذا الرجل أسد "، استخدم لغة رمزية. فلا يتصور الطفل أن هذا الرجل حيوان وأن له أنياباً... (لغة الإعلام)، لكنّه ينسب إليه كلّ ما توحى به إليه صورة الأسد... شرط أن يكون قد رأى أسداً غير أسده النسيجى! إننا نلمس هنا لمس اليد ما هو فضل اللغة الرمزية وما هى حدودها. إنها تُعنى معرفة الأمر الذى تُطبّق عليه، ولكن لا معنى لها إلا بالنسبة إلى أشخاص لهم اختبار واحد. إن كان الطفل لا يعرف ما هو الأسد، فعلى أولاً أن أذهب به إلى حديقة الحيوانات وإلى السنيماء. ومتى صار عنده اختبار كافٍ عمّا هو الأسد، عندئذ أستطيع أن استعمل الكلمة استعمالاً رمزياً.

(110)

✘ العهد القديم، عالم من الرموز

لنستخلص ممّا قلناه نتيجتين عمليتين لقراءة الكتاب المقدّس.

عندما نقرأ كلمة من العهد القديم أو العهد الجديد، لا بُدّ أن نتساءل هل نحن أمام إعلام أم أمام رمز؟. فإن كنا أمام رمز، فلا بُدّ أن نتساءل عمّا كان يوحى به إذ ذاك. وإلا لتعرضنا لأعظم التفاسير الخاطئة. إليك مثلاً: لعبارة " ابن الله " معنى دقيق وقوى جداً فى نظر المسيحيّ المعاصر، فى حين أنّ عبارة " ابن الإنسان " توحى فى نظره بالضعف. والحال أنّنا رأينا أنّ عبارة " ابن الله " كانت تُعادل، فى نظر إسرائيل، " ابن داود ". فكانت إذاً لقباً هاماً، لكنّه أرضى. أمّا عبارة " ابن الإنسان " فكانت توحى فى بعض الأحوال بتلك الشخصية السماوية الوارد ذكرها فى سفر دانيال، والتى سيوليها الله الدينونة فى نهاية الأزمنة، أى شيئاً إلهياً محضاً. فكان هذا اللقب الأخير أقوى بكثير من لقب " ابن الله "!

نتيجة أخرى: عندما نقرأ العهد القديم، يجب علينا أن نُقاوم، قدر ما أمكّن من الوقت، ميلنا إلى رؤية يسوع فيه! إليك شرحاً مُعزّزاً بمثل:

هَب أَننا ندرس الفصل السابع من سفر دانيال. فإن قَلنا، ونحن نقرأ كلمة " ابن الإنسان ": " هذا يسوع "، نكون قد اكتفينا بأن وضعنا على المسيح رقعة خالية من المعنى أو حاملة معنى غير المعنى الصحيح (كرقعة " أسد " بالنسبة إلى الطفل الذى لا يعرف إلا أسده النسيجى). فلا بد لنا أن ننسى أولاً يسوع ونبحث فى سفر دانيال عن معنى عبارة " ابن الإنسان ". ومتى شعرنا أننا أمام صورة جماعية وأنها تمثل مجموعة المؤمنين الذين أدخلوا إلى مجد الله لأنهم فضلوه على حياتهم الخ، استطعنا أن ننسبها إلى يسوع، وعندئذ تغتنى معرفتنا للمسيح اغتناءً وافرًا.

فلا غنى عن العهد القديم لفهم العهد الجديد. هذا أمر هام، لكنه لا يزال على صعيد العقل. سنرى أن العهد القديم هو، على الصعيد الحياتي، مرآة حياتنا الإنسانية.

2. العهد القديم مرآة الإنسان

يُمكننا أن نقول إن الله جعل شعبه يعيش أكبر الآمال والاختبارات الإنسانية. فعندما نقرأ العهد القديم، نفكر فى حياتنا الشخصية، لكن بعمق. نتبين من القراءة نفسها ومما أثبتته يسوع وبولس.

✠ فى قراءة العهد القديم

ساعدتك هذه المسيرة الأولى فى أنحاء العهد القديم على اكتشاف عدد محترم من النصوص. وبعد أن قضيت مدة لا غنى عنها للتأقلم على المفردات والصور التاريخية، لا شك أنك شعرت هنا وهنا بأن تلك الروايات تتناول أسس حياتك نفسها. لعلك شعرت بذلك أولاً حين قرأت المؤلفات الحكمية. فأَيوب الذى يتألم ويتساءل لماذا، والجامعة الذى يُعبر عن لا معقولية الوضع البشرى، ونضارة الحب الذى يفوح من نشيد الأنشيد، وصراخات الألم أو هتافات التعجب التى تخرج من كثير من المزامير، كل ذلك صورة لحياتنا تُعرض لنا كما فى مرآة لنتمكن من التفكير فيها. لكن ذلك ينطبق أيضاً على سائر النصوص: فإن ملحمة الخروج من مصر أو انتظار الخروج الثانى عبارة عن عطشنا إلى التحرر ورغبتنا فى أن نكون أحراراً، وصراخات الأنبياء مطالبين بالعد وباحترام الفقير تتلاقى مع مطالبنا الاجتماعية، وردود الفعل العنيفة أو غير العنيفة أمام اضطهاد أنطيوخس تُعبر عن اختباراتنا الحاضرة والتباسها... ونضع حدًا لهذا التعداد، مع العلم بأنك تستطيع أن تواصله.

على هذا الصعيد الأول، فى إمكان كل إنسان، سواء أكان مؤمنًا أم لا، أن يختبر هذا الاختبار. فالكتاب المقدس ينتمى إلى أكبر أعمال البشرية، ومن شأن روائع العقل البشرى أن تُعبر عن جوهر ما يعنيه الإنسان. والكتاب المقدس يُعبر عنه على طريقته الخاصة كما نرى ذلك فى الملاحم اليونانية أو الأساطير البابلية.

✘ طريقة يسوع التربويّة بحسب لوقا

كان تلميذان يعودان يوم الفصح إلى بيتهما في عماوس، وقد بردت همتها بعدما جرى ما جرى ليسوع: "كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الَّذِي سِيفْتَدِي إِسْرَائِيلَ...". كان هذا الاعتراف يُنمّ عن اختار ورجاء كُتبت لهما الخيبة. لم يُوجّه يسوع إليهما أى توبيخ، بل اتّضح له أنّهما لا يزالان على رجاء العهد القديم. فجَدّد معهما قراءة الكُتب المُقدّسة، وإذا بقلوبهم تضطرم وتستطيع أن تعرف، عند كسر الخبز، أنّ الذي كان يُخاطبهما هو الذي قام من بين الأموات.

قد يتفق لنا نحن الأموات أن تخور عزائمنا. فالعهد القديم حاضر ليأخذ بيدنا على جميع طرقنا البشرية ويعود بنا إلى ذلك الذي يُنبئ به.

✘ تاريخ إسرائيل كمثال مُصغر

يُعبّر بولس عن ذلك بمفردات لاهوتية، فيقول إنّ الأحداث التي جرت لإسرائيل هي تصاميم لنا (1 قور 6/10 و 11). يُترجمون عادة الكلمة اليونانية "تيبس" بـ "نموذج". والحال أنّ "تيبس" هو عكس النموذج، والأولى بأن يُترجم بـ "تصميم" (لبناء أو لفستان).

فالمهمّ في "النموذج" هو هذا النموذج لا صورته. وأمّا في التصميم فالعكس. إنّ قام مهندس في مُختبر بتصميم لِسَدٍ يُرغَب في بنائه، وإنّ قامت خياطة بتصميم من ورق جرائد للفستان الذي تريد تفصيله، فالمهمّ يكون السدّ أو الفستان. فالتصميم هو نوع من استباق الحقيقة التي يتصورها عقل بشريّ مُسبقاً.

وضع إسرائيل وضع خاصّ، فإنّ أحداث تاريخه لها قيمة في حدّ ذاتها. ولكنّها في الوقت نفسه، بالنسبة إلى المؤمن، استباق لحياته. فالله كان يُفكر فينا، نوعاً ما، حين كان يحاور إسرائيل.

هذا أمر هامّ يساعدنا على عدم الوقوع في قراءة تُوجّه إلى إصلاح الأخلاق. إليك مثلاً يوضّح لك هذا الأمر.

✘ تجارب يسوع في البرية

كثيراً ما نجعلها حالة على الوجه التالي: جُرب يسوع فقاوم التجارب. على إذا أنّ أقتدى به. فأمامنا هذا الرسم البياني: يسوع (قدوة) + نحن، ليس هذا بخطأ، ولكنّه قد يودى بنا إلى شئ من النزعة

الأخلاقية (علينا أن نكون لطفاء على مثال يسوع) أو قد يُشبّه عزائمتنا، وهذا شرّ ممّا سبق. فحين يُعرض علىّ مثال أجمل ممّا فى طاقتى، أعجب وأقول فى نفسى: " ليس هذا الإنسان مثلى...".

والحال أنّ متى ولوقا يرويان أنّ الشيطان يجعل يسوع يعيش التجارب الأساسية التى عاشها الشعب فى البرية. وبذلك فإنّ يسوع يُعيد تاريخ إسرائيل ولكنّه يجعل هذا التاريخ يؤول إلى النجاح، لأنّه يُجيب كما كان يجب على الشعب أن يعمل (راجع " ما عليك إلا أن... " فى الصفحة 57).

كانت تجارب الشعب هذه فى البرية تصميماً لتجاربتنا وهى لا تزال تجاربنا اليوم. فالتجارب التى عاشها يسوع هى تجاربنا نحن، فأمامنا هذا الرسم البيانى: إسرائيل تصميم لنا + يسوع + نحن.

ليس يسوع مثلاً نقلده، بل هو ذلك الذى نجحت فيه حياتنا والذى فيه يُمكننا ويجب علينا أن نحيا الآن هذه الحياة.

3. زمن الموعد مستمرّ

إنّ العهد القديم موعد فى معظمه. تذكر، على سبيل المثال، نصوص الأنبياء والمزامير والمُلك والرؤى التى يُنبئون فيها بهذه البشرى: سيأتى الله فى أحد الأيام ليقيم مُلكه. فيكون الفقراء سعداء، لأنّ الفقر سيزول، والشرّ والملا عدالة والألم والموت ستُغلب...

يكفى أن ننظر حولنا (وفيينا) لتتأكد من أنّ ذلك لم يُحقّق حتّى اليوم، وأنّ الشرّ والألم والخطيئة لا تزال فى عالمنا. كان اليهود ينتظرون مشيحاً يقيم ملكوت الله هذا، بنفسه ووحده وبدفعة واحدة. واعترف المسيحيون بأنّ يسوع هو هذا المشيح، ولكنهم اكتشفوا أنّ يسوع اكتفى بافتتاح هذا الملكوت، تاركاً لتلاميذه القيام بالعمل بفضل تأييد الروح القدس.

إنّ مجئ المسيح لم يُزل انتظار إسرائيل، لا بل قوى الرجاء، والموعد الذى يحتوى عليه العهد القديم يبقى البرنامج الذى على المسيحيين أن يُتموه كما أتمّه يسوع.

(112)

كلمة الله . كلمات بشرية

سبق لنا أن أشرنا إلى هذه المسألة (الصفحة 76). فقد يجب علينا أن نعود إليها، فلا شك أنّك تطرحها على نفسك فى ختام هذا البحث.

يُقدِّم الناس عادة على قراءة الكتاب المقدس متيقنين (أو غير متيقنين، إن كانوا لا يؤمنون) من أنه " كلمة الله " وأنه كتاب " مقدس " عند اليهود وعند المسيحيين.

والحال أنك ربما شعرت طوال أبحاثنا بأننا ننزع عن الكتاب المقدس طابع القدسية. فإتينا ندرسه بأساليب تحليل، كما لو كان نصاً عادياً. لقد شهدنا كيف أنه كُؤن انطلاقةً من تفكير الشعب والأنبياء والحكماء والكهنة. وفي آخر الأمر، يُخشى أن يبدو لنا كلاماً بشرياً. ولذلك يجب علينا أن نُعيد النظر في تصورنا لكلمة الله، ونجد في القياس بالتجسد ما يُساعدنا على ذلك. وهذا البحث يحملنا على الاعتراف بأهمية الروح القدس وبدور الإيمان.

✠ يسوع كلمة الله الذي أصبح إنساناً

إن اندهاشنا أمام ذلك الكتاب المقدس - كلمة الله، الذي يبدو بشرياً إلى حد بعيد، يُشبه تماماً أندهاش معاصري يسوع. فقد وعوا بعد القيامة أنهم عاشوا في ألفة ابن الله والكلمة غير المخلوق. لكنهم لم يروا ولم يسمعوا سوى إنسان وسوى كلمات بشرية. فكلمة الله لا تهبط من السماء بوجه منظور وسحري، بل تُصبح بتواضع واحداً منا، ولا بُد من الاهتداء إليها بعيون الإيمان.

" إن كلمة الله هي في قلبك لِمَارسها " (تث 14/30). ففي قلب الإنسان إذا وفي ممارسته وفي تصرفه اليومي، كما وفي أهم أحداث العالم، يجب أن نكتشف هذه الكلمة. على صعيد بشري محض " تُعبّر " الحركات والأشياء عن شيء ما: " هذا الحدث بليغ... وهذه البسمة شديدة التعبير... ". وعلى هذا النحو يجب أن نكتشف كلمة الله عبر الأقوال والمواقف والأحداث.

✠ دور الروح القدس

يُخشى أن نسمي " كلمة الله " ما ليس هو إلا تعبيراً عن اختباراتنا البشرية. من الذي يضمن لنا أن كاتبى الكتاب المقدس لم يعملوا مثلنا؟.

إن المؤمن الذي يعترف بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله يعترف إذا بأنه كلمة مُلهمة ويرى فيه عملاً من الروح القدس. قال يسوع لتلاميذه: " سَيَقُولُ لَكُمْ الرُّوحُ كُلُّ مَا قُلْتَهُ لَكُمْ وَيُرْسِدُكُمْ إِلَى الْحَقِّ كُلَّهُ " (يو 13/16). وقال بطرس الرسول " واعلموا قبل كل شيء أنه ما من نبوة في الكتاب تُقبل تفسيراً يأتي به أحد من بعده، إذ لم تأت نبوءة قط بإرادة بشر، ولكن الروح القدس حمل بعض الناس على أن يتكلموا من قبل الله. " (2 بط 20/1 - 22) .

فمن حلم بكلمة من الله تكون في حال محض وتهبط من السماء، أراد أن يستغنى عن الروح القدس، وعن الإيمان أيضاً!

✘ دور الإيمان

نتمنى أن يكون لدينا إثباتات، فنحن كاليهود الذين كانوا يطلبون من يسوع آيات عظيمة في السماء. فكان يسوع يجيبهم: " لَنْ تُعْطُوا آيَةً إِلَّا آيَةُ يُونَانَ. لَقَدْ وَعَظَ يُونَانُ فِي بَيْتِ نِينوى دُونَ أَنْ يَصْنَعَ الْمَعْجَزَاتِ وَلَا أَنْ يُقَدِّمَ الْإِثْبَاتَاتِ. اكَتَفَى بِالْوَعْظِ، فَشَعَرَ السَّكَّانُ فِي كَلَامِهِ بِكَلِمَةِ اللَّهِ تَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ. فَعَلَيْكُمْ كَذَلِكَ أَنْ تَشْعُرُوا بِالسَّرِّ فِي كَلَامِ الْبَشَرِيِّ وَكَيْانِ الْبَشَرِيِّ " (راجع لو 29/11 ت).

النتيجة الهامة. فإن كانت كلمة الله قد هبطت من السماء في حال محض، لن يسعنا إلا أن نكررها. وإن كانت اكتشفاً متواضعاً للأحداث البشرية تقوم به أجيال من المؤمنين، فإنها لا تزال في متناولنا في كل ما يحدث لنا اليوم، ولعل الكتاب المقدس دعوة إلى تكرار ما اكتشفه أجدادنا في الإيمان أقل مما هي دعوة إلى فعل ما فعلوه، أي إلى قراءة كلمة الله في حياتنا وحياة العالم.

(113)

الحمد والشكر

كثيراً ما طرح على السؤال التالي في نهاية مسيرة مماثلة: " ما هي الفكرة التي كانت تدور في رأسك حين عرضت علينا هذه المسيرة؟ ما هي " عقائدية " هذه الصفحات وإلى أين تذهب بنا؟ " .

إن هذا السؤال سواء أكان تغريماً أم ودياً، هو هام. فهو يكشف عن أن قراءتنا للكتاب المقدس، ولأي نص آخر، لا يكون أبداً موضوعية. هذا وإن المسيرة المقترحة هنا ليست ببريئة. لا أريد أن أعرض " عقائديتي " - مع العلم بأن العقائدية هي في الواقع ما يحرك الإنسان دون أن يشعر به. سأترك الصيغة اللاشخصية وانتقل، بكل تواضع، إلى صيغة المتكلم فأعبر عن الفائدة التي جنيتها من درس الكتاب المقدس والتي أتمنى أن يجنيها غيري.

✘ مسيحيّ وذكيّ؟

أعقد من كل قلبي أن الله أرادنا أذكاء وأنه لا يطلب منا أن نضحى بذكائنا عندما نطالع الكتاب المقدس. نحن أناس من القرن العشرين، موسومون بطابع العلم، بالعلوم المضبوطة والعلوم الإنسانية على

السواء، وعلينا أن نكون مؤمنين بصفتنا أناساً من القرن العشرين،
دون أن نُنكر أى شئ من الإيمان والعلم.

والفائدة الأولى التى جنيتها من قراءة الكتاب المقدس أنى اكتشفت أن
فى إمكان الإنسان أن يكون مسيحياً وذكياً! وليس هذا الأمر باليسير. إليك
مثلاً (ويُمكنك أن تجد أمثالا كثيرة): أمام روايات خلق العالم، كثيراً ما
كان (ما زال؟) المؤمن يتنازعه تياران: بصفته مسيحياً، كان يشعر
بأنه مفروض عليه أن يقبل ما كانت تثبته هذه النصوص على ما يبدو (
خلق مباشر عن يد الله، وفى ستة أيام...)، وفى الوقت نفسه ولأنه من
القرن العشرين، كان يسمع صوتاً ناعماً يتمم فى داخله: " لا أستطيع
أن أصدق هذا؟ ". يتبين لنا من خلال بحث سليم فى هذه الروايات وفى
كثير من غيرها أن ليس هناك تعارض بين العلم والإيمان أو التاريخ.
فالإنسان يستطيع أن يكون ابن زمانه تماماً وأن يكون مؤمناً، وذلك دون
أى تعقد.

✘ مسيحيّ وحرّ

كثيراً ما يبدو المسيحي مُصاباً بالاغتراب مُحاطاً بالمعتقدات
والتحريمات كشبكة من الأسلاك الشائكة، مع أن هناك يقيناً ينبثق من
صفحات الكتاب المقدس كلها، وهو أن الله يريد الإنسان حراً مسئولاً.

صحيح أن طريقة الدخول فى الكتاب المقدس ليست ببريئة. إليك نكتة
تساعدك على الشعور بذلك. كُنت أنا وطلاب من بلدان مختلفة نفكر فى
هذه المشكلة التربوية: فى أى ترتيب يجب عرض نصوص الكتاب
المقدس فى بداية الدرس. كانوا يقترحون إمكانيات مختلفة: تتبّع الرسم
البياني لـ " التاريخ المقدس " (خلق العالم - الزلّة - إبراهيم - موسى
...) أو الترتيب المُتبع حالياً فى التعليم المسيحيّ (إبراهيم - موسى -
روايات خلق العالم...) أو أيضاً الانطلاق من الخروج على نحو ما فعلناه
فى هذه المسيرة... فقالت لنا راهبة من أميركا اللاتينية: " الكتاب
المقدس عندنا جزء من التعليم الذى يُلقى فى الثانويات الرسمية. فهناك
كتب مدرسية رسمية وهى تتبّع الرسم البياني للتاريخ المقدس. وقد
أنشأنا مركزاً متواضعاً للتعليم المسيحي نُعلم فيه من شاء من الأساتذة
أن يبدأوا بإبراهيم قبل أن يتناولوا موضوع روايات خلق العالم ".
وأضافت: " لن تشعر الحكومة بالأمر حتى اليوم. ولكننا على يقين من
أن المتاعب ستتنزل بنا يوم تطلع الحكومة على ما نفعله.. ". أرى بعد
التفكير أن الأمر واضح، فالرسم البياني " التاريخ المقدس " محافظ فى
جوهره: أنه يبدأ بإبراز شخصية إله قدير وسيّد مطلق وخالق إنسان
لا يُطلب منه إلا أن يُطيع. أجل، إن هذا الإنسان يتمرد بارتكاب الخطيئة،
ولكن الله يبقئ السيد، إذ إنه يُعاقب ويغفر... ولا عجب أن تقبل بهذا
الرسم البياني حكومة قائمة على السلطة: فقد يكون هناك تمثّل لا
شعورى بين هذا الإله المطلق وسيّد البلاد. وأمّا الرسم البياني الآخر -
وهو الذى سيّر الله شعبه عليه - فهو هدّام، فإنّه يجعل الإنسان

يكتشف أن الله هو، قبل كل شيء، إله يُحرر ويريد أن يكون الإنسان وجميع الناس أحراراً ومسئولين.

(114)

ولذلك فطريقة الدخول في الكتاب المقدس قد يكون لها تأثير عظيم في عقليتنا الدينية، لا بل في موقفنا البشري أيضاً. وقد تُساهم أيضاً في تنشئة مواطنين طيّعين أو أناس منولين.

✠ مروءة الله

يُمكننا أن نقول الشيء نفسه، إذا تكلمنا، كما يفعل سفر الحكمة، على مروءة الله وتواضعه. إن الله هو الآخر تماماً، وسيّد التاريخ وخالق العالم والمتعالى. هو كل ذلك ولا يزال، ولكنه يريد، قبل كل شيء، أن يكون الإله القريب الذى يسير خطوة فخطوة مع شعبه، الإله الذى يحترم الإنسان احتراماً فائقاً، ولا يتعدى على إيمانه بالمعجزات ولا يسحقه أبداً. إنه إله يريد أن يكون الإنسان منتصباً وحرراً ويُعطيه العالم ليبنيه والتاريخ ليصنعه.

وهذا الإله الأمين. رأينا كيف أن الكتاب المقدس يُعبّر عن التزامه نحو إبراهيم: لقد ألقى الله بدفعة واحدة في ميزان التاريخ ثقل أمانيته، وذلك هو الضمان الأخير والنهائى للإنسان والذى يجعله حرراً على الاطلاق. فسواء أكان الإنسان قديساً أم خاطئاً، فإنه يعرف أن الله الأمين يحبه حباً لا يتلاشى. لا يخفى علينا ما أهم أن يعرف الإنسان أنه محبوب لكى يعمل. إننا نحتاج إلى أن يعتمد أحد علينا ويجعل ثقته فينا. ذلك هو الضمان العظيم الذى لا يستغنى عنه المؤمن: إنه يعرف أن الله يُحبه وأنه يثق به بالرغم من كل شيء.

فلا خوف أن ينتزع أنواع الانتفاض والفشل بالتاريخ، بتاريخ العالم وبتاريخ الكنيسة على السواء، فليس فى ذلك ما يقطع الأمل، إذ أن الله يسير مع الإنسان صامتاً غير منظور ويجعل فيه ثقته.

✠ الحمد والشكر

لو وجب على أن أوجز بكلمة الموقف الأساسى الذى من شأن مطالعة الكتاب المقدس أن ترسخه فينا، لقلت دون تردد: موقف الحمد والشكر.

لخص أحد أهل الاختصاص ما أقوله تلخيصاً رائعاً فى العنوان الذى أطلقه على شرحه لسفر يشوع: "هبة فتوح". هذا كل ما يُقال، فلقد كان الدخول إلى أرض كنعان فتوحاً. ولو لم يُقاتل يشوع والشعب، لما

فتحووا الأرض. هم الذين احتلوها. ولكنهم كانوا يعترفون فى الوقت نفسه بأنّها هبة.

حين درسنا أحد نصوص تثنية الاشرتاع (الصفحة 58)، رأينا كيف أنّ مجرد سرد حكاية يُغيّر معنى غلال الأرض: كان الإسرائيلى فى بدء الأمر يستطيع أن يُغلق يديه على الثمار التى أنبتها: " إنّها غلالى ". لكنّ رويّة ما عمله الله من اجل شعبه كان يحمله على الاعتراف، وهو مسرور ومفتوح اليدين، بأنّ غلاله وحياته هى هبة من الله.

يبدو لى أنّ الكتاب المقدّس يحملنا على الاعتراف بأنّ كلّ شىء من الله وبأنّ الإنسان عليه أن يصنع نفسه ويصنع العالم والتاريخ، ويأتى، فى الوقت نفسه، هو أجمل هديّة أعطاها الله إياها

أشكرك، يا إلهى، لأنك جعلت منى تلك العجيبة المدهشة التى هى أنا (مز 14/139).
صنع الربّ إلى أموراً عظيمة... (لو 49/1).

(115)

الأدب اليهودىّ خارج الكتاب المقدّس

كُتبت أسفار العهد القديم الأخيرة قبل المسيح بمئة سنة (ماعدا سفر الحكمة الذى لا يدخل فى الكتاب المقدّس اليهودىّ). فبين سفر الحكمة هذا (المعتمد فى الكتاب المقدّس الكاثوليكى) والذى كتب فى حوالى السنة 50 ق. م. ، والسفر الأوّل للعهد الجديد (وهو الرسالة الأولى لأهل تسالونيقى) والذى أُلّف فى السنة 51 ب. م. ، ليس عندنا أىّ كتاب. مئة سنة دون أدب؟ مع أنّ مئة السنة هذه تهّم المسيحىّ بوجه خاصّ، إذ فيها عاش يسوع.

كان الانتاج الأدبىّ مكثّفاً فى الواقع خلال هذه المدة، والاختصاصيون فى الكتاب المقدّس يعملون اليوم كثيراً فى هذا القطاع.

✘ الشريعة المكتوبة والشفهية

أعطى الله شريعته لموسى على جبل سبئاء، ولكنّ جزءاً منها فقط، فى نظر الإسرائيلىين، دُون خطيّاً، ونُقِل الجزء الآخر شفهيّاً (راجع الصفحة 79).

إنّ الشريعة المكتوبة هى أسفار الشريعة الخمسة (أو التوراة). أوضّحها الأنبياء وتأمّل فيها كُتّاب المؤلّفات أو الكتابات، والكتاب المقدّس مكوّن من جميع الأسفار.

على مثال المؤلفات أو الكتابات، ألفت كُتُب كثيرة فى حوالى مطلع العصر المسيحى. بعضها معروف منذ زمن بعيد، وبعضها عُثر عليها مؤخراً، منها كتابات نجع حمّادى فى مصر فى السنة 1945 وكتابات قُمران فى السنة 1947.

أما التقاليد الشفهية فإن حصرها عمل شاق. إنها تُثقل تقاليد موازية للشريعة المكتوبة، وتتأمل فى الكُتُب المقدسة وتجعلها حالية وتولد تقاليد جديدة... وكثيراً ما يصعب علينا أن نُحدّد بدقة فى أى زمن وُلد هذا أو ذلك التقليد.

✠ الكتابات اليهودية

كتابات من الفن الرويوى

كثير من هذه الكتابات معروف منذ زمن بعيد. منها، على سبيل المثال، كُتُب أخنوخ وكتاب اليوبيلات ومزامير سليمان ووصايا موسى ورؤى إيليا ورؤى إبراهيم، وكتاب عزرا الرابع (السوارد ذكره فى الكتاب المقدس اللاتينى) ... ليست هذه الكُتُب رؤى بحصر المعنى، لكنّها كلّها موسومة بطابع هذا التيار.

كتابات قُمران

عُثر على هذه المخطوطات فى بعض المغاور بالقرب من البحر الميت ابتداء من السنة 1947، وهى تُعرفنا إلى فكر الحسيديم، أولئك الآتقياء الذين لجأوا إلى "دير" قُمران فى أيام المَكابيين وعاشوا فيه حتى تدميره عن يد الرومانيين فى السنة 70 ب.م. (راجع الصفحة 85).

أنّ مخطوطات البحر الميت وجماعة قُمران تساعدنا، انطلاقاً من بعض المقاطع المختارة، على اكتشاف حياة الحسيديم وفكرهم.

كتابات اخرى

لا بُدّ على الأقل من الإشارة إلى أعمال المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس (وُلد فى حوالى السنة 30 ب.م. وتوفى فى أوائل القرن الثانى) الذى جَدّد كتابة الكتاب المقدس فى كتابه "العصور اليهودية القديمة"، وإلى أعمال الفيلسوف فيلون الإسكندرى (وُلد فى حوالى السنة 13 ق.م. وتوفى فى السنة 50 ب.م.) الذى حاول، فى كتبه العديدة، أن يُعبّر فى ثقافته اليونانية عن إيمانه اليهودى. لقد كتب فى الزمن الذى تكوّنت فيه الأناجيل.

يدور الكلام أيضاً على الأدب الربّاني. والربّانيون هم أولئك الكتبة الفريسيّون الذين، بتضلعهم من الشريعة وبالتعليقات التي كانوا يضيفونها إليها، أقرّوا، منذ أيام المسيح (الربّان جميل مثلاً: راجع رسل 34/5)، طريقة ممارسة هذه الشريعة. وبعد سقوط أورشليم في السنة 70 م.، اجتمع أولئك الكتبة الفريسيّون في بيّته (بالقرب من تل أبيب الحالية) وأعادوا تنظيم الدين اليهودي وجمعوا التقاليد. ليس الأدب الشفهي كله ربّانياً، ولكنّه جُمع عن يد الربّانيين.

سُعدّد أهم المجموعات لمساعدتك أولاً على تحديد وضع الأسماء التي سمعت بها (التلمود مثلاً) ولتري أيضاً إلى أيّ عمل تفكيري في الشريعة انصرف أولئك المؤمنون اليهود. وهذا أمر مفيد لتتعرّف إلى الدين اليهودي، ولتُدرك أيضاً كيف تكوّن العهد الجديد. كان المسيحيّون الأولون يهوداً مدرّبين على الأساليب التي تُجعل بها الكتب المقدّسة حالية. وعرفت الأناجيل حقبة تكوين وتناقل طويلة، قبل أن تُدوّن خطياً، كما الأمر هو في ما يتعلق بالتقاليد الربّانية.

لقد فضّلنا اسم " الأدب الشفهي " على " الأدب الربّاني " للتشديد على الأمر التالي: إنّ المجموعات التي سنتكلّم عليها وصلّتنا بصورة كتابات، ولكنها كانت، في أيام اليهود، مجموعات شفهيّة محض. إليك هذا التشبيه: يكتب الموسيقى مجموعة أصوات سمفونيته، مع أنّها لن تُؤلّف لثّقرأ، بل لثّغزف وُثسَمع. وما كتابتها سوى سند يساعد الذاكرة.

التقاليد الشفهيّة

نقل الربّانيون إلى تلاميذهم ما سبق أن تلقّوه (راجع 1 قو 1/15 - 3). هذه التقاليد من طرازين: " الهلكه " تأتي بتفسيرات للشريعة تُفيد العمل وقواعد عمليّة للحياة (الأصل " هلك " يعنى الطريق والسبيل) - و" الهجّاده " وهي تُفيد بالأحرى بناء النفوس (راجع الصفحة 81).

ابتداء من أواخر القرن الأوّل، أخذت هذه التقاليد تُحرّر نظامياً. وأوّل مجموعة نتجت عن هذا التحرير الشفهي تُسمّى المشنه. وأخذ الربّانيون، سواء أكان في فلسطين أم في بابل، يُعلّقون على هذه المشنه، ونتج عن تعليقاتهم ما يُسمّى " الجماره ".

أمّا التلمود (التعليم) فهو جمع كلّ هذه التقاليد: المشنه كنصّ أساسي، تُضاف إليها الجماره وتقاليد أخرى لم يوجد لها مكان في المجموعات الشفهيّة. جُمع تلمود أورشليم او فلسطين في القرن الرابع، وأنجز تلمود بابل، وهو في حال أكمل، في أواخر القرن الخامس.

المدرّاش

إنّ الأبحاث أو التعليقات على الكتاب المقدّس، التي تمّت في المدارس أوالمجامع، ستؤدّي إلى مجموعات مدرّاشيم (راجع الصفحة 81).

الترجوم

إنّ الترجوم هو ترجمة نصّ الكتاب المقدّس الذي يُقرأ بالعبريّة في المجمع إلى اللغة الأرامية. كانت هذه الترجمة الشفهية تكبيراً على الأوضاع الحالية. فهي إذاً مفيدة جداً، إذ أنها تُطلعنا على طريقة تفسير الكتب المقدّسة في أيام المسيح (راجع المثلين في الصفحتين 38 و 52).

